في
الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام

تأليف

د. شوقي ابراهيم علي عبد الله
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة
بجامعتي الأزهر الشريف والكويت
عميـــد الكليـــة
أ.د / شوقي ابراهيم علي عبد الله

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨م

دار الطباعة المحمدية ٣ درب الأتراك بالأزهر

إهداء

إلى حماة الدين وحراس العقيدة الغيورين عليه والمدافعين عنه بالحجة والبرهان .

إلى أساتذتي وزملائي الأجلاء بقسم العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة
إلى الشباب المثقف المتطلع إلى دحض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام للنيل منه والتشكيك فيه .

إلى الصغيرين العزيزين أحمد وحازم لينشئا جنديين من جنود الإسلام
إلى الجندي المجهول الذي كان لي نعم العون والوفاء وشاركني الحياة بأطراحها وأفراحها .

أقدم كتابي هذا والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها .

د . شوقي إبراهيم علي عبد الله
أستاذ مساعد بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر بالقاهرة

بحوث ومنشورات للمؤلف

١ — قضية العلم الإلهي بين الدين والفلسفة

٢ — الجاحظ وآراؤه الكلامية والفلسفية

٣ — دراسات في علم النفس الإسلامي ١٩٨٦ م

٤ — دراسات في العقيدة الإسلامية — الالهيات سنة ١٩٨٥

٥ — في العقيدة الإسلامية — الالهيات والنبوات ١٩٨٦م

٦ — العقيدة والأخلاق بالاشتراك سنة ١٩٨٦

٧ — في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ١٩٨٨م

مقالات منشورات :

١ — العفو عند المقدرة (منبر الإسلام) سنة ١٩٨٣م

٢ — منهج الجاحظ في الاستدلال على وجود الله (منبر الإسلام) ١٩٨٤م

٣ — العبادات الإسلامية وأهدافها (منبر الاسلام) ١٩٨٥ م

٤ — أخلاق المسلم (منبر الاسلام) ١٩٨٥م

٥ — طوبى لمن طاب كسبه (جريده الوطن) الكويتية

٦ — كلية الشريعة بدولة الكويت — جندي من جنود الاسلام
— مجلة الافاق بجامعة الكويت ١٩٨٧ م .

٧ — ندوة حول الإسراء والمعراج بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور
مصطفى عمران بإذاعة دولة الكويت ١٤٠٨هـ سنة ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين. وبعد فمنذ أن صدع النبي ﷺ بأمر ربه والإسلام يواجه بتحديات شتى ولكنها مع قوتها تتهاوى أمام بنائه الشامخ المتين. ولما كانت التحديات مستمرة إلى يومنا هذا وجدت من الخير أن تتتبعها لنقف على صورها وأسبابها ورسائلها وكيف واجهها رسول الله ﷺ ليكون لنا من مواجهته لها أسوة وارشادا.

لقد كان للاسلام فى الماضى جولة مع أهل الباطل والضلال وأصحاب الأهواء ولقد حقق المسلمون انتصارات غير قليلة على هؤلاء وأولئك ومن ثم عادى الإسلام كل ضال وكل ذى هـــوى ويخطىء من يظن أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزاها أو يكون أمعن فى الخطأ من يتصور أن أعداء الإسلام قد سكتوا عنه بعد أن تحالفوا ضد أهله فغلبوهم وجعلوا منهم أمما بعد أن كانوا أمة وفرقا بعد أن كانوا وحدة نعم أن الإسلام يواجه اليوم حربا منظمة خططت لها عقول كبيرة جدا شريرة جدا وصرفت عليها أموال كثيرة جدا وكانت وراءها توجهها وتمدها وتنصرها قوى ضخمة جدا .

ظهرت هذه الأحقاد بوجهها الكالح منذ بدأ الضعف والتفكك يسرى فى كيان المسلمين فطمعت الأحقاد فى الوصول إلى غايتها وزادت من ضرباتها لهذا الكيان حتى تفتته وتقضى عليه ولاتسمح له بالعودة إلى

التماسك والقوة حتى تظل آمنة من خطورته إذا ماعادت اليه روحه وقوته من جديد وكذلك يوجهون كل ضرباتهم لهذا الدين وأهله حتى لاتقوم له قائمة فى نفوس أهله .

أن أعداء الإسلام يدبرون لحربه كل يوم وسيلة ويحشدون للوقوف فى وجهته كل يوم قوة وليس خطر الكلمة والفكرة باقل من خطر الجندى والسلاح فى المعركة الضارية التى يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله .

أنهم الآن قد سكتوا عن حـــرب الأسلحة ليشنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام منهجه وتاريخه ولغته وقرآنه وتحالفوا وتآذروا وأبتكروا أحدث الوسائل وخبيث التيارات والأساليب فغزوا المسلمين فى قلوبهم وأفكارهم وأخلاقهم وأزيائهم وشنوا على العالم الإسلامى من الغارات ما لا يخفى أمره على كل ذى بصيرة ووقفت الصهيونية والتبشير والاستشراق والاستعمار والمبادىء والنظريات والفلسفات يؤيد بعضها بعضا فى حرب الإسلام والمسلمين ومن مجموع تلك الوسائل والأساليب كان الغزو الفكرى للمسلمين وكانت التيارات العارمة التى تجتاح أمامها جموعا كبيرة من المسلمين الذاهلين عن الحق المخدوعين بالعرض عن الجوهر وحول هذا سيكون موضوع الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام.

نعم أن موضوع الغزو الفكرى وما يلحق به من تيارات هو أخطر مايواجه العالم الإسلامى فى حاضره ومستقبله خاصة ونحن نرى آثاره قد تغلغلت فى القلوب والعقول والأذواق وملأت على المسلمين كل شعب حياتهم وتركتهم على وضع بئيس غير مسبوق فى تاريخهم ومن ثم كان خليقا بالدراسة الواعية والنظرة الفاحصة حتى تتحدد أبعاده الرهيبة

وجنايته على أجيال بوتها وقعت فريسة له ولاتزال سمومه تسرى فى كيانها كله ثم لا سبيل لها إلى الخلاص منه إلا بمعرفة بصيرة بالداء والدواء جميعا (١) .

أن مواجهة الاسلام للتحديات تقتضينا أن نعطى فكرة عن معنى الغزو الفكرى وأثرة ونبين أن الإسلام ليس وحده الذى استهدف هذا الغزو من بين سائر الأديان وان كانت الحملات التى وجهت إليه أعنف الحملات التى عرفت فى التاريخ وحملات اليوم هى امتداد للحملات الشديدة الضاربة فى أعماق القدم تحالف فيها الفكر مع المادة باشكال مختلفة وأساليب متنوعة كما نبين أهمية الغزو الفكرى وخطورته فى العصر الحديث ونبرز الغطاء عن الجيوش التى استخدمها العدو لهذا الغزو ومخططاتها المنظورة والخفية والنقط الحساسة التى استهدفها الغزو والميادين التى صوب منها قذائفه والفنية الدقيقة فى استخدام الأسلحة .

ثم نبين الآثار التخريبية التى نجمت عن هذا الغزو وما هو الواجب علينا لمواجهة هـــذه الحملات المسعورة فى هذا العصر الملىء بالحركات والتيارات المعادية للاسلام .

لذلك كان من أوجب الواجبات على من يدعو إلى الله أن يعرف المسلمين بهاتيك المخططات ليحاربوها بمثلها اسأل الله تبارك وتعالى أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من تنبيه المسلمين إلى الاخطار التى تحيق بهم والاعداء الذين يحيطون بهم من كل جانب والمؤامرات التى تدبر ضدهم

---

(١) د . عبد الستار فتح الله ص ١٧ الغزو الفكرى .

والمخططات التى توضع لتدميرهم ومكافحة دينهم وعقيدتهم وهدم ديارهم واسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم وان يضعه فى ميزان أعمالى يوم لا ينفع مال ولا بنون وان يغفر لى ولوالدى وللمؤمنين اللهم أمين د . شوقى ابراهيم على عبد الله الحلو المقاطعة دقهلية ـ مصر العربية فى يوم ١٩ شوال سنة ١٤٠٨ هـ ٤ يونيو سنة ١٩٨٨ السبت .

تمهيد

معنى الغزو الفكرى

١ - كل إنسان فى الوجود بصرف النظر عن مستواه له رأيه الذى يقتنع به وعقيدته التى توجه سلوكه وتخطط لنشاطه وهو يعتز بما يراه ويعتقده ولا يرى صلاحا فى غيره .

وهذا أمر إن لم يكن عاما لجميع الناس فهو فى أغلبهم واضح لا يرتاب فيه أحد والإنسان فى تمسكه برأيه وتعصبه لعقيدته واقع تحت تأثير حبه لذاته وتعاليه على غيره وعدم استعداده لخضوعه لسلطان آخر عليه وهو من هذا المنطلق لا تهمه مصالح الآخرين بقدر ما تهمه مصلحة نفسه غير أن ضرورة الحياة الاجتماعية ترغمه على أن يلتزم ولو ظاهريا وإلى حد ما بقيود وعلاقات مع الغير هى فى حقيقتها بدءا ونهاية لمصلحة نفسه وقل أو ندر أن يكون له فى علاقاته الاجتماعية حرمان لنفسه أو اجحاف بها.

ومن هنا لو جاءت فكرة من مصلح اجتماعى مثلا تبين خطأ الفكرة الفردية وتقوى الشعور الاجتماعى فان صدمة نفسية ستحدث حتما عند كل من تسلطت عليهم نزعاتهم الفردية ناظرين بعين الحذر إلى هذا الجديد الذى يحاول أن يغزو القديم فى عقر داره يزيحه عن مكانه أو على الأقل يشاركه فى سلطانه (١) .

وهذه الصدمة ستدفع إلى التفكير فيما هو أصلح للنفس تجاه هذا التغيير

---

(١) الاسلام فى مواجهة التحديات ص ٨ عطية صقر .

هل ترفضه أو تصالحه وهى لا تقبل بحال أن تخلى له المكان ليستقر فيه وحده فإن حب الذات أمر فطرى لا يمكن أن ينتزع بسهولة ومن تحكم فيه حب الذات والاعتداد بالرأى سيرفض الفكرة الجديدة فى أول الأمر وقد يستبد به حب نفسه فيعيش حياته معارضا لها حتى يموت وقد تضطره الظروف أو تهب عليه روح التأمل البصير فيقبل هذه الفكرة ويتكيف معها بقية عمره .

أما من لم تتحكم فيه ذاتيته تحكما قويا فإنه ينظر نظرا اجتماعيا بعيدا فيه فهم صحيح لطبيعة الحياة البشرية التى أراد الله لها أن تصلح الكون كله وهذا الاصلاح لا ينهض به جهد فرد ما فالتعاون عليه ضرورة حتمية وهو بهذا النظر سيسرع إلى قبول هذا الجديد الذى يستهدف مصلحة المجتمع بعامة .

ومن هنا يمكن أن نرى فى المجتمعات التى تواجه بفكر جديد ثلاث طوائف واحدة تعارض حتى النهاية والثانية تعارض أولا ثم تقبل أخيرا بعد زمن يطول أو يقصر وثالثة تبادر بالقبول وتسارع إليه .

(ب) والذين يقومون بحركات التغيـــير مبتدئين بغزو الأفكار قد يقصدون من حركاتهم مصلحة شخصية وهذا غالب فى العلاقات الانسانية المحضة على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى الدول أيضا غير أن هناك أفرادا يحسون بمسئوليتهم نحو جماعة من الجماعات لوجود رابطة حب بينهم أو تبادل مصلحة معهم كالوالد فى الأسرة والشيخ فى القبيلة التى يظهر فيها طابع الأبوة بوضوح هنا يكون تسلطهم الفكرى على من يلون أمرهم يقصد منه غالبا مصلحة الجماعة وان كان لا يخلو تماما من المصلحة الشخصية مع العـــلم بأن التسلط الفكرى لا يقصد منه الفكر ذاته بل يتخذ وسيلة لتغيير السلوك والنشاط بوجه عام .

(حـ) ومن هنا نستطيع أن نقول : أن الغزو الفكرى نوع أو مظهر

من مظاهر التسلط الذى يريد به طرف أن يسيطر على طرف آخر لمعنى من المعانى والتسلط بوجه عام إما مادى وإما فكرى والمادى منه يحتاج إلى قوة تناسبه وعراك ومجاهدة للتغلب وقد يتم فى وقت قصير وينتهى بنتيجة ماغير أن من لوازم هذا التسلط المادى عدم استراحة المغلوب له فهو يحاول بوسيلة أو بأخرى التخلص منه وقد ينجح فى وقت يطول أو يقصر عندما تتهيا له الظروف المناسبة .

أما التسلط الفكرى وتغيير العقائد فله اعداد خاص وسلاح من نوع آخر والغلب ليس سريعا أبدا بل يحتاج إلى وقت لأن الأفكار التى انفعلت بها النفس وتوارثتها الاجيال ليس من السهل اقتلاعها كسهولة اقتلاع جزء مادى من أجزاء الجسم والتسلط الفكرى أن تم فإن أثره يدوم أو يستمر مدة طويلة ومحاولة تغييره بعد ذلك تحتاج إلى جهد كبير ووقت أطول خصوصا إذا كان الفكر الأول حدث عن اقتناع عميق وظهرت آثاره المادية التى تؤكد صدقه .

وإذا كان العالم المعاصر قد عرف الغزو العسكرى من دولة قوية لأخرى ضعيفة وعانت الدول الضعيفة الويلات من هذا الغزو وقدمت التضحيات من ابنائها ونالحت من أجل حاضر مغتصب .

وإذا كانت البلدان الإسلامية على وجه الخصوص قد ذاقت مرارة غزو اقتصادى وتجرعت به كأس الحرمان ووجدت نفسها عالة فى كل شىء على الدول التى سرقت خيراتها واضطرت مع كل ذلك إن تعايش هذه الدول الخاصة معايشة التابع للمتبوع إذ كان العالم الإسلامى — بخاصة والعالم النامى بعامة قد عرف ذلك وعاش متاعبه وبذل من الجهود والدماء ماتصور أنه به سوف يتخلص من هذه الأنواع من الغزو فإن الأعداء سرعان مايغيرون خططهم ويستبدلون باساليبهم أساليب جديدة وخططا

ما حدث فى العالم فقد لجأ أعداء الإسلام إلى هذا الغزو الفكرى يكملون به أبعاد الصورة التى يرسمون لاستغلال الشعوب .

أن هذا الغزو الفكر يعنى به أن تظل بلدان العالم الإسلامى خصوصاً والعالم الثانى عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة .

وعندما يتعلق أمر الغزو الفكرى بالعالم الإسلامى والفكر الإسلامى فإن الكلام يحتاج منا إلى مزيد ايضاح إذ الإسلام دين الله سبحانه الذى ارتضاه للبشرية كلها منهجاً وشريعة لحياتهم الدنيا ومعبراً وجسراً وزاداً لحياتهم الأخرى وهذا الدين كان وما يزال بمبادئه حرباً على كل انحراف بالبشرية عن الحق والميزان وأعداء الإسلام اعداء للحق والميزان لأن الحق والميزان يحول بينهم وبين الإستغلال لذلك فإن أصحاب المذاهب والنظريات المعادية للإسلام ماسكتوا عنه وان يسكتوا وكيف بهم يسكتون وفى الإسلام ومبادئه حرباً لهم ولما يمارسونه فى الناس من أعماله .

من أجل ذلك أصبح الغزو الفكرى للإسلام والمسلمين يستهدف الجذور لا القشور ويحاول القضاء على الجوهر لا العرض ويركز على تشويه الأصول لا الفروع ومن هنا تركز الغزو الفكرى ضد الإسلام فى حرب ضارية ضد أمرين خطيرين هما القرآن الكريم أصل الشريعة وما شرحه وفصله من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العالم الإسلامى كله .

والللغة العربية لغة القرآن :

وكل عمل وكل خطة يقوم بها أعداء الإسلام والمسلمين فى الفكر أو الثقافة أو المبدأ والعادات والتقاليد أو الأدب والفن أو الزى والشكل إنما يعد معركة جانبيه تخدم المعركة الكبرى معركة حرب أصل الإسلام وجذره وهو القرآن وما أكثر المعارك الجانبية وما أخبث خططها إذ تتناول

مظاهر حياة المسلمين كلها ابتداء من تغيير الزى وتغيير العادة إلى تغيير الخلق والسلوك وانتهاء بتغيير المنهج والشريعة ومروراً بافساد اللغة وأقصائها عن السنة المسلمين(١) .

والغزو الثقافى اليوم ينفذ من خلالى الأبواب الحديدية المغلقة ويتسلق من فوق الأسوار الصلبة ويمر من تحت أنظار الرقباء ويتساقط مع موجات الكهرباء وهو مع ذلك يتحرك وفق مخططات مدروسة يعمل فيها العسكريون والعلماء والساسة والإقتصاديون والأعلاميون ورجال الدين وتخدمها أحدث أجهزة الإتصال وتستغلها أعتى القوى الدولية .

والغزو الثقافى يتوجه أول مايتوجه إلى العقيدة ليزيفها أو ينقص منها أو يزيد عليها أو يبدلها أو يعيد تركيبها .

ثم يتوجه إلى العبادة : ليسخفها أو يهون من شأنها أو يقلل من تأثيرها أو يضيف إليها أو يساوى بينها وبين عبادات مبتدعة .

ثم يتوجه إلى منظومة القيم ليلغى بعضها ويفرغ بعضها من محتواه ويزرع فى بعضها محتوى جديداً ويعيد ترتيب أولوياتها .

ثم يتوجه إلى العادات والتقاليد فى أسلوب الفرح وفى أسلوب الحزن وفى أسلوب الرضا وفى أسلوب الغضب وفى عادات الأكل والنوم والتزاور إلخ . .

أنه بعبارة حاسمة يقتحم الشخصية شخصية الفرد وشخصية المجتمع ، وهنا يظهر « أثر التغيير الثقافى » فهو مع كونه وسيلة من الوسائل التى يلجأ

---

(١) د . على عبد الحليم محمود الغزو الفكرى ص ١٠ ط إدارة الثقافة ١٩٨١ م ضمن بحوث قدمت لجامعة ابن سعود فى المؤتمر الفقهى المنعقد بالرياض ١٤٩٦ هـ

إليها دعاة الإلحاد بوجه عام لكنه بوجه خاص له أثره الخاص أنه أقتحام الشخصية : وهو أقتحام يستهدف تغيير هـــذه الشخصية لحساب الثقافة الغازية والنتيجة التى يسفر عنها هذا التغيير أماعبودية وأماضياع عبودية النموذج الثقافى الجـــديد أوضياع النموذج الثقافى القـديم بوجه عام والشىء المستحيل هوان ينقلب النموذج القديم إلى نسخة من النمـوذج الجديد .

ذلك أشبه بمحاولتك تغيير بكر ليكون محمد فاولا يستحيل أن يكون بكر محمد وثانياً إما يصبح بكر ألعوبة فى محمد وأما أن تتمزق شخصية بكر لتصبح فى حكم الضياع .

أن الأمر هنا يصبح كما يقول المفكر الإنجليزى اليوت فى شأن المجتمع الأوربى ، إذا ذهبت المسيحية فستذهب كل ثقافتنا وعندئذ يكون عليك أن تبدأ البداية المؤلمة من جديدولن تستطيع أن تلبس ثقافةجديدة جاهزة يجب أن تنتظر حتى ينمو العشب ليغـــدو الضأن ليعطى الصوف الذى ستصنع منه سترتك الجديدة يجب أن تمر بقرون كثيرة من الهمجية ولن نعيش إذن لنرى الثقافة الجديدة لا نحن ولا أحفادنا ولا أحفاد أحفادنا ولو عشنا لما سعد بها واحد منا(١) .

فلننظر إلى الأديان بعد هذه المقدمة باعتبارها غازية للأفكار مغيرة للعقائد والسلوك وباعتبارها مغزوة من أعداء الأديان .

الأديان السماوية وضع إلهى لتنظيم حياة البشر وأسعادهم فى المعاش

---

(١) ملاحظات نحو تعريف الثقافة ترجمة د . شكرى محمد عياد بشر وزارة الثقافة نقـــلا عن د . يحيى هاشم الفكر الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة ص ٣١ ، ٣٢

والمعاد فهى تخطيط من الله العليم بأحوال النفوس وما يصلحها «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»(١) .

ولا تقبل الأديان أن تلغى أمراً فطرياً خلق مع الإنسان وصار من ذاتياته ضرورة عدم التعارض والتناقض فى أفعال الله سبحانه وإنما غايتها التهذيب والتوجيه للخير .

والمدعوون إلى الدين كانوا نوعيات ثلاثة المبادرين إلى الإستجابة والمعارضين إلى النهاية والمستجيبين بعد المعارضة .

قال تعالى : «ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة»(٢) .

والذين هدى الله منهم المبادرون الذين لم يعارضوا ومنهم المعارضون أولا والمهتدون آخراً وقال فى شـــأن الأنانيين الذين رفضوا الدين «ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون»(٣) .

والتأثير الفكرى والسلوكى الذى جاءت به الأديان ماقصد به أى رسول مصلحة شخصية فما هو إلا مبلغ عن ربه ونتيجة الرسالة هى خيراً لمجتمع لاينال الله منها شىء فهو غنى عن عباده «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها»(٤) .

---

(١) سورة الملك آية ١٤
(٢) سورة النحل ٣٦ آية ٣٦
(٣) سورة يس آية ٣٠
(٤) سورة الإسراء آية ٧

فغاية الرسالات كلها أصلاح المجتمع على تفاوت مساحتة ومن ينتمون إليه وما كانت هناك مصلحة شخصية لأى رسول أو الأقل ماكان هناك حب للذات يؤثر على الدعوة ولئن كان لبشريتهم تطلعا ومطالب فهى فى أطار الصالح العام إيمانا منهم بهدفهم الأول وأحساسا بمسئولية التبليغ الخالص لله وحده .

وقد جاء على لسان الكثير منهم ماحكاه القرآن الكريم بقوله سبحانه وماأ سألكم عليهم من أجر أن أجرى إلا على رب العالمين(١) .

وما يقرب من هذا النص فى آيات أخرى فى سور متعدده .

والرسالات السماوية كما تعرضت للمقامة المادية تعرضت للمقاومة الفكرية لرفض فكرتها عن طريق تسميم أفكار من يخشى عليهم الاستجابه لها أو تحويل من آمنوا بها عنها وتسميم الأفكار ضد الرسالات غزو لها

وكان ذلك ملاحظا فى الأديان القديمة فسيدنا نوح عليه السلام عندما جاء بدعوة التوحيد والمسئولية الأخروية عارضته فكر تقول للبسطاء من الناس ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشر مثلكم أنكم إذا الخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ، إن هو إلا رجل أفترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين (٢) .

ومثل هذا قيل لغيره من الرسل فى رفض رسالة إنسان مثلهم ورفض البعث بعد الموت والعقائد الأخرى (٣) .

---

(١) الشعراء آية ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ (٢) المؤمنين آية ٣٣—٣٨

(٣) راجع الجدل فى القرآن .

والإسلام كبقية الأديان عورض معارضة عنيفة ماديا ومعنويا ولم تشهد الأديار كلها مثل ماشهد من المعارضة كما وكيفا وذلك لأمور منها :

١ — إنه دين عالمى ليس محليا ولا وقتيا بل هو دين الإنسانيه كلها فى جميع بيئاتها وفى كل عصورها بل هو دين الأنس والجن معا حتى يرث الله الأرض ومن عليها والإدلة على ذلك كثيرة ومن هنا كان المعارضون للإســلام كثيرين فى كل مكان وكانت لهم أساليبهم المتنوعة فى كل العصور .

إن مبادىء الإسلام قوية لقيامها على العقل وتجاوبها مع الفطرة وهى دقيقة محكمة مع مناسبتها لكل عصر لثباتها ومرونها وواقيعتها وإيجابيتها وهذا شأن خاتمة الرسالات لابد أن تكون على أعلى مستوى يصلح لقيادة البشرية مع غير حاجة إلى نبوات بعدها أو أضافات تكملها . ولهذا كانت الضربات الموجهة إلى الإسلام قوية وعنيفة وبأساليب مبتكرة ويلاحظ هذا بوضوح فى الحملة العنيفة على الإسلام .

أن أستهداف الإسلام للمعارضة العنيفة من القوى المعادية حقيقة سجلها التاريخ وأحس بهـا النبى ﷺ من بدء الدعوة حين قال له ورقة بن نوفل ماجاء أحد بمثل ماجئت به إلا عودى وتاريخ الدعوة الإسلامية كله نضال وكفاح من أجل إيصالهـا إلى العالم كله ويكفى لبيان هدفها وما يلزم لنشرها من معاناة قوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »(١) .

(١) سوره الفتح آيه ٢٨ ، ٢٩

وكتب السيرة والتاريخ مملوءة ببيان ماعورضت به الدعوة وكيف تغلبت على كل العقبات ويهمنا أن نذكر أن الغزو الفكرى الذى وجهه الأعداء إليها كان يسير فى خط متواز مع المقاومة المادية وذلك للحيلولة دون أتباع الناس لها . ولرد المؤمنين بها إلى حظيرة الشرك مرة ثانية .

ومن خير ما يستشهد به على ألوان الغزو الفكرى للعقيدة وللرسول وكتابة المنزل ماجاء فى صدر سورة (ص) قال تعالى « وعجبوا إلها منذر منهم وقال الكافرون : هـذا ساحر كذاب أجعل الآلهة واحدا إن هذا لشىء عجاب . وأنطلق الملأ منهم أن امشوا وأصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلااختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا] .

وقوله تعالى « إن هى إلا موتتنا الأولى ومانحن بمنشرين فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (١) .

وقوله تعالى « وقال الذين كفروا إن هذا ألا أفك أفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض أنه كان غفورا رحيما .

وقالوا : مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنه يأكل منها وقال الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (٢) .

---

(١) سورة الدخان آية ٣٥ ، ٣٦

(٢) سورة الفرقان ٤ — ٧

هكذا تعرض القرآن الكريم منذ أقدم العصور بل منذ نزوله حتى اليوم تعرض لمطاعن ومفتريات وشبه واتهامات وتزوير تحمل معها حجج النفاق والكفر لاصحابها ، وقد قصد هؤلاء الكافرون فى خصومتهم لكتاب الله أن يشككوا فى صحته وفى إعجازه وفى صدوره عن الله إذ زعموا بأنه كتاب محمد ﷺ وأنه هو الذى ألفه وأملاه له خياله الخصب وعبقريته الفذة أو أملاه عليه رجل كان الرسول يصاحبه .

لقد تمسكوا بمعارضات شكلية لافلاسهم من المعارضة الجوهرية نتيجة عدم تدبر القرآن وإدراك إعجازه أو نتيجة تكبرهم وعنادهم(١) .

ولذلك رد الله عليهم بعد هذه الآيات بقوله «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا(٢) .

كان من المنطقى أن يؤمنوا بالقرآن حين عجزوا عن الإتيان بمثله أو بمثل صورة واحدة منه لكنهم رموه بعده اتهامات دليلا على افلاسهم ونواياهم .

ومما جاء فى رد هذه الاتهامات قوله سبحانه « إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين(٣) .

والقرآن ملىء بالنصوص التى تبين لجؤهم إلى المعارضة الشكلية يحاولون بها التسلط على أفكار السذج من الناس على الرغم من احساسهم الداخلى

---

(١) راجع الجدل فى القرآن .
(٢) سورة الفرقان آية ٩ — ١١
(٣) الحاقة ٤٠ — ٤٣ .

بأن القرآن معجزة وإن محمد أبعد من أن يتهم الكذب ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا(١) .

هذه صورة بسيطة من صور الغزو الفكرى للدعوة فى طورها الأول فى مكة قبل الهجرة ما كانت قائمة على نظر وتمعن فى الفحص والنقد الجوهرى وإنما لجأت إلى القشور والسطحيات وقد يكون هذا راجعا إلى مستواهم الفكرى بالنسبة إلى غيرهم من المعارضين .

---

(١) سورة النحل ١٤

دور اليهود فى الغزو الفكرى

إن الغزو الفكرى للإسلام فى مكة لا يبلغ فى عنفه ما قام به اليهود فى هذا المجال من غزو لأنهم كانوا أرباب دين وعلى مستوى فى الفهم والذكاء انضم إلى خبث طويتهم وما اعتملت به نفوسهم من عنصرية وتعصب وأنانية بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده إذ كانوا يودون أن تكون الرسالة الخاتمة المنقذة لهم وللعالم من الشرف رجل من بنى اسرائيل الذين توارثوا النبوة والكتاب من عهد إبراهيم عليه السلام وقد إذن الله أن يكون شرف هذه الرسالة فى ولد اسماعيل ومن العرب الذين كان اليهود يتعالون عليهم بمثل مايدل عليه قوله سبحانه « ومنهم من أن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون[1] .

فعلى الرغم من أن اليهود كانوا يسكنون المدينة كانوا يمدون قريشا فى مكة بكثير من أساليب المعارضة للإسلام كالأسئلة المحرجة التى لا يعلم جوابها إلا بالوحى .

من ذلك مثلا أن نفرا من أحبار اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك ، فقال لهم رسول الله ﷺ « عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقننى » ؟

قالوا : نعم .

قال فاسألوا عما بدا لكم .

---

(١) آل عمران ٧٥

قالوا : فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه وإنما النطفة من الرجل ؟

فقال لهم : « أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه ؟

قالوا : اللهم نعم فأخبرنا كيف نومك ؟

فقال : « أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى ترعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه لا ينام ؟ » .

قالوا : اللهم نعم .

قال : فكذلك نومى تنام عينى وقلبى يقظان .

قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟

قال : « أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هـــل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكرا لله تعالى فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها » ؟.

قالوا : اللهم نعم فأخبرنا عن الروح ؟

قال : « أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى ؟

قالوا : اللهم نعم ولكنه يا محمد عدو لنا وهو ملك إنمـــا يأتى بالشدة وبسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك(١) .

وهنا نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أجابهم على مسائلهم

---

(١) نقلا عن مكائد يهودية صـ ٩١ عبد الرحمن الميدانى ط ثالثة .

وطابق ذلك مايعلمون ولكن لم يفوا بعودهم على أن يتبعوه وأصروا على الكفر فانزل الله فيهم على رسوله قوله تعالى : فى سورة البقرة قـــل من كل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أو كلما عاهدوا عهداً نبـــذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون .

وتكاثرت أسئلة اليهود كما تكاثرت شبهاتهم وطعونهم عندما عاش معهم النبى بعد الهجرة وجها لوجه وكل ذلك من أجل تشويه الوجه المشرق للإسلام وتشكيك المؤمنين فى الرسول لينصرفوا عنه وما كانت أسئلتهم من أجل التثبت من نبوته ليؤمنوا به فهم يعرفونه معرفة جيدة يصورها قوله سبحانه «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»[1] .

بل كان لعرقلة الدعوة بأية وسيلة لقد لجئوا إلى حيلة خبيثة لزعزعة إيمان المؤمنين سجلها القرآن الكريم فى قوله سبحانه «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون»[2] .

وهى حيلة تستهوى البسطاء الذين يقولون : إن الذى حمل اليهود على ترك الإسلام آخر النهار بعد أن آمنوا به أول النهار لابد أن يكون عيباً اكتشفوه بعلمهم وذكائهم المعهود فيهم والعوامل النفسية يظهر نشاطها فى

---

(١) البقرة ١٤٦

(٢) آل عمران ٧٣

مثل هذه الصورة فيتشكك بعض المؤمنين فى دينهم فإما أن يعلنوا الردة وإما أن يستمروا على إيمان مزعزع .

لقد كان لليهود صور كثيرة فى الغزو الفكرى منها تحريف كتبهم فيما يدل على صفات الرسول ودعوته يبتغون بذلك تكذيب القرآن فيما يقوله من أن صفات الرسول موجودة فى التوراة وفى الإنجيل بل أنهم شوهوا ما فى الكتب المنزلة بعامة بقصد ألا يكون القرآن مصدقاً لما فيها كرجم الزانى وتحليل الأطعمة وتحريمها وفى كل هذا يظهر القصد وهو زعزعة الإيمان فى نفوس المؤمنين .

بل أنهم عمدوا إلى بث أفكار غريبة أكثرها إن لم تكن كلها كاذبة تغرى بالاستماع إليها وقد يكون ذلك وسيلة لصرف المؤمنين عن كتاب ربهم على نسق ما قال الله عنهم[ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً ...](١)

وحتى لا يشغل المؤمنون بهذه الغرائب نهاهم النبى ﷺ عن الاهتمام بها كتابة أو حديثاً ولئن كان قد سمح لهم بتناقل بعض هذه الأخبار فقد حذرهم من الانزلاق إلى تصديق ما يضر الدين منها .

أخرج البخارى فى كتاب التفسير حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا . . . »(٢) وأخرج فى باب ما ذكر عن بنى إسرائيل حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

وأخرج أحمد فى مسنده أن عمر بن الخطاب قرأ على النبى ﷺ كتابا

---

(١) لقمان آية ٦

(٢) البخارى كتاب التفسير .

أصابه من بعض أهل الكتاب فقال له « امتهوكون فيها يابن الخطاب ، والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية . والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى » ومعنى « متهوكون » متحيرون مترددون .

إن هذه الأفكار والنقول الغريبة التى تولى كبرها اليهود حشيت بها كتب وتفاسير للقرآن الكريم وكان أكثر من تأثر بها مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هالذى قال عنه أبو حاتم أنه استقى علومه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعلها موافقة لما فى كتبهم كما نقله ابن خلكان فى الوفيات ومنهم الثعلبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ ﻫ فى كتابه المخطوط بعضه فى مكتبة الأزهر كما قال محقق مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية وهو صاحب كتاب العرائس فى قصص الأنبياء وفيه حشو كبير ومنهم الشيخى البغدادى المعروف بالخازن تأثر فيه بتفسير الثعلبى .

لقد حذرنا الله من فتنة اليهود لنا عن ديننا بمثل قوله سبحانه : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق(١) .

وقد صرح ابن مسعود بخبث نواياهم فقال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم رواه الطبرانى مسند رجاله ثقات(٢) .

إن معارضة اليهود للإسلام بأفكارهم ومؤامراتهم لم تنقطع بعد عصر

---

(١) البقرة ١٠٩

(٢) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية .

النبوة وتولى كبرها جماعة منهم تظاهروا بالإسلام لحاجة فى نفوسهم وهى تنفيذ المخطط الرهيب لوقف مد الحركة الإسلامية . وكان من أكبر بنوده اغتيال عمر رضى الله عنه والتاريخ قد سجل دور كعب الأحبار فى هذا المخطط وهو يهودى يمنى أسلم آخر أيام أبى بكر أول أيام عمر وتقرب منه عن طريق الدين فأخبره بأن صفاته مذكورة عنـــدهم فى التوراة وفى جو هذه الثقة التى كان يشوبها بعض الحذر من عمر من كل دخيل فى الإسلام اطمأن إليه حتى حدد كعب اليوم الذى سيموت فيه وتلاقى مخططه مع مخطط دبره أبو لؤلؤ المجوسى الذى فيه عرق يهودى فاغتيل عمر وكسر غلق الفتنة بموته .

وفى عهد عثمان مثل اليهود مسرحية جديدة كان من أبطالها يهودى وافد من اليمن عرف بابن السوداء وهو عبد الله بن سبأ الذى تظاهر بالإسلام أيام عثمان وتجول كما يقول ابن الأثير فى كتابه الكامل فى الجزيرة والبصرة والكوفة والشام ومصر ليفتن الناس عن الدين وجعل يبث أفكاراً غامضة يتلاعب فيها بعقائد الناس ونشط بيث فكرتين أساسيتين :

١ — أخذ فى أولاهما يبشر برجعة لمحمد ﷺ ويقول : « عجب ممن يزعم أن عيسى سيرجع ويكذب بأن محمداً سيرجع وقد قال الله تعالى : [إن الذى فرض عليك القرآن لرادوك إلى ميعاد](١) .

٢ — وأخذ فى الثانية يقول : « إن لكل نبى وصيا وعلى وصى لمحمد ومحمد خاتم الأنبياء وعلى « خاتم الأوصياء ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على حق وصيه وتناول أمر الأمة » .

والتف حول هذا اليهودى المنافق عبد الله بن سبأ لفيف من الفاسدين

---

(١) القصص ٨٥

والحاقدين وأسسوا فرقة سياسية سرية مغلفة بقناع ديني دعوتها المطالبة بإسناد الأمر إلى على رضى الله عنه نظرا لأنه خاتم أوصياء محمد وصار يأمر جماعته بتحريك هذا الأمر والبدء بالطعن على الأمراء والتظاهر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لاستمالة الناس إلى دعوتهم وكان لهذا اليهودى المتظاهر بالإسلام تأثير فى سامعيه فتلقف أفكاره الباطلة هواة الزعامة وجمعوا حولهم ضعفاء الإيمان حتى صارت أفكاره أساساً لتكوين عدة فرق غالية من فرق الشيعة تعرف بالفرق الباطنية .

وأهم الأفكار التى وضعها بن سبأ :

١ — تقديس الأئمة من آل البيت ورفعهم فوق البشر بما فيهم الأنبياء

٢ — وجوب أن يكون لكل إمام باب يأخذون عنه العلم والفيض والإلهى .

٣ — القول بالرجعة للنبى والأئمة .

٤ — تأليه الإمام على أو الحلول الإلهى فيه .

٥ — القول بتناسخ الأرواح .

٦ — القول بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا .

٧ — سب أصحاب رسول الله من غير آل البيت مما يؤدى إلى بغض العرب .

قال المقريزى « ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وعنه أخذوا القول بأن الجزء الالهى يحل فى الأئمة(١) .

---

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص ١٨

وفى هذا المقام نضع بين يدى القارىء ما نقله ابن الأثير[1] .

من كتاب (تاريخ إفريقية والمغرب) الأمير عبد العزيز . وفيه يقول « فلما يئس أعــداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول فى دينهم وكان أول من فعل ذلك (أبو الخطاب محمد بن أبى زينب) مولى بنى أسد[2] وأبو شاكر ميمون ديصان[3] صاحب كتاب (الميزان فى نصرة الزندقة) وغيرها .

ثم يمضى فى توضيح بعض أساليبهم فى التشكيك وزعزعة العقيدة فيقول (فألقوا يعنى الأعداء وعملاءهم — إلى من وثقوا به إن لكل شىء من العبادات باطنا وإن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف من الأئمة والأبواب[4] صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيئا وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات وإنما هى قيود للعامة ساقطة عن الخاصة .

ويقول : وكانوا يظهرون التشيع لآل النبى ﷺ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة.

---

(١) الكامل جـ ٨ صـ ٢١ ط أوربا .

(٢) فرقة من الغلاة تسمى الخطابين كانوا يؤلهون جعفر بن أبى طالب ويحلون شهادة الزور لأتباعهم ويبيحون المحرمات راجع الغزو الفكرى عبد الصبور مرزوق صـ ٤٤

(٣) زعيم فرقة « الميمونة » ويعرف بميمون القداح .

(٤) الإمام والباب كلمات لها مدلولات اصطلاحية خاصة عند هذه الفرق الضالة وكلها ضلال .

وتفرق أصحابهم فى البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه فى الباطن » .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٤١ نشر مجمع البحوث بالأزهر (إن أعداء الإسلام — ومنهم اليهود — هالهم ما للإسلام وأهله من قوة فتربصوا به الدوائر ووقفوا فى طريقه يحاربونه ويصدون الناس عنه ولكن الإسلام بصدق تعاليمه لم تقم فى وجهه لأعدائه حجـــة والمسلمون بقوة يقينهم لم تعطل مسيرتهم الظافرة وفتوحاتهم الباهرة جيوش أعدائهم على كثرتها وقوتها الأمر الذى جعل أعداء الإسلام والحانقين عليه من اليهود وغيرهم يبحثون عن طريق آخر يصلون به إلى النيل من الإسلام وأهله فتفتقت عقولهم الماكرة وقلوبهم الفاجرة عن مكر سيء وخداع بشع فتظاهر منهم بالدخول فى الإسلام وقلوبهم منه خاوية وتشيعوا لآل بيت رسول الله وصدورهم على الحقد طاوية واستغلوا عواطف المسلمين وحبهم لآل بيت الرسول عليه السلام فاتشحوا بالسواد وسكبوا دموع التماسيح حزناً وأسى على ما زعموا من ظلم آل بيت وغالوا فى تقديرهم وتقديسهم حتى وصلوا بهم إلى مراتب النبوة أو يزيد وصوروا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم — غاصبين للخلافة التى هى حق على رضى الله عنه وذريته من بعده ووضعوا فى ذلك أحاديث غريبة ونسجوا فيه قصصاً عجيبـــة معظمها منتزع من أصول يهودية .

« واليهود : قوم ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب فمن السهل أن يحبكوا القصة فى خبث ومهارة حبكا تاما ثم يذيعونها بين أوساط العامة ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة فإذا بها قد شاعت وانتشرت ثم تلقفها الناس بعد ذلك منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله منها ومن قائليها براء » .

وقد صاغت اليهود أفكارها القديمة التى جاء الإسلام ومن قبله كل أديان السماء للكشف عن زيفها — صاغت اليهود هذه الأفكار فى أسلوب براق وفى منهج علمى واتخذت أساليب مستحدثة وقدمت فكرها فى أجواء زاهية ومن خلال مطبوعات فاخرة ولما كانت دعوات الهدم تعارض الأديان والأخلاق فانها قد تجد من بعض الجماعات البشرية تقبلا بالاغراء ومن هنا تتعرض الأمم للأخطار جيلا بعد جيل وتبرز الآثار المروعة التى لا يدفعها إلا أن تعود الأمم مرة أخرى إلى إلتماس مناهج الله ومن أخطر ما تواجهه البشرية اليوم مخططات التلمود التى صيغت فى دعوات هدامة كالماسونية وحركات خطيره كالصهيونية وأساليب عمل كبروتوكولات صهيون وهدفها هدم الدين والأخلاق والحضارة واستعمال كل الأساليب لفرض سيطرة الصهيونية على العالم .

إن هدف أيدلوجية التلمود هو إقامة إمبراطورية الربا العالمية وقد رسم اليهود أهدافهم بدقة خلال منفاهم فى بابل منذ ألف عام تقريبا حيث أعدوا مخططا كاملا للسيطرة على العالم والإنتقام من الأميين ومن أجل هذا أجرى اليهود تحريفات كثيرة فى كتبهم المقدسة ومنها برزت نقمتهم وأحقادهم فقد حشوها بأفحش القول وأبشع الحقد على الأديان والأمم وضمنوها هديداً من التعاليم الضالة والمبادىء الحاقدة والقيم الفاسدة وأساءوا الأدب مع جلال الله فوصفوا الله بأشنع الصفات تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

المخطوطات التلمودية

تقوم مخططات أيدلوجية التلمود التى تقوم الماسونية بواجهة أساسية فى تنفيذها على أهداف واضحة هى :

أولا : محاربه الأديان بصورة عامة وبث روح الالحاد والإباحة بين الشعوب .

تقول المصطلحات : يجب ألا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأول الذى هو الدين ، بإزالة رجاله إن غايتنا قبل كل شيء هى إبادة الأديان جميعاً .

وتطرح الماسونية شعاراً خطيراً : هو أنه لافرق بين دين ودين حتى ولو كان فى نظرها باطلا وتستهدف القضاء على اعتزاز كل إنسان بدينه أو التمسك به كما ترعى الماسونية أديانا باطلة كالمجوسية والبرهمية والزرادشتية .

ثانيا : تدمير القوى البشرية ومعنويات الأمم واستذلالها واستعبادها

ثالثا : السيطرة على الشباب من أولى الغايات :

تقول المصطلحات : دعوا الكهول والشيوخ جانبا وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال لابد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين . إن الماسونية تستعين بالفرق والأندية الرياضية والجمعيات الموسيقية لاستدامة نفوذها على أوساط الشبيبة ان حرية الآباء لاتتفق مع مصالحنا وغايتنا أبدا .

يجب تربية الأطفال وفق منهاج مقرر

إن الجمعيات الرياضة والفرق الموسيقية وغيرها من المؤسسات التى تربى الناشئة عقليا وجسمانيا هى المرتع الخصيب لنمو الماسونية فيها .

إن غاية الماسونية هى تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بأفكارها

تقول البروتوكولات : لقد خدعنا شبيبة الخوارج وأفسدنا آدابها وجعلناها شبيهة بالبهائم وأفقدناها نشاطها بما علمناها وألقينا فى ذهنها من المبادىء والنظريات الكاذبة .

ويقول ماكس نوردو : ادعوا إلى تنشئة الجيل الصاعد على الكذب والتمويه والمخادعة ، وعلى الأنانية وحب المنفعة والسعى وراءها بكل الطرق .

رابعاً : اشعال الثورات والفتن والاضطرابات وانفاق الأموال الطائلة فى سبيل الأغراض الهدامة وقد اعترف كثير من المصادر اليهودية بأن البناء الحر أى الماسونية كان لها أعظم الشأن فى تدبير الانقلابات والثورات وخاصة الثورة الفرنسية وبلاد البلقان(١)

خامسا : خلق جيل العلمانيين فى العالم لمعالجة القضايا على أساس مادى وابعاد الآثار العقائدية والروحية عن مخططات السياسة والاجتماع .

سادسا : التركيز على المذاهب والفلسفات تقول المخططات إن أهم العوامـــل التى ساعدت على انتشار الماسونية طوال القرن الماضى : هى المذاهب الحرة التى تعتبر من نتاج الفكر البشرى .

سابعا : الاختفاء وراء المسرح السياسى يقول بنيامين اسرائيل السياسى

---

(١) انظر الإسلام والدعوات الهدامة أنور الجندى ص ١٠٤ — ١٠٣ ط أولى سنة ١٩٧٤

الانجليزى عام ١٨٨٤ م ان الذين يديرون دفة السياسة فى العالم ليسوا هم الذين فى دست الحـــكم ظاهراً وإنمـا هم أولئك الذين يكمنون وراء الـكواليس .

ثامناً : بث الدعاية الخبيثة للمبادىء القاتلة للدين والأخلاق باسم المذاهب السياسيه والاجتماعية والاقتصادية بحيث تسود هذه المبادىء على روح الأديان والدعوة إلى الأدب الشخصى الخالى من الإيمان بالبعث يقول (الن) إن الـكتاب الذى يجرى فى عروقهم دم يهودى كانوا فى طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والأدب والمجتمع .

تقول البروتوكلات : انظروا إلى نجاح مذهب دارون ، ومار كس ؛ وجميع المذاهب هى من صنع دسائسنا فإنكم لا تجهلون تأثير سموم هذه التعاليم فى عقول الخوارج .

تاسعا : التركيز على المرأة والدعوة إلى تحريرها ونزعها من الدين والأسرة واجتذابها إلى المراقص والمحافل .

تقول المخططات : لسنا بمسيطرين على الخرافات ـ ويقصدون الأديان ـ إلا يوم تشاركنا المرأة العمل والمرأة رسول لمبادئنا الحرة تخلصها من نفوذ الـكهنوت أن خطتنا هى دفع الأبناء إلى نبذ السلطه الوالدية وإلقاء الـكراهية بين الأولاد ووالديهم)(١)

أن الاعتراف بالجميل ليس واجباً لازما على البنين لوالديهم وليست السلطة الأبويه تدوم والنساء من أقوى العوامل للفوز بنسف الدين ونشر الفساد .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٦

وتقول المخططات : إن العفه المطلقة مرزولة عند الماسونية لأنها ضد ميل الطبيعه .

ويقول الدكتور أحمد أبو شادي في كتابه عن الماسونية : المرأة لا تستطيع الحياة الكريمة إلا إذا حاربت رجل الدين .

عاشرا : تدمير الإسرة : والدعوة إلى الزواج المدنى العقيم لاستنزاف قوة الإله والدعوة إلى الإباحة المطلقة وإشاعه الاغلاط فى الفرد والمجتمع والأمة .

تقول المخططات : إن الهجوم على رب العائلة هو الأمر الجوهرى فى استمالة الناس إلى جماعتنا . ومن الضرورى افراد الرجل عن عائلته وافساد أخلاقه وترغيبه فى المعيشة الحرة . إن الخلاعة باب واسع لسن الزواج المدنى إن الزنا ليس بمحظور إذا تسامح الرجل بامرأته لغيره

يقول دالمار : إن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من الحرب السبعينية وأخسرتها عدداً وافراً من الرجال .

حادى عشر : الدعوة إلى التعليم العلمانى اللادينى الذى يفسد قلوب الشباب ويفرض مقومات الرزيله .

تقول المخططات : إن الدعوة إلى أن تكون المدارس علمانية الزامية هو إخراج للابناء من رعاية الآباء إن تهذيب الأحداث هو حجر الزاوية فى بنائنا الحر ينبغى أن ننفى التعليم المسيحى التعليم لا يهتم بالديانة وننفى كل تعليم دينى ، المدارس الجديدة تعمل على نشر الفساد والخلاعة واقتلاع العفة من عقول الفتيات

ثانى عشر : توفير أسباب الفساد عن طريق الثقافة والصحافة وذلك بنشر الروايات المباحه والصور الخليعة والأغانى البذيئة ونشر الخرافات

ثالث عشر : جحود الخالق الاعظم واطلاق اسم له من غير اسمائه الحسنى التى اختارها سبحانه لنفسه لجعلوه بمنزل مهندس الكون كأنه لم يخلق الكائنات من العدم وإنما هو مهندسها فقط ومنظمها وزادوا على ذلك الاسم ابهاما بقولهم (المهندس الاعظم) كأن الله جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا قد استعان فى هندسته هذه بغيره من المهندسين فكان هو الاعظم بينهم .

رابع عشر : احياء النحل والوثنيات القديمة يقول رينان وهو أحد كبار دعاة الماسونية : ليس فى العالم عبادة موافقة للعقل السليم ولمبادىء العلم كعبادة الشمس فهى إله كرتنا الارضية ويقول أحد فلاسفة الماسونية : أن (أدونيرام) فى مذهب الماسونية هو أوزيريس إله المصريين . أوميترا إله الفرس أو باخوس إله الرومان أو أحد الالهة المتعددين الذين كانوا فى سالف الزمان ويقول فرفندمور : كل اعتقاد دينى اساسه ما وراء الطبيعه — كالاله غير المنظور — فهو ضعف فى عقل الانسان ويقول فلاسفة الماسونيه علينا أن نرقى فوق طبقات كل الاديان نتحرر أيضا من كل اعتقاد بوجود إله أيا كان ويقول آخر : لم يوجد أحد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البله والحمقى ومن هنا كانت محاولة الماسونية الخطيرة التى نفذتها فى التعليم الغربى وهى نفى اسم الله من كتب التعليم فى المدارس المتوسطة[١] .

رابع عشر : القول بان المادة انما تترقى من تلقاء نفسها بكرور الدهور إلى ان يتمخض جمادها فيلد النبات ويتحول النبات إلى حيوان وينسل الحيوان انسانا همجيا ذا عقل ضعيف والهدف من هنا هو اقناع أتباعهم بانه لا شيء يلزمهم من الفرائض والواجبات نحو العمران البشرى وأنه ليست هناك شرائع وتعاليم مفروضة على جميع البشر[٢] .

---

(١) مجلة الشرق م ١٢

(٢) لويس سفحو اليسوعى ١٣ المشرق ص ٦٨٧

خامس عشر : اعلان حرية العقل ضد السلطة الدينيه واستقلال الانسان ضد استبداد رجال الدين واستقلال المدارس الحرة المجردة من تعليم الدين ويعلنون أن العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون كل عقيدة بنيت على اساس الوحى[1] .

ويرون أن من حرية البحث انتقاد عقائد الدين .

السادس عشر : تأليه المال أو عبادته واستعمال كل الوسائل فى سبيل الحصول عليه كالرشوة والكذب والعنف والانتهازية .

سابع عشر : احتقار كل الشعوب وكل الاديان ووصف الشعوب بالأمية (يقول التلمود ان الاميين هم الحير الذين خلقهم الله ليركبهم شعبه المختار) .

الثامن عشر : اشاعة الادب المكشوف الاباحى يقول البروتوكول «سننشر بين الشعوب أدبا مريضا قذرا تغثى له النفوس ويساعد على هدم الاسره وتدمير المقومات الاخلاقية للمجتمعات المعادية لنا وسنستمر فى الترويج لهذا الادب وتشجيعه . ومن هذا الادب المريض القذر تنطلق الدعوة إلى الإباحة المطلقه لهدم الاسرة وتدمير الاخلاق فى المجتمع .

التاسع عشر : تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحيه وسحق القيم الروحية وإثارة الشكوك حول المعتقدات وطرح فلسفات الشك .

العشرون : الدعوة إلى العالمية وتذويب القوميات والعصبيات الدينية والعنصرية ومن هنا كان تركيزهم على نبذ التعصب القومى والدينى واعتبار الانسان مواطنا فى العالم كله وخلق أسباب الصراع بين الدين والقوميه وايجاد التناقضات بين الإسلام والعروبه وطرح فلسفة الأجناس والعناصر والدماء والاقليات .

---

(١) السر المصون فى شيعة الفرمسون نقلا عن انور الجندى ص١٠٨ .

الحادى والعشرون : تمجيد الغريزة واعادة نمط الوثنية الاغريقية والدعوة إلى اطلاق عنان الشهوات البشرية والترخيص للرجل والمرأة ان يفعلا ما يشاءان من التهتك الحسى وعشق الذكور وتكشف هذه الصفحة موضع كتابات فرويد تقول البروتوكولات : للتوصل إلى حكم العالم يجب ان نقوم بتكثير النقائص والشهوات ونشوء الشرائع المصطلح عليها بحيث يضيع الجميع ويتبلبلون بهذا الخواء .

الثانى والعشرون : السيطرة على الصحافه والمسرح والعلم تقول البروتوكولات : ان الصحافه والمسرح والمضاربة والشريعة كل ذلك يجب ان يكون تحت تصرف من فى قبضتهم كل ذهب الارض وهى اقوى سلاح لإثارة الرأى العام وافساد اخلاق الشبيبه ولتهييج عومى إلى الرذيلة لملاشاة كل ميل إلى التهذيب المسيحى لتشييد عبادة المال والمادة والشهوة الكلية للملاذ يقون البروتوكول : يجب تكون الصحافة تافهه كاذبه بعيدة عن الحق انها تعمل للتحريض واثاره المشاعر التى نحن فى حاجة اليها من أجل أهدافنا .

الثالث والعشرون : خلق دائرة مغلقه متكاملة من مناهج التفكير والعمل والحياة يحول بين البشر وبين التخطيط لأنفسهم تقول المخططات: لقد فقد الخوارج عادة التفكير خارجاً عن آرائنا العلميه ويقول وجب علينا أن نقوض اركان كل ايمان وننزع من عقل الخوارج الاعتقاد بالله وبالنفس وذلك بشغلهم بقوانين رياضية وضروريات ماديه .

الرابع والعشرون : نشر الرزائل والخمر تقول البروتوكولات يفقد الخوارج رشدهم بتناولهم المشروبات الكحوليه وتسير شبيبتهم إلى الجنون بفرط ما تلقفته من المبادىء المدرسيه وبانهما كها بالرزائل التى شرب إليها من عما لنا وموظفيا كالمعلمين والخدم والحاضنات وبنوع أخص من

نسائنا اللواتى يترددن إلى محلات الملاهى عند الخوارج وانى أعنى بهؤلاء الأخيرات بنات الهوى اللواتى يتزاحمن على الرذيلة والدعارة .

الخامس والعشرون : الغض من قدرة العلماء والمتخصصين فى العقائد والاديان يقول البروتوكول ١٧ : وقد عنينا عنايه كبيرة بالحط من كرامه رجال الدين عند الأميين فى اعين الناس وبذلك نجحنا فى الاضرار برسالتهم التى يمكن ان تكون عقبه كؤوداً فى طريقنا وان نفوذ رجال الدين ليتضاءل يوماً فيوماً .

السادس والعشرون : الدعوة إلى الالحاد عن طريق حرية العقيدة — يقول البروتوكول : لقد خدعنا الجيل الناشىء وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات يجب ان تحطم كل إيمان وتكون النتيجه المألوفه لهذا هى اثمار ملحدين يجب ان نكتسح كل الاديان والعقائد الاخرى ويقول : أن لفظ الحريه يجعل المجتمع فى صراع مع جميع القوى بل مع قوة الطبيعه وقوة الله نفسها .

السابع والعشرون : الدعوة الى الانحلال — تقول البروتوكولات علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتبعة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كما نريد .

تحديات من داخل المجتمع الإسلامى قديما

لقد كان هناك غزو فكرى من داخل المجتمع الإسلامى اتخذ اشكالا متعددة فظهرت الشعوبية التى تمجد العنصرية وتحاول أن يعود الناس إلى الجاهلية الأولى وذلك ليحي الشعوبيون مجدهم الضائع الذى توارثوه أجيالا طويلة قبل أن يشرق عليهم نور الإسلام على يد العرب الفاتحين أنهم لم يستطيعوا مواجهة للفاتحين مواجهة سافرة بالحرب فانتهزوا فرصة الحرية الفكرية ووضعوا كتبا محشوة بالآراء والمذاهب الدينية القديمة فى بلادهم وكتبوا فى مثالب العرب والحط من شأنهم ورأينا فى خطبه زياد ابن أبيه ما يشير إلى هذة النزعة الشعوبية فهددهم بالأخذ بشدة أن تنادوا بها . كما كان للحجاج الثقفى موقفه الشديد اراء هذه النزعة.

(معمر بن المثنى صاحب كتاب مثالب العرب أصله يهودى ، توالى نفث هذه السموم فى البلاد التى مازالت تتغنى بامجادها القديمة فرأينا الروندية ينتهزون فرصة قيام أبى مسلم الخراسانى بالدعوة إلى العباسيين فى خراسان فروجوا معتقداتهم القديمة عن الحلول والتناسخ وزعموا أن روح الإله انتقلت إلى على وأبنائه من بعـــده حتى انتقلت إلى أبى مسلم الثائر ضد الأمويين ونادوا على هذا الأساس بأن أبا جعفر المنصور هو ربهم الأعلى وقد أخمدت هذه الفتنة أخيرا ومثل هـذه الفتنة التى تريد تسميم الفكر الإسلامى فتنة الخرمية نسبة إلى خرما زوجة « مزدك » زعيم الأباحية القديمة عند الفرس وهؤلاء قد استعانوا بالبيزنطيين ضد الدولة الإسلامية وكذلك جماعة الحشاشين القائلين بالظاهر والباطن إلى غير ذلك من السموم التى استهدفت تشويه العقائد الإسلامية والثأر من المسلمين الذين أضاعوا أمجادهم الجاهلية القديمة وفتنة القرامطة فى هذا المجال معروفة.

أن الزنادقة أيضا لعبوا دورا هاما ضد العرب والإسلام وكان سلاحهم

التشكيك فى الأصول الثابتة والدعوة إلى التحلل من القيود معتمدين فى نشاطهم على المانوية إحدى الأديان الفارسية القديمة كما عمدوا إلى تجريح رجال العرب وفقهاء الاسلام وتمجيد الفرس وألفوا كتبا شوهوا بها اخلاق العرب كقولهم فيها «أن كرمهم كان تبذيرا وشهامتهم كانت تهورا ومروءتهم كانت ضعفا . ووجد هؤلاء مسرحا لمجونهم فى بيوت البرامكة الذين شجعوا على اللهو ومجالس الغناء حتى قال أحد شعرائهم فى الطعن على العرب والدعوة إلى التحلل من الدين .

يبكى على طلل الماضين من أسد
لادر درك قل لى : من بنوا سد
ومن تمـــيم ومن قيس ولفهما
ليس الأعاريب عند الله من أحد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة
صفرا تفرق بين الروح والجسد

والنزاع السياسى وبخاصة بين الأمويين والهاشميين كان له أثره فى دس أفكار واختلاق مبادىء نشأت على أثرها فرق لبست ثوب الدين ونشطت فى بث أفكارها وسمومها وفى كتب الكلام منها كثير لقد قال بعض الباحثين عن الجبرية والقدرية، أن الأمويين قالوا بالجبر حتى يرضى الناس بقضاء الله فيهم بحكم الأمويين لهم والعباسيون احتضنوا فكرة القول بالاختيار ودور قدرة العبد فى خلق الأفعال ليثبتوا أن حركتهم التى انتزعوا بها الملك من الأمويين كانت بفضل نشاطهم وكسبهم واختيارهم.

بل وصل النزاع السياسى إلى حد وضع الأحاديث على النبى ﷺ لتبرير تصرفات القائمين على الأمر.

والوصوليون والمتطفلون وجدوا فى هذا النزاع فرصة لزيادة نشاطهم

الخبيث كما أن آيات القرآن أولت لتوافق الأهواء وأدعى البعض أن لها ظاهراً وباطناً وأن لهـــا اشارات هادفة وجهوها إلى من يريدون من الشخصيات والجماعات .

هذه الأفكار المسمومة التى غزى بها الإسلام فى أيامه الأولى وجدت مرتعا خصيبا فى أيام العباسيين بالذات وكان من العوامل المساعدة لها استيراد الكتب الأجنبية المملوءة بالأفكار المعقدة التى لا تتلاءم مع بساطة الفكرة الإسلامية ونقائها وابن النديم يحكى أن المأمون استأذن ملك الروم فى البحث عن العلوم التى فى خزانة بلاده وأرسل من ترجموا له ما اختاره من كتب .

وكان من شروط صلحه مع ميخائيل الثالث الأمبراطور البيزنطى أن يعطيه احدى مكتبات الاستانة وكان ذلك .

وعن هذا الطريق وغيره دخلت أفكار اليونان والرومان كما ظهرت أفكار الفرس وحكمة الهنود على سطح الثقافة الإسلامية وفتن بها الكثيرون وبلغ من عناية بعض المؤلفين بها أن وضعوا كتبا تحاول التوفيق بين هذه الثقافة الغريبة وبين ما جاء به الإسلام بصرف النظـــر عن نجاحهم أو نشاطهم فى هذه المحاولة .

كما فعل الكندى والفارابى وابن سيناء وغيرهم كما يلاحظ فى بعض المجتمعات الأفريقية والأسيوية التى دخلت فى الاسلام قديما أو حديثا والتى كانت تؤمن بالأرواح والأشباح أو تؤمن بعقائد قديمة بوذية أو مانوية أومزدكية مثلا أو تتعصب لحضارة قديمة كالأشورية والفرعونية مثلا يلاحظ أن كثيرا من المسلمين دخلوا فى الاسلام ومعهم بعض هذه المؤثرات القديمة ولم يستطع الكثيرون التخلص من سلطانها فكان القديم دائم المحاولة للظهور على الأفكار والسلوك كما يظهر الطفح على جسم

المريض علامة على أمراض باطنية دفينة ومن الجدير بالذكر أنه من خلال مخططات التغريب فى العصر الحديث برزت مجموعة من التابعين الذين شكلهم النفوذ الغربى فى ارسالياته ومعاهده يحتقرون كل قيم العروبة والاسلام ويعارضون مقوماتها ويقفون موقف الاستهانة والغض من قدرها وقد تشكل من خلال هذه المضامين المنحرفة مايسمى بالشعوبية الحديثة وهى مضامين تحمل معارضة صريحة للقيم الأساسية للفكر الاسلامى ومفاهيم فى اللغة والقرآن والرسول والاسلام والتاريخ والتراث وتقوم فى أغلبها على انتقاص هذه المقدرات والغض من شأنها واثارة الشبهات حولها وهى فى مجموعها تقوم على الأسس الآتية :

١ — الاقليمية واعلاء شأن الدعوات القديمة كالفرعونية والفينيقية والجاهلية العربية والوثنية اليونانية واحيائها فى الأدب والتاريخ والمسرحية والرواية .

٢ — انكار الروابط العربيه الاسلامية الجامعة .

٣ — الغض من قدر اللغة العربية واعلاء العاميات .

٤ — انتقاص التاريخ العربى الاسلامى .

٥ — محاولة وضع مصطلح القومية الوافد مكان مفهوم العروبة الأصيل .

٦ — انكار أثر الحضارة الاسلامية العربية فى الحضارة البشرية .

٧ — تفريغ مفهوم العروبة من القيم الاسلامية والتاريخ والتراث ويغلب على هذا الاتجاه طابع العنصرية وغلاف « العلمانية » واطار راق من النهج العلمى الخداع الذى يخفى وراءه أكبر مخاطر التعصب والحقد

والتشكيك والانتقاص وتستهدف الشعوبية الحديثة إذابة العرب والمسلمين فى مفهوم زائف وخطير هو مفهوم عالمية الثقافة أو منهج الفكر الحر وكلاهما من صياغة الدعوات الهدامة التلمودية الصهيونية اليهودية(١).

(١) الإسلام والدعوات الهدامة أنور الجندى صـ ٢٥٥/٥٦

تاريخ الغزو الفكرى

هناك غزو خارجى للفكر الإسلامى سار فى خط متواز مع الغزو السياسى والعسكرى وإن لم يظهر بوضوح إلا عندما فشلت الحملات العسكرية فى القضاء على الإسلام كدين ودولة ،والتاريخ قد فصل حركة الغزو التترى الذى كان من نتائجه قتل كبار العلماء والكتاب وإلقاء الكتب التى حوت تراث الإسلام وفكر المسلمين فى دجلة ولم يصده عن متابعة غزوه إلا هزيمته فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ .

ويذكر التاريخ أيضا أخبار الحملات الصليبية التى انكسرت حدتها بضربة صلاح الدين حين خلص بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ .

ولم تنته الموجات الصليبية الحاقدة إلى يومنا هذا على الرغم من قول الجنرال « اللنبى » البريطانى الذى دخل بيت المقدس فى الحرب العالمية الأولى : الآن قد انتهت الحروب الصليبية وعلى الرغم من قول « جورو » الفرنسى : ها قد عدنا يا صلاح الدين كما حكى التاريخ محنة المسلمين فى الأندلس التى ظل الإسلام يؤدى فيها رسالته الحضارية ثمانية قرون وقت أن عبر جيشهم مضيق جبل طارق سنة ٧١١ م إلى أن خرجوا منها لآخر مرة سنة ١٦١٠ م

ومما يدل على حقد النصارى على المسلمين أن الكاردينال (كسيمنس) أمر سنة ١٥١١م بإحراق الكتب العربية والمصاحف المخطوطة فى ميادين غرناطة ثم تولى ديوان التحقيق الدينى إبادة آثار المسلمين .

وعلى الرغم من هذه الحركات السياسية والعسكرية ضد الإسلام فإنه ما زال بعقيدته ومبادئه باقياً وما زال ينتشر وينتشر فى بلاد كثيرة بعيدة

عن المركز السياسي الرسمي للإسلام ، الأمر الذي جعل الأعداء يعدلون من خططهم في الغزو فكان الغزو الفكري بديلا عن الغزو العسكري ، والسياسي وكانت له أسلحته ذات النوعية الخاصة والأساليب المبتكرة مع تيقظ العدو لكل نشاط عسكري وسياسي يقوم به المسلمون لاستعادة أمجادهم الأولى كما حدث في تكتل الدول الحاقدة ضد الخلافة العثمانية التي وصلت بفتوحاتها وقواتها العسكرية إلى أسوار فيينا ثم كانت المسألة الشرقية التي صفيت بها تركيا وجعلت تحت النفوذ الأجنبي وكانت حقلا خصيباً لمتابعة الغزو الفكري والخلقي(١) .

أهـــداف الغزو الفكري

عندما أفلس الأعداء في العصور الوسطى في وقف المد الإسلامي عن طريق الحروب انكشف لهم عن هـذا الطريق وغيره من الطرق أن سر عظمة المسلمين وقوتهم يكمن في عقيدتهم وأخلاقهم ونظام حياتهم المعتمد على دستورهم السماوي وهو القرآن فركزوا هجومهم على مراكز هـذه القوة فتناولت حملاتهم على أصل الإسلام وهو القرآن الكريم والتفسير الصحيح لهذا الأصل وهو السنة الصحيحه لرسول الله ﷺ ووجهت هذه الحملات سمومها إلى الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي على النحو الذي سنفصله بعد(٢) .

وقد جند الأعداء لغزوهم ما استطاعوا من جيوش مناسبة ، وزاد هذا

(١) الإسلام في مواجهة التحديات ص ٢١ ، عطية صقر .

(٢) الغزو الفكري على عبد الحليم ص ٢٥

الهجوم ضراوة فى عهد الاستعمار الذى انقضت فيه أوربا على البلاد الغنية بخيراتها فى آسيا وأفريقيا بالذات .

وفى غمرة هـــذا السعار الاستعمارى الذى دفعهم إليه الثراء المادى والسلطان السياسى وجدوا أن كثيراً من هذه المستعمرات يسودها الإسلام عدوهم الأول فوجهوا همهم إلى تحطيمه أو إضعاف نفوذه عن طريق الطعن فى عقائده وأخلاقه ونظمه الاجتماعية بالذات وكان الدافع إلى هذا السلوك هو الثأر من الإسلام الذى كان له السلطان على بعض بلادهم فى الأندلس وغيرها ، وكذلك لوقف مده وإضعاف أثره على نفوس المعتنقين له الذين تعلموا منه تعشق الحرية والمساواة ، والعدالة ، ورفض التحكم والاستغلال وكل أنواع الظلم .

ذلك إلى جانب أن الإسلام لا يقتصر نشاطه على بلد معين بل تقوم فكرته على إبلاغ الدعوة إلى العالم كله فلا بد من محاصرته وشل حركته ومنعه من الانتشار خارج بلاد المسلمين .

وكذلك كان نظام الإسلام نظاماً متكاملا متينا قائما على العقل ومتجاوبا مع الفطرة وهذا يعطيه قوة يتمكن بها من النفوس بحيث لا ترى حاجة إلى غيره من النظم التى يأتى بها الاستعمار .

لهذه الأمور كان اهتمام الاستعمار بغزو الإسلام اهتمام بالغاً لم يبذل ضد أى دين آخر فإن كل ما وراء الإسلام أضعف من أن يهتم به لأنه لا يملك من أسباب القوة ما يملكه لأن الإسلام هو الدين البسيط فى مثاليته وفى واقعيته وهو الذى يتفق والفطرة الإنسانية التى فطر الناس عليها « إن الدين عند الله الإسلام »[1] .

ومن هنا تسرع النفوس فى الاستجابة إليه متى خلى بينها وبينه .

---

(١) آل عمران آية ٩

والإسلام هو الذى حرر الإنسان من كل الضغوط التى تلغى شخصيته وتهدد كرامته كإنسان وتسمح له بل وتطالبه أن يتعامل مع الآخرين مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية معاملة الند للند، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١) .

والإسلام هو الدين الأعظم الذى يستطيع أن يجتاز بالإنسان مرحلة التناقض بين الفكر والسلوك ويعبر به حالة التذبذب بين العبادة والعمل ، وحالة التمزق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة .

الإسلام الذى أتاح للإنسان فى كل تعاليمه — أن يكون من أعظم العاملين للآخرة ولمرضاة ربه فى الوقت الذى يكون فيه غارقا فى شئون الدنيا على نحو ما قال الله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض »(٢) .

الإسلام بهذا هو الدين الذى فتح أمام الإنسان الطريق الواقعى الممكن لممارسة حالة الارتقاء من وهدة الطين إلى عوالم الخير ، والعدالة ، والحق .

وهذه الميزات التى اختص بها الإسلام هى التى تؤرق مضاجع هؤلاء الغزاة لأنها تكشف باطلهم ونظرهم أمام شعوبهم وأمام الأمم التى يطمعون فى الاستيلاء عليها بمظهرهم العدوانى الحقيقى ومن ثم تهدد مخططاتهم جميعاً أبلغ تهديد فأعداء الإسلام — يريدون عالماً أعمى كأنه عالم من العجماوات يقاد من أذنيه ويضحك عليه الجزار بحزمة من البرسيم قبل أن يحتز عنقه بالسكين .

---

(١) الحجرات آية ١٣ (٢) القصص آية ٧٧

هم يريدون شعوبا تعاملهم معاملة العبيد فتقبل منهم ما يعطونها وتصبر على كل ما ينزلونه بها من طغيان أو استبداد وتكدح ليلها ونهارها لكى تنتفخ الخزائن فى مصارف المرابين .

هم يريدون شعوبا يكون همها الأول والأخير لقمة الخبز .

فإذا جاء الإسلام ليسوى بين الناس وليرفع القداسة عن المخلوقين ويستبقيها للخالق وحده فهذه عندهم كارثة يجب العمل للحيلولة دون حدوثها .

والأعداء فى تقدير خطر الإسلام عليهم لا ينطلقون من الفكر النظرى المجرد وانما يؤسسونه على ملاحظة الواقع ومتابعة مسيرة هذا الدين واثره فى معتنقيه منذ ظهوره .

فقد أكدت لهم خبراتهم السابقة مع الإسلام أنه بالفعل يمكن أن يكون خطرا عليهم وان يهددهم فالمسلمون فعلا قد استطاعوا يوما أن يسيطروا على الدولتين الفارسية والرومانية وان يحرروا من كانوا فيهما من البشر ويقوضوا أركان الطغاة والمسلمون يوما قد استطاعوا أن يعبروا البحر إلى شبه جزيرة الأندلس وان يجتاحوا معاقل الإعداء ويقيموا فيها المساجد واستطاعوا قبل هذا أن يعرضوا على الناس صورة لم يروها من قبل لهذا الدين العظيم واذ الآلاف من المقهورين والعبيد يجدون فيه خلاصهم وينضوون تحت لوائه .

أعداء الإسلام فى الغرب رأوه ذات يوم يدق عليهم أبوابهم ويضىء مشاعل الهداية والنور فى البقاع التى كانوا يحرصون على أن تبقى فى الظلمة والجهالة .

واذا فهم يعرفون جيدا أن الإسلام يمكن أن يحرر العبيد من قبضتهم

ويمكن أن يضع حدا لطغيانهن واستبدادهم بالناس وهذا بالنسبة لهم كارثة لأن أخوف ما يخافه المجرمون عادة أن يفضح أجرامهم أمام قاض عدل .

ومن هنا كان الجزء الهام من استراتيجيتهم أن يحاولوا حصر الإسلام داخل ديار المسلمين وان يعملوا بكل الطاقات لوقف إنتشاره خارج هذه الديار وكانت لهم فى ذلك وسائل متنوعة تقوم على تشويه حقائق الإسلام واظهار أتباعه فى أسوأ صورة وتصوير الإسلام على أنه دين العنف والدماء وتصوير مزايا الإسلام على أنها عيوب واتهام الإسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية بين أتباعه .

وقد صرح كثيرون بذلك فكشفت نياتهم فى تخطيطهم لمحاربة الإسلام بهذا السلاح الجديد .

يقول « أدوين بلس » فى كتابه « مشروع التبشير » : أن الإسلام هو العقبة فى طريق تقدم التبشير فى أفريقيا ، والمسلم فقط هو العـــدو اللدود لنا وليس خصمنا العربى تاجر الرقيق بل العدو هم الدراويش والشيوخ وجولاتهم وكذلك الأزهر الذى ينادى بالجهاد » .

ويقول « وليام جيفورد بالكراف » : متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه (١) .

وجاء فى قرارات المؤتمر الاستعمارى الألمانى « أن ارتقاء الإسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم » (٢) .

---

(١) انظر أباطيل واسمار تأليف محمود محمد شاكر ص ١٦٩ — وقائل هذه العبارة بلغراف انظر ص ١٧٤ لمحات فى الثقافة عمر الخطيب ص ١٧٤

(٢) الغارة على العالم الإسلامى

ويقـــول « موروبيرجر » استاذ الشرق الأدنى بجامعة برفستون الأمريكية في كتابه « العالم العربي » حين تحدث عن معارضة الغرب لوحدة العرب .

لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعني قوة الإسلام ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الإسلام انتصارات واسعة في أفريقيا .

وكذلك مما يدل على أن هدفهم الأكبر هو حرب الإسلام كدين ونظام شامل ما جاء في شروط المعاهدة التي عقدها الحلفاء مع تركيا في مؤتمر « لوزان » سنة ١٩٢٣ م دليلا على النوايا السيئة لابعاد الإسلام عن مجال الحياة السياسية وحصره في دائرة ضيقة بعيدا عن المجتمع تطبيقا لمبدأ فصل الدين عن الدولة الذي أقاموا عليه نهضتهم الحديثة .

لقد كان من بنود هذه المعاهدة (١) .

١ — قطع كل صلة بالاسلام — تتمثل في محاربة اللغة العربية وتغيير نظم التعليم — .

٢ — إلغاء الخلافة الاسلامية .

٣ — اخراج انصار الخلافة والفكرة الاسلامية من البلاد .

٤ — اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

وقد اضطر الاتراك إلى استعمال الحروف اللاتينية وفقا للشرط الأول الذي يقطع كل صلة بالاسلام وكانت حركة أتاتورك العلمانية تنفيذا لهذا

---

(١) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٢٨ محمد محمود الصواف.

المخطط الاستعمارى الرهيب فبعد أن كان الاسلام دين الدولة فى دستور الخلافة العثمانية الصادر سنة ١٨٧٦م وبقى منصوصا عليه فى الدستور عندما أعيد سنة ١٩٠٨م وحتى بعد إلغاء الخلافة فى دستور تركيا الكمالية الصادر فى سنة ١٩٢٤م الغى هذا النص رسميا سنة ١٩٢٨م حين أصبحت الدولة علمانية من هذه الناحية .

الفصل الأول

التبشير

هناك ثلاثة حشود جبارة موجهة إلى ميدان المعركة ضد الفكر الإسلامى وهى : المبشرون والمستشرقون والاستعمار وبين هؤلاء الثلاثة تحالف قوى فى هذه المهمة الخطيرة ويتبع هذه الثلاثة حشد منتفع أو انتهازى يصطاد فى الماء العكر وهم العملاء المقيمون فى داخل المجتمع الإسلامى لتنفيذ خطط هؤلاء ومساعدتهم فى بسط نفوذهم الثقافى والأخلاق وفى كل ما يريدون .

التبشير

تعريفه ونشأته :

كلمة التبشير — كما يفهم من معاجم اللغة — الخبر الذى يفيد السرور إلا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذى يؤثر فى البشر تغيرا وهذا يكون للحزن أيضا فوجب أن يكون لفظ التبشير حقيقة فى القسمين(1) .

فالتبشير من البشرى والبشارة مصدر لفعل بشر أبشر أى أخبر خبرا يؤثر فى البشرة وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن إلا أن استعماله الأكثر فى الفرح وقد يحمل استعماله فى الحزن معنى التبكيت فبشرهم بعذاب اليم .

---

(1) تاج العروس جـ ٣ ص ٤٥ ط الخيرية مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

وفى الإصطلاح أطلق التبشير فى الكتب الحديثة على المنظمات الدينية التى تستهدف تعليم الدين المسيحى ونشره فى دولة ما مع أن هذا مناقض لما جاء فى الإنجيل عن عيسى عليه السلام قوله لم أرسل إلا إلى خراف بنى اسرائيل الضالة .

وقد إهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالمسيحية فى العالم الإسلامى بالذات فى القرون الأخيرة — لتقتلع الإسلام من نفوس الناس وتحل المسيحية محله بما يطلق عليه عند بعضهم حملات التنصير ويوضح ذلك المبشر رايد فى قوله أننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة أنا لا أحب المسلم لذاته ولا لأنه أخ لى فى الإنسانية ولولا أنى أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لإساعده(١) .

ويقول كارل بكر المبشر الألمانى (أن الإسلام لما أنبسط فى العصور الوسطى أقام سداً فى وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجان المسيحية)(٢) .

ويكاد يجمع المبشرون فيما بينهـــم على الـكلمة التالية التى جاءت على لسان المبشر جاردنت : « أن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوربا .

ويصرح لورانس براون بالهدف الحقيقى للمبشرين من عملهم فى العالم الإسلامى حين يقول إذا اتحد المسلمون فى أمبراطوريه عربية أمكن أن

---

(١) التبشير والإستعمار د . عمر فروخ ومصطفى الخالدى ص ٩٢ ط بيروت .

(٢) المرجع السابق .

يصبحوا لعنة على العالم وخطراً أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له أما إذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)[1] .

لقد كان ميلاد التبشير مع فشل الحروب الصليبية تنفيذ الوصية قائد الحملة الثامنة « لويس التاسع » الذى نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية ووقوفها فى وجه أى زحف حربى مثيرة روح الجهاد فى سبيل الله ومن هنا توجه التبشير إلى العقيدة محاولة لقتلها بالفكر والختل بعد أن عجزوا عن قتلها بالسلاح والفتك .

يقول اليسوعيون فى عرض نشاطهم التبشيرى فى بلاد الإسلام .

« ألم نكن نحن ورثة الصليبين أولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدين المسيحى ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة مملكة المسيح[2] .

ذكر أدوين بلس الذى ألف كتاب ملخص التبشير أن (أرامون لك) الأسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وجال فى بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة[3] .

---

(١) التبشير والإستعمار د . عمر فروخ ود . مصطفى الخالدى ص ٣٧

(٢) السابق ص ١١٥

(٣) أنظر الغارة على العالم الإسلامى تعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ص ٢٩ — ٢٦ .

مراحل التبشير

مرت المحاولات التبشيرية بالمراحل الآتية : —

المرحلة الأولى : تنصير المسلمين :

وقد كشف ذلك بصراحة بعض المبشرين (زويمر) أنى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح[١] .

ويقول المبشر لويلم جيفورد متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة »[٢] .

ولا نستطيع أن نفصل هذه المرحلة فصلا زمنيا تاماً عما يليها من المراحل نظراً لأن ما ساد فى المراحل التالية كذلك لكن يبقى إننا نفصل بناء على الحكم الغالب وإذا كانت بداية هذه المرحلة مع أنتهاء الحروب الصليبية » التى استمرت قرنان من الزمان ١٢ ، ١٣ ، فإن تحديد نهاية هذه المرحلة تحديداً جازماً غير مستطاع لمكن أكبر الظن أنه كان مع انعقاد أول مؤتمر للتبشير فى القاهرة سنة ١٩٠٦ م ونحسب كذلك أن سبب إنهاء هذه المرحلة كان إحصاء ثم أحصيت فيه الجهود والأموال والأشخاص ، فكانت حصيلة هذه الجهود التى استمرت سنين والتى انفقت بضعاً من الملايين وجند لها من الأشخاص المئون . كانت حصيلتها تنصير عدد من الأشخاص « حوالى العشرين » ولما بحثت حالات هؤلاء الأشخاص وجد أن أكثرهم من اللقطاء الذين لم يجدوا بيئة إسلامية تعلمهم الإسلام

(١) التبشير والإستعمار ص ١٩٢ مصطفى الخالدى . د وعمر فروخ

(٢) أباطيل وأسمار تأليف محمود محمد شاكر ص ١٦٩

أو تعودهم إياه . . والذين أحسوا بـ « الضياع » فتلقفهم من يخرجهم عن دين الفطرة .

ومع ذلك فقد عاد التبشير فى السنين الأخيرة إلى ممارسة نشاطه فى التنصير بصورة مكثفة وكتب له النجاح — بكل أسف فى بعض المناطق كما حدث فى أندونسيا ونيجيريا وأفغانستان (١) .

ويقدر عدد المبشرين فى العالم بحوالى ٢٢٠ ألف مبشر منهم ١٣٨ ألف من الكاثوليك ٨٢ ألف من البروتستنت(٢).

المرحلة الثانية : الخروج من الإسلام أو التذبذب فيه :

وقد بدأت نصحاً أو تناصحا فيما بين المبشرين لما كادوا ييأسون — من تنصير المسلمين من أمثلة ذلك ما قاله المبشر كروفورد فى مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ م أن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطراً من المدنية النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الإجتماعى ومادامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الإستعداد يتولد فيها عن غير قصد منها)(٣) .

ومما قاله زويمر : « لا ينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحيه لكن يكفى جعل الإسلام يخسر المسلمين بذبذبة بعضهم عندما

---

(١) راجع د . على جريشه الإتجاهات الفكرية ص ٢٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

(٣) السابق ص ٣٠ .

تذيقب مسلما وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحا أيها المبشر المسيحى ويكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا .

وأخيرا أعلنها زويمر الذى تولى كبر هذا الامر واسندت إليه زعامة المبشرين فى مؤتمر القدس عام ١٩٢٨ : أيها الأخوان الإبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فاحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق وإن كان ليخيل إلى أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الاساسية منه أننى أقركم على على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة .

إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام .

أو رجل مستخف بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية القيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى ادخال المسلمين فى المسحية فان هـــذا هداية لهم وتكريما وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الإمم فى حياتها وبذلك تكونون انتم بعملكم هـذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلامية وهذا ما قمتم به فى الأعوام المائة السالفة خير قيام .

وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الاخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية

ونشرنا فى تلك الربوع مكامن من التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوربية والامريكية والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم اعددتم بوسائلكم جميع العقول فى الممالك الاسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد .

إنكم اعددتم شبابا فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها واخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشىء الاسلامى طبقا لما أراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه فى دنياه إلا فى الشهوات وإذا جمع المال فللشهوات وإذا تبوأ اسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شىء أن مهمتكم تمت عـــلى أكمل الوجوه وانتهتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا فى أداء رسالتكم فقد استحققتم بفضل جهادكم المبارك بركات الرب(١) .

أى رب هذا الذى يتكلم عنه ذلك المخرب — ذويمر — وأشياعه من المبشرين الذين جعلوا كل همهم قطع صلة المسلمين بالله وافساد اخلاقهم وقتل شخصياتهم وهو أشد وانكى من قتل شخوصهم ؟!!

هل هو الرب الذى تبرأ ممن تحدثوا باسمه وظنوا أنهم فى خدمته وصنعوا أعاجيب ومع ذلك رفضهم لأنهم مخربون فاعلو آثام ؟!

إن المسيح برىء من كل هذا التخريب الذى يحدث باسمه والذى يذكر له الانجيل قوله : « ليس كل من يقول لى يارب يدخل ملكوت السموات كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا

---

(١) حقائق عن التبشير : عماد شرف ص ٣٣ المختار الإسلامى ـ القاهرة

وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ أصرح لهم إنى لم اعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم[1] .

بماذا تخرج من هذا النص الخطير الذى اعلنه زويمر .؟

اعتراف بالعجز عن التنصير — فى قوله : « أقركم على أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين .

وقوله : لقد كانوا أحـــد ثلاثة : « إما صغير . أو رجل مستخف بالاديان أو رجل نفعى .

تركيزه على المهمة المركزة للتنصير وهى : أخرج المسلم من الإسلام أو ذبذبته كما عبر النص الآخر وأن حاول ستر ذلك بأن تنصير المسلمين شرف لهم واكدها مرة أخرى : لقد اعددتم شبابا لا يعرف الصلة بالله اعترافهم بالقبض على التعليم فى جميع الممالك الاسلامية ولا ندرى كيف تم ذلك مع وجود الزعامات الوطنية ومع شعارات الاستقلال الزائف .

المرحلة الثالثة : الإبعاد عن الإسلام : التغيير الاجتماعى ، التغريب .

وهى مرحلة متداخلة مع المرحلة السابقـــة أحس فيها القائمون على التخطيط أن الأخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير لأنه يستوى حس المسلم أن يقال له : صرت نصرانيا أو يقال له : أنك صرت مرتدا ومن ثم كانت زحزحة عن الاخراج إلى الابعاد ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفى أو الربعى :

فبدلا من أن يقيم الصلوات جميعا فلا بأس أن يكتفى بالجمعه وبدلا من أن يصوم التطوع تدريبا وبعـــدا عن المثيرات فلا بأس أن يكتفى برمضان أو بجزء من رمضان .

---

(١) انجيل متى ٧ : ٢١ — ٢٣

وبدلا من يأخذ ثقافته وفكره من النبع الصافى فلا بأس أن يصير « مودرن » يأخذ الفلسفة أو بعض الأفكار من هـذا الفيلسوف أو ذاك ولا بأس على الفتاة أن ترفع العباءة لتغطى نصف جسمها بدلا من جسمها كله ثم لا بأس أن تدفع بغطاء الرأس إلى نصف رأسها ثم لا بأس بعد ذلك أن تـكشف جزا من الساق أو جزأ من الذراع أو جزء من الصـدر ولا بأس أن غادرت بلادها أن تلقى خلفها بزيـها المتخلف لتبدو — مع الأوربية أكثر أثارة وأشد أناقة بيدان ذلك كله ، أخذ طريقا مرسوما فى مجالات مختلفة فى التعلم والأعلام ومفاهيم السياسة والحكم الخ (١) .

جاء فى كلمة شاتلية عن أرساليات التبشير والبروتستانتيه :

(ولا شك فى أن أرساليات التبشير ـ من بروتستانتية وكاثوليكية ـ تعجز أن تزحزح العقيدة الإسلاميـة من نفوس منتحليها ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربيه فبنشرها يتحكك الاسلام بصحف أوربا وتتمهد السبل لتقـــدم أسلامى مادى وتقضى أرساليات التبشير لبغاتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ لها كيانها إلا بعز لها وأنفرادها ويقول :

ولا ينبغى لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامى أن يتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى ى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية إذ أن الضعف التدريجى فى الأعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هـذا الضعف من الأنتقاص والأضمحلال الملازم له سوف يقضى ـ بعد انتشاره فى كل الجهاد — إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر .

---

(١) د على . جريشه صـ ٣٢ الأتجاهات الفكرية المعاصرة .

ويدعـو أخيرا إلى أن يكتفى المبشرون من أهدافهم بانحلال الروح الإسلامية لدى المسلمين فيقول :

فلنقتصر إذن على القول بأن سير العالم الإسلامى تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها وذلك أمر طبيعى ممكن التحقيق أما فرض تدرج المسلمين إلى أعتناق المسيحية فخارج عن حد الأمكان (١) .

أن الذين يبشرون بالأنجيل بين المسلمين وغير المسلمين كانوا فى طليعة الاستعمار فى إرتياد المجاهل فى أفريقيا وآسيـا وبصرف لنظر عن العومل التى جعلت الاستعمار يزج بهؤلاء فى الميدان فأن المبشرين خدموه خدمة بالغة الأهمية وقد ملأت تقاريرهم بهذه الحقيقة التى لم نستنبجها نحن فقد جاء فى كتاب الغارة على العالم الإسلامى ، الذى ألفه شاتليه ص ١١٩ (أن أحدى اللجان التى ألفها مؤتمر ومبرج التبشيرى المنعقد سنة ١٩١٠ م

أصدرت قرارا جاء فيه : أتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة تركيا على أن معاهـد التعليم الثانوى التى أسسها الأوربيون فى البلاد الإسلامية كان لهـا تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها (٢) .

ويقول ، بلفورد صاحب الوعد المشئوم لليهود أن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها فى كثير من الأمور المهمة ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات ولهذا فأنا فى حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين) اهـ .

وكان بلفور نفسه رئيس شرف للجنة تبشيرية ، وتبيـن أن أحد

---

(١) الغارة على العالم الإسلام ص ١٨ — ٢٠

(٢) نفس المرجع ص ١١

المبشرين كانت له جهود ومساع كثيرة فى سبيل حض المستعمرين على فتح قناة السويس والاستيلاء عليها .

ويقول القيس كالهون سيمون : أن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوربية .

ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركات ذلك أن التبشير يعمل على أظهار الأوربين فى نور جديدجذاب وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها .

وكل هذا يبين أن التبشير انحرف عن مهمته الدينية وعمل لصالح الاستعمار متواطئا معه على هدم الفكرة الإسلامية ووقف الزحف الإسلامى وقد ألفت كتب حديثة تبين هذا الارتباط الوثيق بينهما (١) .

ولما كانت مهمتهم خطيره أختاروا لها جنودا صنعوهم على أعينهم فى المدارس التخصصة وفى المختبرات النفسية وغيرها .

وحرصوا على نجاحهم فى القدرات وأتقانهم لفنون التربية والدعوة مع الثقافة الواسعة والتحلى بالصبر والأمل مع تركيز على أختيار مبشرين ممن تنصروا من المسلمين وجاء لهم فى ذلك عبارة قالها القس زويمر : أن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أصحابها ذكرها فى كتابه العالم الإسلامى وكان نشاط التبشير الألمانى بين مسلمى البلغار يرجع الفضل الأكبر

كتاب التبشير والأستعمار للدكتورين مصطفى خالدى ، والدكتور عمرفروخ وحقيقة التبشير الأستاذ أحمد عبدالوهاب وحقائق عن التبشير للدكتور عماد شرف .

فيه إلى مسلم تنصر يسمى « زاده محمد شكرى » الذى سمى بعد بالقس « افتارنيان » كما قاله شاتلييه فى كتابه « الغارة على العالم الإسلامى » .

ولقد قام المبشرون بنشر تعاليم الأنجيل ودعوة الناس إلى أعتناق النصرانيه فى العالم أجمع ولم يتركوا طريقا من الطرق إلا سلكوها ويكون التبشير مباشر صريحا أو مستترا مستخفيا تحت أقنعة متعدده كالمدارس والمستشفيات والأندية والجمعيات ومؤسسات البر والاحسان :

والمشاهد فى جيلنا الذى نعيش فيه أن التبشير تغلغل فى كل شيء فى صحف العالم كله سواء كانت سياسية أو أدبية أو علمية وفى الاذاعات حتى فى السلع التجارية :

ويبدو التبشير فى أشكال مختلفة كالصور والرموز فمثلا يرسم على الأقمشة نفسها أو على غلافها صور النساء وتنقش الصلبان على القماش والسجاد وهكذا (١) .

والدعوة الفظيعة التى يتذرع بها المبشرون ومن ورائهم هو دعوى (نشر المدنيه والحضارة) بين المسلمين ولكن لا يريدون من المسلمين أن يإخذوا من حضارة الغرب أسباب القوة فتلك خطوه تفوت على الاستعمار السيطره على البلاد الاسلامية ولذلك فهو يوحى بنشر المسيحية أولا ثم إدخال الحضاره والمدنية بعد ذلك .

ولا ريب أن الباعث الحقيقى فى رأى القائمين على التبشير إنما هو

---

(١) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ضمن بحوث مقدمة للمجمع الفقهى بالرياض ص ٤٧٤ إداره الثقافه والنشر ط سنة ١٩٨١ م المملكة السعودية

(القضاء على الأديان غير النصرانية) توصلا إلى استعباد اتباعها فالمعركة ليست معركة دينية بل معركة فى سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية فكل دولة يحرص مبشروها على نشر مذهبها فالمبشرين الفرنسيون ينشرون المذهب الكاثوليكى والمبشرون الانجليز ينشرون المذاهب البروتستانتية ولا يخفى أن أشد الأديان مراسا فى إباء الاستعباد هو الاسلام .

ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم .

ولقد شكا المبشرون فى عدد من المؤتمرات التبشيرية من أخفاقهم فى تحويل المسلمين إلى النصرانية وقالوا : إنه لا يستجيب أحد من المسلمين للتبشير إلا أحـــد اثنين : طفل مخطوف من أهله وهو صغير فيربى على النصرانية وهو جاهل بأصل عقيدته أو رجل معدم لا يجد سبيلا للعيش إلا الدخول فى النصرانية ليحصل على لقمة الخبز ويظل من المشكوك فيه إنه غير عقيدته حقيقة .

إزاء هذه الشكوى قام القس (صموئيل زيمر) يقول فى نهاية هذا المؤتمر « إن الخطباء قد أخطأوا أيما خطأ وأنه ليس الهدف الحقيقى للتبشير هو إدخال المسلمين فى النصرانية وإنما الهدف هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم وفى ذلك قـد نجحنا نجاحا باهراً عن طريق مدارسنا الخاصه وعن طريق المدارس الحكوميه التى تتبع مناهجنا(١) .

وبدا واضحا أن المبشرين وغيرهم أدركوا إخفاقهم فى تحويل المسلمين إلى نصارى فلجئوا إلى خطتهم الراميه إلى تشويه المفاهيم الإسلاميه بكل

---

(١) أنظر معركة التقاليد محمد قطب ص ١٨١

وسيلة وركزوا إهتمامهم على تلوين المسلمين بالنصرانية والمفاهيم الغربية والمادية تلوينا يبعدهم عن عقيدتهم الإسلاميه ثم يدنيهم — فكرا وخلقا وولاء وشعوراً من الغرب .

يقول (جب) فى كتابه (إلى أين يتجه الإسلام ؟) موضحا موقف التفكير الدينى إزاء الثقافه الغربية : « إنه يبدو للنظرة الأولى أن الجمهرة العظمى من المسلمين لم تتأثر بمؤثرات دينيه أوربيه وأن التفكير الدينى الإسلامى قد ظل وثيق الإتصال بأصوله الدينية التقليدية ولكن ذلك ليس هو الحقيقة كلها فالواقع أن التعاليم الدينيه ومظاهرها عند أشد المسلمين محافظة على الدين وتمسكا به قد أخذت فى التحول ببطء خلال القرن الماضى .

فإن دخول عناصر جديدة على الحياة الإسلاميه كان يقتضى إبراز بعض تعليمات الدين وتوجيه عنايه أكبر لها ووضعها فى المكان الأول ووضع تعليمات أخرى فى مرتبه غير أساسية وإذا حدث هذا فمعناه : أن الموازين الدينيه والتعاليم الأخلاقيه فى الإسلام أخذة فى التحول وأن هذا التحول يتجه نحو تقريبه من الموازين الغربية فى الأخلاق التى هى فى الوقت نفسه متمثلة فى التعاليم الأخلاقيه للكنيسه المسيحيه[1] .

لقد استخدم المبشرون مختلف الوسائل لإفساد عقائد المسلمين واستغلوا الفقر والجهل والمرض وضعف الدولة الإسلامية أمام الاستعمار فأتوهم عن طريق البر والطب والإحسان .

---

(١) أنظر الإتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د . محمد محمد حسين جـ ٢ ص ١٩٩

وكانت قوات الاحتلال تحمى نشاط المبشرين إن لم تمنحهم الإمتيازات الأجنبيه ولم تخرج جيوش الإحتلال العسكرى من البلاد الإسلامية حتى اطمأنت إلى فئة من أبناء المسلمين الذين تربوا على أيدى المبشرين أو فى مدارس المحتلين الأجنبية .

وقــــد جاء فى كتاب التبشير والإستعمار (توقع البعثات التبشيرية فى السينغال مع عدد من الأسر السينغاليه الفقيرة عقودا تقدم بموجبها تلك البعثات إلى الأسر السينغاليه مساعدات عينيه ضئيله من أرز مثلا فى كل شهر على أن يكون لها حق باختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها ويكون العقد نص على أن الأسرة مجبورة على دفع ثمن المساعدات ودفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هى خالفت شروط العقد — بطلب إسترداد ابنها مثلا — وتختار البعثه التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسه من العمر ثم ترسله إلى المدرسه التبشيرية وينقطع الصبى عن أهله وينشأ نشأة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا ليعود الصبى السينغالى الذى أصبح مسيحيا إلى السنغال يمنح حق المواطن الفرنسى فى المستعمرات من حيث المستوى الإجتماعى والوظائف ومن أمثله ذلك سانجور (سان جورج) رئيس جمهوريه السينغال فهـــو مسيحى لكن أبويه وأخوته مسلمون ؟[1] .

---

(١) التبشير والاستعمار . عمر فروخ وزميله

من فضائح المبشرين

وقد أشار مؤلفا (التبشير والإستعمار)[١] .

إلى عدة حوادث تبين أن كثيراً من المبشرين من المغامرين الطامعين إلى السيطرة الشخصية ومنهم المكرة المستغلون للجمعيات التبشيرية للسفر على حسابها للاتجار أو الدعوة إلى مبادىء إجتماعية وإقتصاديه لا صله لها بالتبشير ومنهم من لا يتحلى بالأخلاق الحميدة .

وقد ذكر المبشر الأمريكى (جب) إنه قد ثبت على اليسوعيين إنهم فضحوا فتاتين من طائفه الروم الأرثوذكس ويهاجم جب أيضاً نظام الأديرة ويقول : إن بعض هذه الأديرة كان مستقرا للفاحشه[٢] .

المؤتمرات التبشيرية

فى أواخر القرن الحادى عشر المسيحى «القرن الخامس الهجرى» دعا البابا أوربان الثانى إلى عقد بجمع بهيئة مؤتمر للرهبان لدراسة وسائل مقاومة إنتشار الإسلام ومبادئه السامية باعتبارها تهدد الأفكار المسيحية وتوقف نفود الكنيسه فى كثير من الاقطار وانعقد المؤتمر فعلا وتدارس المنهاج الذى وضع له من قبل الرئيس الروحى لهم وهو البابا أوربان الثانى الذى

---

(١) المرجع السابق عمر فروخ وزميله

(٢) الغزو الفكرى والتيارات المعاديه للإسلام جامعه محمد بن سعود ط سنه ١٩٨١ ص ٤٧٦ بحوث مقدمه لمؤتمر ضمن الفقه الإسلامى سنه ١٣٩٦ م بالرياض .

أبى له حقده على هذا الدين إلا أن يحمل عليه حملات شعواء ويحمل القسس والرهبان مسئولية مقاومة تيار الإسلام الجارف الذى أخذت دعوته تجوب الآفاق وتغزو العقول والقلوب فى شتى أنحاء المعمورة بما حير عقولهم وألبابهم عن السر الذى يكمن وراء الإسلام فهو ينتشر ويسير كالنور فى الظلام ومن غير أن يبذل أهله الجهد الكبير لانتشاره والتبشير بمبادئه ويقابل هذا أن المسيحية ومن ورائها دولها الكبيرة المتعددة تمدها بالمال وبجميع وسائل التبشير ومع هذه الدول الجمعيات التبشيرية المنتشرة فى جميع الأقطار وحماس المبشرين أنفسهم وبذلهم للنفس والنفيس فى سبيل عقيدتهم ومع ذلك فتيار المسيحية واقف وتيار الإسلام يزحف فى كل مكان وهذا مادعاهم إلى استمرار إقامة المؤتمرات والمشاورات والمؤامرات لمكافحة هذا الدين الشامخ الذى وقف لهم كالجبل الاشم وما انتطح به إلا خسر خاب وقد جعلهم الاسلام يقفون صفاً واحداً أمام تيار زحفه وما التقت المسيحية بمذاهبها المختلفة من كاثوليكية وبروتستانتية وارثوذكسية على شىء إلتقاءها على محاربة الإسلام وصد تياره ومقاومة أفكاره التى ينشرها بين الناس(٢) .

وقد نشط المبشرون فى مطلع القرن العشرين الميلادى للعمل توجههم الأحقاد الصليبية المتوارثة منذ ألف عام معتبرين التبشير (الحرب الصليبية الثانية) ومستهدفين أولا الدولة العثمانية التى نعتوها باسم (الرجل المريض) وعندما تبنى السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الإسلامية شنوا أعنف الغارات وحاربوها بكل قواتهم .

---

(١) د . عمر فروخ وزميله .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف ط ـ دار الاعتصام بالقاهرة ص ٥٦

يقول القس (سيمون) أن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوربية ولذلك كان التبشير يعمل على إظهار الأوربيين فى نور جذاب وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصرى القوة والتمركز وإذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلا ضد الاستعمار الأوربى ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوربيين فى غير مظهر المستعمر فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسبباً من أسباب وجودها من أجل ذلك قالوا يجب أن نحول بالتبشير مجارى التفكير بالوحدة الاسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين وقد عقد المبشرون عدة مؤتمرات منها :

١ — مؤتمر المبشرين فى القاهرة سنه ١٩٠٦ فى دار عرابى باشا تحت رئاسة القسيس زويمر الذى بلغت به الجرأة أن دخل الجامع الأزهر ليوزع فيه نشراته التى تفيض بالطعن على الإسلام .

٢ — مؤتمر أدنبرة [إنجلترا] سنة ١٩١٠ م .

٣ — مؤتمر لكنهو (الهند) سنة ١٩١١ م وهو أخطر المؤتمرات الثلاث وكان أبرز موضوعاته الجامعة الإسلامية وكيفية مقاومتها) .

٤ — مؤتمر القدس سنة ١٩٢٨ م الذى دعا إليه القسيس زويمر نفسه .

ومن المفيد أن نشير إلى أن أحد هذه المؤتمرات وهو مؤتمر (لكنهو) فقد اشترك فيه ١٦٨ مندوبا و ١٣ ا مدعوا من أربعة وخمسين جمعية تبشيرية وكان أيضاً تحت رئاسة زويمر الذى وصفته جريدة فرنسية بأنه لا يهزم وأنه درس الإسلام بين الشعوب الإسلاميـــة التى يحبها حباً جماً ؟

وقد منع الصحفيون من حضور المؤتمر ولم توزع عليهم النشرات إلا بعد تنقيحها(١) .

وقد كتب زويمر في مجلة (العالم الإسلامى) معلنا بما أصاب المسلمين في مطلع هذا القرن والكن في أسلوب ملتو وقال : إن الإسلام تمخض في السنوات الخمس الأخيرة التي أعقبت مؤتمر مصر سنة ١٩٠٦م عن حادثة لم يسبق لها نظير ففيها حدث الانقلاب الفـــارسى والانقلاب العثمانى وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة (يقصد القومية المصرية) .

وكل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بجد وحزم وتنظر في أمر التبشير والمبشرين بكل عناية ووضع برنامج للأمور الآتية :

١ — درس الحالة الحاضرة .

٢ — استنهاض الهمم لتوسيع تعليم المبشرين والتعليم النسائى .

٣ — إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

كما تليت في المؤتمر تقارير لجنة مواصلة أعمال مؤتمر القاهرة وهذه مواده :

١ — النظر في حركة الجامعه الإسلاميه ومقاصدها والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين .

٢ — النظر في الإنقلابات السياسيه في العالم الإسلامى وعلاقاتها بالإسلام ومركز المبشرين فيها .

---

(١) المخططات الاستعماريه لمكافحه الإسلام محمد محمود الصواف ط دار الاعتصام سنه ١٩٧٩ م ، .

٣ — موقف الحكومات إزاء حركة التبشير وإرساليات تبشير المسلمين .

٤ — الإسلام ووسائل منع انتشاره بين الشعوب الوثنيه .

٥ — تربيه المبشرين على ممارسه تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة لذلك وبحث الدروس الإعدادية ودروس التبشير وتأليف الكتب للمبشرين وقراء المسلمين .

٦ — حركة الإصلاح الدينى والاجتماعى .

٧ — الأعمال النسائيه .

٨ — القرارات العلميه وتقارير اللجان الماليه للمطبوعات والنشرات(١)

أهم أساليب التبشير :

تنوعت وسائل التبشير عبر الأجيال والقرون واختلفت فيما بينها ونستطيع أن نحصرها فيما يأتى :

١ — الإكثار من فتح المدارس التى يجب أن تجعل هدفها الأول — الأول خدمه الدين المسيحى لقد أدرك الغرب المستعمر الزاحف على الشرق المسلم بضراوة وحقد وتعصب أن أكثر الوسائل جدوى وقوة وتأثيرا لتحقيق غايته هى التركيز على الجانب التربوى والتعليمى .

وحول هذا الجانب يقول (هنرى جيب) : « إن التعليم فى مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧٨

ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه ولیخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء فى سبيل الزهو العلمى فإننا لانتردد حينئذ فى أن نقول : إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المد التبشيرى المسيحى إلى مدى علمانى محض(١)

ويرى المبشرون ومن ورائهم الدوائر الصليبية — إن المدارس ليست غاية فى ذاتها وأنها لاتعدو أن تكون وسائل بالغة التأثير الذى استمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة فى أوطانهم(٢)

ومن هنا فقد ركز الغرب اهتمامه على فتح المدارس على كافة المستويات من رياض الأطفال حتى الجامعات بالإضافة إلى الثقافة إلى البعثات التى تفد إلى دياره ويتضح بذلك أن تنفيذ هذه الوسيله قد أخذ طابع الاحتواء الكامل لكل أنواع المؤسسات التعليمية والثقافة والتوجيهيه بالاضافة إلى المراكز الاجتماعية .

ويرفض المبشرون فى مدارسهم التابعة لارسالياتهم الأجنبية أن يتقيدوا بالمناهج الرسمية لأن هذا التقيد يفقد مدارسهم صفتها التبشيرية المسيحية ويجعلها فى عداد المدارس الوطنية فتبطل الغاية من وجودها ويتفق المبشرون جميعا على أن التعليم أفضل الطرق للتبشير

كما يتفقون على أن المقصود الأول بالتبشير من طريق التعليم هم المسلمون ولهذه الأسباب يعمل المبشرون على استغلال الجهل بين الشعوب الإسلامية لينفذوا من ذلك إلى غاياتهم .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـ ١٧ ، ٢٠

(٢) التبشير والاستعمار د . عمر فروخ وزميله صـ ٦٦ ، ٦٧

كتب بنيامين مارای) مقالا فی مجله العالم الإسلامی — وهی مجلة فرنسية خاصة باعمال المبشرين الكاثوليك — وكان موضوع المقال : شمالی نيجيرية ميدان التبشير ، وقد استعرض فيه حاله تلك البلاد وماعليه من التأخر العلمی علی الأخص إذ أن الذين يحسنون القراءة والكتابة أو شيئا من الكتابة لايتجاوز اثنين ونصف بالمئة ثم قال : « وهذا يتيح فرصه عظيمة للتعليم التبشيری المسيحی[1]

ولقد بدأ المبشرون بانشاء مدارسهم فی البلاد الاسلامية فی وقت مبكر جدا فأنشأوا أول مدرسه للبنات فی بيروت عام ١٨٣٠ م وعلی الرغم من أن اهتمامهم قد انصرف أولا إلی الأطفال فی سن مبكرة وأنشأوا لهذا الغرض مئات المدارس فی البلاد العربية — وبخاصة سورية ولبنان ومصر

كما أنشأوا كذلك الوفا من مدارسهم فی البلاد الإسلاميه الأخری فی إفريقيه وأسيا فإنهم كانوا يرون أن التعليم العالی لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم لأنه يساعدهم علی الوصول إلی الطبقات المثقفــة لنشر آرائهم ومفاهيمهم بين هذه الطبقات حتی تنتشر بواسطتهم إلی جميع أفراد المجتمع الإسلامی :

وعلی هذا الأساس أنشأ المبشرون البروتستانت كليه فی بيروت عام ١٨٦٢ م وأطلقوا عليها (الكليه السوريه الانجلية) التی أصبحت اليوم الجامعة الأمريكية) فی بيروت ولم يكتفوا ببيروت بل أرادوا أن يكون ثمه كليه فی القاهرة إلی جانب الجامع الأزهر فكانت الجامعة الأمريكية بالقاهرة

---

(١) التبشير والاستعمار عمر فروخ وزميله ص ٧٠

كما أنشأوا كليه (روبرت) فى استانبول (وأنشأ الفرنسيون كليه لهم فى مدينة لاهور[١]

ويجدر بنا — نحن المسلمين — أن نعى أبعاد قضيتنا الثقافية فى هذا المعترك الكبير فهى قضيه وجودنا كله قضية ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا قضيه بقائنا أو فنائنا وإن أخطر مانواجهه بصددها : الغفله عنها والجهل بها وترك زمام الأمور للأيدى الغربية العدوة مابين يهودية وصليبية وملحدة — لتفسد العقول وتلوث الضمائر وتحطم الأخلاق وتصوغ الأجيال صياغة ضاله منحرفه تقطع صلتها بعقيدتها وتاريخها ومقوماتها الأصيله كلها وتحقق حلمها القديم الذى كانت الحروب الصليبية تعبيراً صارخا داميا له :

ولقد رأينا كيف أن (رامون لل) عرض على البابا (سلستين الخامس فى عام ١٢٩٤ م خطته التبشيريه التى تتخذ العلم والمدارس وسيلة للتبشير فإن لم تفلح فلابد من تنصير المسلمين بالقوة وتحرك التبشير والاستعمار لتحقيق هذا الهدف تحفزه إلى التخطيط الدائب والعمل المستمر تلك الروح الصليبيه الحاقدة التى نجد نماذج كثيرة من التعبير عنها فى أقوال المبشرين .

يقول القس (صموئيل زيمر) فى المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى أوائل هذا القرن الميلادى — للنظر فيما سماه المؤتمر (كارثه اجتماع المسلمين على رأى واحد

أن المبشرين المنتشرين على ضفتى النيل وشرقى افريقيه وبلاد النيجر والسكونغو يشكون مر مشكوى من انتشار الإسلام بسرعة فى هذه الأنحاء

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧ ، ٨٠

وبالرغم من أنتشاره فى الهند الهولندية قد لقى الموانع من مجهودات جمعيات التبشير الهولندية والألمانية فهو يتوطد ويثبت هناك لأن المسلمين أخذوا يستبدلون التقاليد الخرافية بعقائد ثابته قويمه وفى أمريكا عدد كبير من المسلمين لا يستهان به إذ بلغ (٥٦) ألفا

وأضاف : « إن الإسلام قد بدأ ينتبه لحقيقة موقفه ويشعر بحاجاته إلى تلافى الخطر ولكن إذا نظرنا إلى البلاد التى يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا وإلى البلاد التى يتهددها بحكمه ظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد رمز لمشكلة من المشاكل الكبرى . . وعلى كل فالإسلام يحتاج قبل كل شىء إلى المسيح[1]

٢ — انشاء المصحات للقاء المرضى المسلمين بشكل انفرادى أو جماعى ومن وصاياهم فى ذلك وجوب ملازمة المريض خصوصاً عند الاحتضار حتى يطمئن على نجاحه فى تحويله إلى الدين كما أوصى بذلك (سمبسون) والدكتور (ارا هارس) المبشر بطرابلس الشام أوصى بأن الطبيب لا يجوز أن ينسى أنه مبشر أولا ثم طبيب ثانيا)[2]

٣ — نشر الإنجيل مترجما باللغات الحية وبكل لغة فيها رعايا كثيرون وفتح مكتبات لبيع هذه الترجمات وبيع كتب التبشير عامه بثمن زهيد والاهتمام بتعليم اللغات الأوربيه لقراءة أفكار الأوربيين فى كتبهم وفى الوقت نفسه ذم اللغة العربيه واتهامها بالصعوبة حتى ينصرف المسلمون عن تعلمها وبالتالى عن كتبها انقطع صلتهم عما فيها من ثقافه اسلاميه وتعلم لهجات المسلمين للنفوذ إلى أفكارهم بسهولة ودراسة القرآن لمعرفة ما يمكن أن يساعد المبشرين على تنفيذ خططهم .

---

(١) يوم الإسلام تأليف الدكتور : أحمد أمين ص ٢١٢-٢١٣
(٢) الغارة على العالم الاسلامى

٤ — عمل صداقات وإحتكاكات مع المسلمين والظهور بمظهر المحب لخيرهم ولاستقلال بلادهم وعن طريق ذلك يكون الإعجاب بالمبشرين وبأفكارهم التى ينبغى أن تلق عرضا والاهتمام بتأليف جمعيات للتقريب بين المبشرين وعامة الناس لتنمية روح التفاهم بينهم والتجاوز فى سبيل ذلك عن بعض عادات المسلمين كتعدد الزوجات لمن يدخل منهم فى المسيحية والتحدث إلى الشبان فى التاريخ والاخلاق والاجتماع بعيداً عن الدين حتى ينجذبوا إلى حديثهم فان أية طريقة لها صبغة دينية مباشرة مصيرها الفشل والتركيز فى هذه اللقاءات على الموازنة بين حياة وأخلاق الأمم النصرانية ومقابلها فى الأمم الإسلامية ليظهر رجحان النصرانية على الإسلام .

٥ — الإكتفاء بإنحلال الروح الدينية وعدم الطمع مباشرة فى إحلال فكرة بدلها فإن ذلك سيأتى حتما بعد الفراغ الروحى أو تخلخل العقيدة الأولى وعدم عرض العقيدة إلا بعد الاطمئنان على أن النفس مهيأة لها .

٦ — وهم فى سبيـــل النجاح فى بث أفكارهم يدعون بشدة إلى أن يظهروا بمظهر الوحدة والتعاون بين الطوائف المسيحية القائمة على التبشير لأن عقلاء المسلمين يرون فى إختلاف طوائفهم طعنا فى جهودهم وعدم إهتمام بأفكارهم الدينية ويقتصرون تبعا لذلك على إقتباس مظاهر الحياة العمرانية دون الأفكار الدينية كما يوصون بعمل مؤتمرات ولقاءات لتقييم أعمالهم الماضية والتخطيط للمستقبل .

٧ — الإهتمام بتجنيد النساء ، وذلك لسهولة دخولهن إلى البيوت وعمل صداقات فى الأسر وعن طريق ذلك تبث الأفكار التبشيرية ذلك أن الرجال يصعب عليهم القيام بهذه المهمة الأسرية لعدم اطمئنان المسلمين إلى دخولهم بيوتهم .

٨ — المناداة بتحرير المرأة :

ولقد إهتم المبشرون إهتماما كبيراً بما سموه تحرير المرأة ولهم فى ذلك نشاط واسع يرمى إلى تخريج جيل من الفتيات المسلمات اللواتى لا يعرفن عن دينهن وتاريخهن شيئا ويتعلقن تعلقا كاملا بالحياة الغربية التى تبيح لهن أن ينطلقن باسم التحرر والمساواة فى تيار الفساد والإنحلال ذلك أن المرأة فى أوربا قد تحررت، فعلا ولكن من الدين والخلق والكرامة وتساوت مع الرجل فى العمل الشاق المرهق واضطرت فى المجتمع الغربى المنحل أن تبتذل لتضمن الحصول على لقمة العيش .

لقــد أراد المبشرون أن يخرجوا المرأة المسلمة عن عقيدتها وخلقها وكرامتها ودعوا إلى تعليمها وفق مناهجهم التربوية الخبيثة لتصبح متحررة من الإسلام فلا تكون فى المستقبل الأم المسلمة التى تغرس فى أبنائها بذور العقيدة وتنشىء فيهم روح الإيمان وتحفزهم إلى البطولة والجهاد .

وبذلك يتحقق لهم هدفهم الخطير الذى لا يفترون عن العمل لبلوغه وهو القضاء بشتى الوسائل على كل ما يؤدى إلى إنشاء جيل مسلم يحمل رسالة الإسلام من جديد .

أدرك المبشرون أن المرأة ذات أثر عميق فى التربية فأولوها إهتماما وبادروا إلى فتح أول مدرسة تبشيرية للبنات فى بيروت عام ١٨٣٠ م ومن ثم فتحوا مدارس كثيرة للبنات فى مصر والسودان وسورية والهند والأفغان .

وقالوا : « أن التبشير يكون أتم حبكا فى مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المواتية والفرص السانحة أن المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق

ولأنها تنتزعهن من نفوذ بيئة غير مسيحيه ويفرح المبشرون إذا اجتمع فى مدارسهم الداخليه بنات من أسر معروفه لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ فى بيتهن أعظم .

وتتكلم المبشرة « أنا ميليغان » فتقول : « فى صفوف كليه البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمه مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى وليس ثمه طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافه من هذه المدرسه .

ولم تخل مؤتمرات المبشرين فيما أصدرت من قرارات وتوصيات من الإلحاح على تحرير المرأة وتعليم النساء فقد جاء فى كتاب « الغارة على العالم الإسلامى » يؤكد ذلك جاء فى الصفحه ٤٧ « ينبغى للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفه إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء » .

وحول التركيز على تعليم المرأة على أيدى المبشرين يقول (جيب) « إن مدرسه البنات فى بيروت هى بؤبؤ عينى لقد شعرت دائما أن مستقبل سوريه إنما هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأت مدرستنا للبنات ولكن ليس لها بعد بنـاء خاص بها وها هى قد أثارت إهتماما شديداً فى أوساط الجمعيات التبشيريه من أجل ذلك طلب المبشرون الأمريـكيون منذ عام ١٨٧٠ م مبلغ ثلاثين ألف دولار لمدرسه دينيه للبنات فى بيروت وعللوا طلبهم بقيمه المرأة فى الحياة البيبة وإن تلك المدرسه ستساعد على تنصير سوريه فى المستقبل .

٩ — تحريفهم فى القرآن :

يقول جون تاكلى « يجب أن نستخدم كتابهم — القرآن ، وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضى عليه تماما يجب أن

ترى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً وأن الجديد ليس صحيحاً[١] .

« ويستغل المبشرون تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه فى إدخال المفاهيم الميسحية فى عقول المسلمين فإذا ما اصطدم المسلم بتعبير مسيحى مثل قولهم «ابن الله» .

فإن قطور وسائل التبشير بطلب من المبشر أن يتناول ذلك التعبير تأويلا روحيا ، حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الإيمان فيستسطيع أن يقارنهم حينئذ بما يرون أن يدعوهم إليه ، فالمبشرون كما يقول تشارلز واطسون »[٢] ، يجب أن يكونوا برآء كالحمام ولكن هذا لا يمنعهم أيضا من أن يكونوا حكماء كالحيات[٣] .

١٠ — (استخدام المكتبات والصحافة) :

لقد استخدم المبشرون جميع أوجه النشاط الانسانى ومنها الكتب والمجلات والصحافة وقد ذكروا أنهم واستغلوا الصحافه المصريه على الأخص فى التعبير عن الآراء المسيحيه أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصريه أما مأجورة فى أكثر الأحيان أو بلا أجرة فى أحوال نادرة على أن المبشرين أنشأوا فى العالم صحفا يومية وأسبوعية خاصة بهم فهناك « بشائر السلام » والشرق والغرب فى مصر .

---

(١) حقيقه التبشير بين الماضى والحاضر أحمد عبد الوهاب ص ١٥٦ طبعه وهيئه التبشير والاستعمار عمر فروخ

(٢) المرجع نفسه ص ٧٩

(٣) التبشير والاستعمار عمر فروج ود. مصطفى خالدى ص ٥١ — ٥٢

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين كبيرتين لنشر كتبهم وصحفهم في: القاهرة وبيروت أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركز التوزيع المنشورات في بيروت تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعه الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م)[1] :

١١ — عرقلة جهود الأزهر في بعثه للعلماء إلى افريقيا وغيرها وتعليمه للوافدين منها ومن وسائل هذه العرقلة فتح مدارس وجامعات في بلاد المسلمين على منهج التبشير « يرى المبشرون ان يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الاخص : إلى طلبة الأزهر في مصر على اعتبار ان الأزهر معقل الإسلام وأن الصائب الأزهري — اذا اتفق ذلك — يكون عونا للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلام وعلى كل فالتبشير بين الأزهريين لا يزال تجربة فقط وإن كان المبشرون يتنظرون ان يتسع وان يقوم في الدرجة الأولى على الجدال والوعظ .

أما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون ان يصلوا اليها بكتبهم الدينيه فهي طبقه النساء »[2] .

وقد تحدث الفصل الرابع من كتاب « وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين الذي نشره المبشر الامريكي فلمنبج عن الازهر ودوره وما اقترحه المبشرون من ضرورة انشاء مدرسه جامعه نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحة في الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتشكفل هذه المدرسة الجامعه باتقان تعليم اللغة العربيه .

---

(١) التبشير والاستعمار د. مصطفى خالدى والدكتور عمر فروخ ص ٢١٣ — ٢١٤ ط رابعة بيروت

(٢) التبشير والاستعمار د. مصطفى خالدى د. عمر فروخ ص ٢١٢

ثم قرر : ان فى امكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى ان تختص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم ليمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة (!!) فى تنصير المسلمين الآخرين. وانهى فلمنج كلامه قائلا: (ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بانشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية[1] .

وقد أعلن — السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحين — بشأن الأعمال التبشيرية فى افريقيا الجنوبية : « ان من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقيا اتباعا لقرار مؤتمر التبشير العام لأن الأسلام ينحو بلا انقطاع فى كل أفريقيا[2] .

وهذا أمر يتناقض مع مايدعيه المبشرون من أنهم دعاة للخير .

١٢ — رفع شعار الدعوة للتسامح :

ينقل صاحب كتاب التبشير والاستعمار عن المبشر رايـــد قوله : « ان المشكلة فى العمل بين المسلمين إنما هى فى ايجاد الطريقة التى تساعد فعلا على الاقتراب منهم ثم ان ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب (!!) وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره قد بناه الإسلام حول اتباعه ليحميهم فى داخله وليترك المبشر خارجه انه جدار طالما أثبت مع الاسف ان تسلقه أو اختراقه مستحيل ان رجالا من المبشرين قد عملوا سنين متواليه وفى مدينة واحدة ثم لم يستطيعوا إن يكتسبوا صديقا أو صديقين »[3] .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى له شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى المطبعة السلفيه — القاهرة ص ٢٤

(٢) المرجع السابق ص ١٠٥

(٣) التبشير والاستعمار د. مصطفى ود. عمر وفروخ ص ٤٧

وقد فرح المبشرون لأنهم أزالوا حاجز التعصب لدى بعض العرب وكان ذلك مثار دهشة وسرور جعلهم يقولون « إننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا .. فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح وفى كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والمجلات»[1] .

وفى أحد المؤتمرات التى عقدت بأندونيسيا وحضرها ممثلوا الأديان ١٩٦٧ م .

قال وزير الشئون الدينية بأندونيسيا .

(ولما بدأت دعوة الإصلاح الدينى فى مطلع القرن الخامس عشر الميلادى صحبتها اضطرابات دينية عنيفة واندلعت بسببها فى أوربا عشرات السنين حتى عقدت معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ م . هناك بدأ الناس يدعون إلى مبدأ التسامح بسبب ما عانوه من فظائع التعصب التى عاشوها وحتى لا يستمر النصارى يقاتل بعضهم البعض ثم تطور الأمر عند ما بدأت هجرة الأوربيين تتدفق على القارة الأمريكية سعياً وراء حياة أكثر رخاء وأكثر حرية ووجدوا أنفسهم ينتمون إلى شيع وأحزاب ومذاهب متفرقة فى العقيدة مما يخشى أن تكون سبباً فى قيام اضطرابات أخرى فنادوا بمبدأ التسامح .

أما المجتمعات الإسلامية فلديها التعاليم الصريحة التى شرعت منذ أربعة عشر قرناً والتى تدعو المسلمين صراحة إلى التسامح واحترام الأديان الأخرى وخاصة الأديان السماوية منها وهى اليهودية والنصرانية أن ممارسة الشعائر الدينية بالنسبة للطوائف غير الإسلامية مكفولة على الوجه الأكمل فى المجتمعات الإسلامية ضمن حدود التعايش المشترك دون أن تسبب إثارة أو استفزاز فى المجتمع الإسلامى فقد نصت سورة العنكبوت بالآية ٤٦ -

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٢٩ ل شاتليه .

على قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم » أما التسامح الذي ينادي به المسيحيون الآن فهو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت وهم يرون إخوانهم المسلمين مستهدفين لمحاولات التنصير وما يستخدم في سبيله من مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه .

ولقد أفضيت بأنباء هذه المحاولات المبذولة لتنصير المسلمين إلى أستاذ جامعي أمريكي زار أندونيسيا فأشار على قائلا : اعرض هذه المخازي على العالم لأن هذه المحاولات مذمومة الآن ») .

وهناك شعار آخر ينادون به وهو شعار الحقوق الأساسية للإنسان هذا الشعار مبهم وغامض أيضاً وقد نودي به أول ما نودي عندما كانت الكنيسة تحتكر لنفسها كافة الحقوق الأساسية للإنسان إلى منع تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين)[1] .

وقال لقمان هارون عضو البرلمان الأندونيسي في جلسة ٢١ يوليو سنة ١٩٦٧ م كمذكرة تفسيرية للاستجواب الذي تقدم به مع ٢٥ عضواً بمناسبة الغارة التبشيرية التي تتعرض لها أندونيسيا وماجاء من إحصائيات وبيانات مذهلة نشرتها مجلة : « كرسيتيان ساينس مونيتور في ١٥ إبريل سنة ١٩٦٧م ومجلة تايم في ١٦ يونيه ١٩٦٧م « إن التسامح الديني — ياسيادة الرئيس — لابد أن يكون من الطرفين معاً لا أن يقتصر التسامح على المسلمين وحدهم حتى عندما يتعرض المسلمون وأبناؤهم للتنصير .

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا أبو هلال الأندونيسي دار الشروق جدة نقلا عن ص ٤٩ — ٥٠ حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب ص ١٧٢ .

وقد برهن المسلمون الأندونيسيون أنفسهم على تسامحهم تجاه الأديان الأخرى ويمكن القول أن ازدهار الكاثوليكية والبروتستانتية مدين بتسامح المسلمين ولكن الظاهر فى هذه الأيام أن مواطنينا النصارى لا يعلمون أن يداً واحدة لا تصفق — كما يقول المثل — ومن الأدلة على ذلك ما كتبه الدكتور سيجابات (وهـــو مبشر نصرانى) مما يكشف بوضوح أنه لا يوافق على التسامح النصرانى تجاه المسلمين فى أندونيسيا فهو يرى أن المسلمين لا بد أن يكونوا هدفاً لإرساليات التبشير النصرانية[١] .

١٣ — رفع شعار الحوار المشبوه

قام المبشرون بدراسة متأنية لأحوال المسلمين جعلتهم يضعون أيديهم على مواطن القوة ومواطن الضعف عندهم وبناء على ذلك وضعوا الخطة المحكمة للقضاء على الإسلام والتى استخدموا كل الطرق التى توصلهم إلى هدفهم ومنها[٢] .

الحوار وسيلة للتبشير بالمسيحية ومفاهيمها بين الجماعات الإنسانية وخاصة بين المسلمين[٣] .

ولقد تضمنت مجموعة الوثائق التى صدرت عن المجمع المسكونى الثانى الفاتيكان (٦٢ — ١٩٦٥) تفصيلا لهذا الحوار جاء فيها : « يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار . رجال دين يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤—٧٥ .
(٢) يقول الإنجيل على لسان المسيح كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام فى ١٠ : ١٦ .
(٣) حقيقة التبشير م أحمد عبد الوهاب ص ١٧٣ .

رجال دين فى طبيعتهم أن يوقظوا الإهتمام فى النفوس وأن يكونوا معلمين للإيمان (المسيحى) : رجال دين يستطيعون أن يتيحوا الفرص العمل الإرسالى الرسولى (التبشيرى) وأن يبعثوا فيه الحياة بين غير رجال الدين بروح كاثوليكية فعلا ومن وجهة النظر العالمية .

وفوق ذلك يجب أن يعدوا (القائمين بالحوار مع غير النصارى) بطريقة موافقة لتفهيمهم الوسائل الفنية التى لابد منها حتى يستطيعوا أن يتسللوا بنشاط فى الجماعات التى تتألف منها الجماعة الإنسانية وأن يبدأوا الحوار مع الآخرين .

ثم أن الكنيسة تستطيع أن تقوم بهذا الحوار من غير أن تهجر طبيعتها الخاصة بالوحى الذى لها وهى التى بعثت « مبشرة » إلى جميع الناس وفيما يتعلق بالتبشير للتنصير، فيجب اعداد غير رجال الدين اعداداً خاصاً للقيام بالحوار مع الآخرين من المؤمنين (الكاثوليك) ومن غير المؤمنين حتى يبينوا للجميع رسالة المسيح[1] .

أن هذا هو الهدف من الحوار الذى تنادى به الكنيسة : انتهاز الفرص والتسلق بخفة فى أعماق الجماعات الإنسانية .

١٤ — إحياء النزعات القومية والشعوبية

مجموعة الشعوب التى تؤمن بالإسلام مهما اختلفت أوطانها وألوانها وأجناسها تعتبر فى عرف الإسلام أمة واحدة ولقد جاهد التبشير للقضاء على وحدة الأمة ومن أجل تفتيت وحدة المسلمين فلقد عمل على إحياء النزعات القومية والشعوبية فجعلوا لكل بلد قومية خاصة فعملوا على إحياء

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢٥٨ — ٢٥٩ د . عمر فروخ وزميله .

الفرعونية فى مصر والبربرية فى المغرب والآشورية فى العراق والفينيقية فى ساحل الشام ولقد قصد جب « أن تولد فينيقية جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً ولقد أكد على أن المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسة ستتضافر كلها على تحقيق هذا الهدف[1] .

ولما فشلت هذه النزعات المحدودة كان رفع شعار القومية العربية والوطنية باعتبارها تحولا عن الإسلام رغم ما فى ذلك من مجافاة للحقائق المعروفة فالإسلام هو الأشمل وهو الوعاء الذى يدخل فى إطاره العروبة .

« لقد قال جى موليه — رئيس وزراء فرنسا السابق — : إن الحركة الإسلامية التى تتسع فى أفريقيا هى التى تهدد الأمبراطورية الفرنسية فى المغرب .

وقال الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانيون : إن الحرب الحاضرة — آنذاك — فى الجزائر ليست حرباً دينية أو جنسية أو حضارية ولكنها حرب مجموع مظلوم يريد أن يتحرر من ربقة مجموع ظالم إلا أن الإسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين إلى طلب هذا التحرر لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر والواقع أن الاحتلال الفرنسى للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية)[2] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤

(٢) التبشير والإستعمار مصطفى خالدى و د. عمر فروخ ص ١٧٨ وانظر حقيقة التبشير م. أحمد عبد الوهاب ١٧٤

لقد انتصر شعب الجزائر لأنه جاهد باسم الإسلام ومن قبل انتصرت شعوب باكستان وأندونيسيا لأن الإسلام كان القوة المحركة لجهادها لكن شعوبا إسلامية أخرى انتكست فى نضالها ضد الإستعمار ، لأنها أغفلت الإسلام وتمسحت بأشياء أخرى ديهات أن تفعل من أجلها شيئاً ذا قيمة فمثلها ، كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال[1] .

١٥ — القضاء على وحدة المسلمين

يتناول مؤلفاً كتاب « التبشير والاستعمار » لماذا يفضل المبشرون أن تقوم دولة يهودية فى فلسطين ولماذا هم يخافون العرب ولا يخافون اليهود ؟ .

وتأتى الإجابة على هذا التساؤل نقلا عن المبشر لورانس بروان ، وفى هذه الإجابة يذكر بروان أن المسلمين يختلفون عن اليهود لأن الإسلام دين دعوة وهو ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى وقد كان للمسلمين كفاح طويل فى أوربا فاخضعوها فى مناسبات كثيرة .

والمسلمون لم يكونوا يوماً — مثـــل اليهود — أقلية موطوءة بالأقدام .

ولا يمكن أن نجد مكاناً يمكن أن يصبح المسلمون فيه أقلية مثل هذه إلا فلسطين والهند .

ويقول بروان : لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة بدون مبرر إننا وجدنا

---

(١) سورة الرعد آية ١٤

اليهود أصدقاء لنا ولم نجدهم خطراً علينا وعلى هذا يكون كل مضطهدهم عدونا الألد.

ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته أنه الجـــدار الوحيد فى وجه الإستعمار الأوربى(١).

إن المبشرين حرب على كل تجمع إسلامى صغر أو كبر، ولقد كانت لهم اليد النشطة فى العمل على أنهيار الخلافة العثمانية بعد أن عرفوا كيف يستفيدون فى حالة الفساد التى تردى إليها الحكم العثمانى فقد كانت تركيا ترتاب فى حركات التبشير فى امبراطوريتها ومن ثم وقفت من المبشرين موقفاً حازماً فأصبح التبشير بين المسلمين شبه مستحيل وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضع مدارس فى لبنان لأطفال الدروز حوالى عام ١٨٧٥م اضطرت للتخلى عنها أمام حزم الحكومة العثمانية(٢).

لقد صمم المبشرون على القضاء على الخلافة العثمانية فخططوا لذلك مبكراً وتجمعت كل القوى المعادية للاسلام لتعمل معاً من أجل تحقيق ذلك الهدف الذى تمكنت منه فعلا.

ففى عام ١٩٠٠ قال رئيس إرساليات التبشير الألمانية فى تقرير له عن أعمالها: إن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج فى البلاد النائية، ولا فى مستعمراتنا فى آسيا وإفريقيا بل ستكون فى المراكز التى يستمد الإسلام منها قوته وينتشر سواء كان فى إفريقيا أم فى آسيا وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجهها نحو الأستانة عاصمة الخلافة فإن كل

---

(١) التبشير والإستعمار ص ١٨٤ د. عمر فروخ وزميله.

(٢) حقيقه التبشير أحمد عبد الوهاب ١٧٤

المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها، ويجب أن يكون جل ماتتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الإسلامي[1].

ولقد كان إعلان الحرية العثمانية عام ١٩٠٨ م وإعلان الدستور في الامبراطورية حدثا كبيرا رأى فيه المبشرون فرصتهم السانحة لنجاح حركة التبشير.

قال جسب : إن القضية التي تواجهنا بطبيعة الحال هي : ماذا يكون عن أمر هذا الانقلاب العظيم على دين الامبراطورية..؟ إن هذا سيساعد على طبع الكتب البروتستانتية وسيصبح المرء حراً في أن يغير دينه[2].

١٦ — إشعال الثورات والفتن

يقول المسيحي أنيس صايغ في كتابه «لبنان الطائفي» :

«كانت فرنسا تعتبر نفسها حاميـــة المسيحيين في الشرق، وخاصة الموارنة في لبنان، ودعمت فرنسا هذه العلاقة السياسية المستقة بثوب ديني بتمهد العلاقات التجارية والإرساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا، فقد ضاعفت فرنسا عنايتها بأمور التجارة وأرسلت القناصل وأسست المكاتب والمراكز الثابتة التسهيل أمورها، وكانت فرنسا منذ عام ١٥٢٠ قد حاولت ضم لبنان إليها بالقوة للحصول على ثروته وكنوزه حينما أرسلت أسطولا يتألف من خمس عشرة سفينة إلى سواحل لبنان إلا أن مسلمي ودروز

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ل. شاتليه - ترجمة محب الدين الخطيب ص ١٠٠.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٥٢ د. عمر فروخ وزميله .

السواحل هاجموا الجنود الفرنسيين وطردوهم. أما التبشير فكان الميدان الأوسع لإنماء العلاقات الطائفية وبدأت الإرساليات تفد إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر . ورعى ملك فرنسا بنفسه شئون التبشير فى ذلك القرن واهتم ببناء الكنائس وبدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلمهم فى مدارسها الدينية على حسابها وواصلت فرنسا رعايتها للارساليات فى الشرق بالرغم من اضطهادها لها فى فرنسا نفسها.

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها يزداد كلما لمست ازديادا فى اهتمام بريطانيا فى الشرق فقد كان لبريطانيا هى الأخرى مطامعها ومصالحها فى هذا الجزء من العالم . ولما لم يكن لبريطانيا طائفة تشترك معها فى المذهب (آنذاك) اضطرت بادىء الأمر إلى الاعتماد على التجارة والتدخلات الرسمية والخفية فى بلاط الخليفة العثمانى ، ثم ازداد الاهتمام الإنجليزى بسورية فى القرن الثامن عشر عندما أصبحت الهند وشرق آسيا محورين رئيسيين للثروة البريطانية الاستعمارية وكانت بريطانيا قد سبقت هذه الدول فى إرسال دعاتها لتحريض الشعب ضد إبراهيم باشا والأمير بشير فقدم إلى غزير فى كسروان منذ ١٨٣٩م كاهن إرلندى الأصل اسمه وود ، وادعى أنه جاء ليتعلم العربية هناك لكنه كان إذ يتعلم العربية يلقى بذور الشقاق بين الأهالى ووعد وود البطريرك حبيش بمساعدة بريطانيا لإعلان لبنان امارة مارونية مقابل مساعدة الموارنة لها وفى الوقت نفسه أكد وود للدروز صداقة بريطانيا لهم وعطفها عليهم مثـــل وود سعى كل من تشرشل ، واونفرا وغيرهم من البريطانيين الذين أقاموا فى لبنان تحت ستار توزيع الهدايا ومصادقة الشعب إلى إثارة العصبية لفتح المجال أمام بريطانيا لكى تتدخل. وكذلك انتشر عمال فرنسا فى البلاد وتجولوا بين القرى المارونية طالبين إلى السكان رفع الأعلام الفرنسية لنيل خطوة الجيوش الخليفة

(التى جاءت لمحاربة إبراهيم باشا)[1].

إن سياسة الاستعمار تقوم دائما على قاعدة: «فرق تسد» وأيسر وسيلة للفرقة هى إثارة الفتن الدينية عن طريق عملائه من المبشرين والجواسيس وما أن جاء عام ١٨٦٠ م حتى نشبت بين الموارنة الذين تظلهم فرنسا والدروز الذين تساعدهم بريطانيا فتنة طائفية غسلت لبنان بالدماء .

وقد ابتهج المبشرون وقد عبر عن ذلك المبشر الأمريكى هنرى جسب : «لقد اضطربت لها أوربا وأمريكا وأصبح لبنان بها معروفا فى العالم الغربى فأمكن أن تجمع الإعانات باسمه والتبشير فيه»[1] .

١٧ — زرع عدد كبير من الكنائس والاهتمام بمظهرها

(يحرص التبشير على التأثير على عقلية شعوب العالم الثالث والشرقيين بوجه خاص الذين ينظر إليهم المبشرون نظرة تكبر واستعلاء ومن وسائلهم لتحقيق هذا الهدف حرصهم الدائم على أن تكون[3] كنائس الإرساليات ومدارسها وأنديتها شاهقة غريبة المنظر حتى تؤثر فى عقول الزائرين وفى عواطفهم وخيالاتهم فإن ذلك يقرب غـــير النصارى إلى النصرانية[4]).

وفى أندونيسيا قامت كنائس ومعاهد وجامعات ودور أيتام وملاجىء ومستشفيات ومستوصفات (كلها مسيحية، فى مختلف أنحاء العاصمة ومدن الأقاليم وعواصمها حتى فى المناطق التى عرفت بنقائها الإسلامى من أتباع الأديان الأخرى ومبانى هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٥٣ — ١٥٤ د. مصطفى خالدى ود. عمر فروخ . وأنظر حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب ص ١٧٥

(٢) التبشير والاستعمار د. عمر فروخ ص ١٤٢

(٣) حقيقة التبشير د. أحمد عبد الوهاب .

(٤) التبشير والاستعمار ص ٢٠٨ د عمر فروخ .

الحديث ومواقعها في المدن والأقاليم توحي وكان أندونيسيا بلد نصراني

وفي بعض الأحيان يتم بناء كنائس حتى في الأماكن تلك لا يعيش فيها أي مسيحي ويتم استيراد المسيحيين إليها من الخارج عند إقامة القداس الديني . . وهم يشترون الأرض بأسعار مرتفعة (كي يجبروا المسلم على بيعها) ففي قطعة أرض لها موقع استراتيجي لا تزيد قيمتها عن مائتين وخمسين ألف روبية دفع فيها الكاثوليك ٢مليون روبية وبنوا عليها كنيسة[١] .

استخدام الطب كوسيلة للتبشير

الطب مهنة إنسانية نبيلة إلا أن المبشرين قد حولوا هذه المهنة إلى وسيلة من وسائل التنصر .

يقول المبشر موريسون : نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الاساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين في المستشفيات : أن فدخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية[٢] .

واستمع إلى نصيحة إحدى المبشرات ايراهاريس وهي توجه الأطباء الذاهبين للتبشير : يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الاطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك .

فيقول لك : أن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه[٣] وفي كل مؤتمرات التبشير كانت التوصيات باستخدام التطبيب كسلاح هام في التبشير يقول صاحب كتاب الغارة على العالم الإسلامي .

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونسيا أبو هلال الاندونيسي دار الشروق جـ ٥ صـ ٢٨ نقلا عن حقيقة التبشير ، محمد عبد الوهاب صـ ١٧٩ .

(٢) التبشير والاستعمار صـ ٥٩ — د. عمر فروخ .

(٣) المرجع نفسه صـ ٦٣

« يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمسلمين الآخرين .

ويجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولو للحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك أن المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين .

وعناما يرحل الأطباء جانبين البلاد ينثرون فى النفوس بذورا يمكن للمبشرين وبائعى الكتب أن يحدوها بعد ذلك وينموا أغراسها ، ويتقرب المبشرون إلى المسلمين بالمدارس والإرساليات الطبية وهذه الإرساليات الطبية مثل الشوك فى احسام زعماء المسلمين الذين يسلون أنفسهم قائلين إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا !

وأن النساء المبشرات يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة لأن المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات ولا يضمون لهن سواء[1] .

لهذا فالمبشرون لا يشجعون على إنشاء مستشفيات فى بلاد المسلمين لأن ذلك يكون عائقا عند أداء مهمتهم .

يقول الطبيب بول هاربون فى كتابه الطب فى بلاد العرب : « إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى .. لقد وجدنا فى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى[2] » .

وهكذا حول المبشرون الطب إلى وسيلة خداع وفتنة لفقراء المسلمين فى دينهم .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٢٥ ، ٤٣ ، ٧٦

(٢) التبشير والاستعمار د. مصطفى خالدى د. عمر فروخ ص٥٩

وسائل التبشير في المستشفى

في مستوصفات الخضر يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف في المناقشة[1] .

وفي القرى والنجوع يعملون دعاية قبل حضور الطبيب فيحضر الناس حاملين مرضاهم وينتظرون مقـــدم الطبيب وفي ذلك الوقت يؤدي المبشرون هدفهم ، وفي جميع الأحوال فإنهم ، لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح — أو قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم[2] .

وتذهب الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى للإتصال مباشرة بالنساء واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم حيث إن المريض في تلك الحالة وسيلة لجميع عدد كبير من المسلمين حوله .

وهكذا حول المبشرون الطب — وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية — إلى وسيلة خداع وأداة رق لا تأسر البدن وإنما تسترق الروح فتفتن فقراء المسلمين في دينهم بعد أن وقعوا فريسة في أيدي ذئاب في جلود نعاج[1] .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٦ ل شاتليه ترجمة محي الدين الخطيب .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٦٢—٦٤ — د. عمر فروخ وزميله .

(٣) حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب ص ١٨

استخدام أعمال الخير والخدمات الاجتماعية :

ذكر زويمر : أن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة كانت لاهوتية دينية محضة أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية وكان ينظر فى سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حربا صليبية ترمى إلى التنصير فقط فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعى وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية . وأن الخطة الفاسدة الخطرة التى تقضى ببث مبادىء المدينة مباشرة ثم نشر المسيحية ثانيا عقيمة لا فائدة ترجى منها : لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية لا تحمد مغبته بل تنجم عن مساوىء كثيرة تفوق المساوىء التى كانت قبلا »[1] .

ويقرر المبشرون فى المؤتمرات التى يعقدونها لأجل العمل على تحقيق التنصير بين المسلمين يعملوا على نجاحه لدى المسلمين : « إن المسلمين يدعون أن فى الإسلام مايلبى كل حاجة اجتماعية فى التشر فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيا بالأسلحة الروحية فالنشاط الاجتماعى يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه فلنبدأ بالصلات اليومية تلك التى تتصل بالطفل وبالمرأة ثم تتوسع فى تلك الصلاة حتى تبلغ المبادىء الواسعة التى أقرتها عصبة الأمم .

فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح (للمبشر المسيحى) أن يتصل برجال ونساء فى البيئة الإسلامية الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم من أجل ذلك نحن ننصح بالسير فى الأعمال الاجتماعية على

(١) الغارة على العالم الإسلامى . ص ١٩١ — ١٩٢

الأسس التالية إيجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصا الطلبة منهم ومنهن — إيجاد أندية الاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترفية — حشد المتطوعين لأمثال هذه الله عمال . وعلى المبشرين أن يتعرفوا على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم ثم يسعوا إلى الاصلاح سعيا إلى التأثير على الرأى العام ومما يجب أن يهتم به المبشرون : إصلاح الأحداث — الحيلولة دون الزواج المبكر — الحيلوله دون تشغيل الأطفال — محاولة اصلاح الأحوال العامة فيما يتعلق بساعات العمل والأجور والأمور الصحية — الرفق بالحيوان[1] .

وقد اضطرت حركة مقاومة التبشير التى انتهجها الشبان المتعلمون المسلمون فى مصر — فى أوائل هذا القرن — إلى أن يعمل المبشرون من أجل «إعادة ثقة الشباب المسلم فيهم فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات فى موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين رغبة فى جلب قلوب المسلمين إليهم وأنشأوا بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية اسمها : الشرق والغرب افتتحوا منها بابا غير دينى يبحثون فيه الشئون الاجتماعية والتاريخية وأسسوا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم أثناء البيع (وبعد ثلاث سنوات) تسنى للمبشرين أن يتوصلوا إلى النتائج الآتية :

الأول : إنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم .

الثانية : أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين .

الثالثة : إن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم فى التودد إلى المسلمين

---

(١) التبشير والاستعمار د. عمر فروخ ص ١٩١ — ١٩٣

وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والاجتماعى والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إليهم)[١] .

وتحت ستار العمل الاجتماعى يقوم المبشرون بمشاريع يحمل صفة تنمية البيئة صناعياً وإنعاش القرى اجتماعياً وفيها «يجرى التبشير فى المزارع حيث يعيش المبشرون مع الفلاحين عيشة فلاحين وزراعة من غير أن يتظاهروا بأنهم مبشرون كذلك يخالط المبشرون العمال ويعايشوهم حتى يسيطروا على الأوساط الصناعية بروح نصرانية ويحرص المبشرون على أن يؤثروا فى العمال غير النصارى بسلوكهم الشخصى فيمثلوا لهم بأقوالهم وأعمالهم أن التقدم مسيحى وأن الاختراعات والاكتشافات مسيحية وأن الطرق الحديثة فى الصناعات مسيحية أيضا[٢] .

ولما كانت أندونيسيا تقوم بتنفيذ مشروع «التهجير الداخلى» الذى يعتبر واحداً من برامج الإنماء القومى والذى يعنى نقل السكان من جاوا المكتظة بالسكان إلى مناطق أخرى خارجها تتميز بقلة الأيدى العاملة ووفرة الخصوبة — فقد استفادت إرساليات التبشير من المشاركة فى هذا المشروع فائدة كبيرة وقد شجع مجلس الكنائس العالمى فى مؤتمره الذى عقد بمدينة أوسبالا بالسويد عام ١٩٦٩ م على توظيف أموال الكنائس الأوربية والأمريكية فى مشروعات البلاد النامية ،

وتقوم هيئات التبشير بانتداب رجالها للانخراط وسط المهجرين بوصفهم «مرشدين اجتماعيين» للأفواج المهاجرة فيندمج هؤلاء المرشدون مع المهجرين يرحلون إلى مستوطناتهم الجديدة اندماجاً يتيح لهم بكل سهولة ممارسة نشاطهم الحقيق بدون معقب أو رقيب أو منافس وأنى للمسلمين

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٢٢، ٢٣ ل شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب .

(٢) التبشير والاستعمار د/ عمر فروخ ص ٢١٥ ، ٢١٦ :

أن يحاروا بل أن ينافسوا فى هذا العمل الذى يتطلب الكثير من المال خاصـــة وأن كثيراً من المهجرين يرحلوو إلى مستوطناتهم بالطائرة التى تستأجرها خصيصاً لهذا الغرض وقد وصلت تقارير عن ارتداد عدة أسر كانت مسلمة أو ما أستوطنت مهاجرها فى مالو كو وسيرام وكاليمنتان ثم تنصرت أخيراً[1] .

١٩ — استغلال حالات الفقر والحاجة

وإذا كان الاستعمار القـديم قـد تمثل وجوده فى احتلال عسكرى للبلاد المستعمرة فإن الاستعمار الجـــديد يتمثل حاليا فى خلق التبعية الاقتصادية والغزو الفكرى والربط عن طريق الأحلاف وهكذا طور الاستعمار شكله .

وكذلك التبشير — بعد أن طور نفسه على شاكلة الاستعمار القديم — إذا به يوجـد نوعا من العبودية والرق البشرى ولكن فى ثوب جديد . لقد كان الرق فى صورته التقليدية يعنى التجارة فى الآدمى واعتباره سلعة تباع وتشترى وتمتلك أما الرق الجديد الذى استحدثه التبشير فهو استعباد لروح الانسان وفكره وهو أشر أنواع الرق على الاطلاق[2] .

مثال ذلك ما تفعله البعثات التبشيرية فى إفريقيـــا إذ تستعمل حالة البؤس التى تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة فتوقع معها عقوداً — كما حدث فى السنغال — تقدم (بموجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الاسر السنغالية مساعدات عينية من أرز مثلا فى كل شهر على أن يكون لها الحق فى اختيار طفل من أطفال الأسرة تربية على حسابها .

---

(١) حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب صـ ١٨٥

(٢) غارة تبشيرية جديدة على اندونيسا أبو هلال الاندونيسى دار الشروق جدة صـ٩٣، ٩٤ نقلا عن حقيقة التبشير صـ ١٨٥ د . أحمد عبدالوهاب

ويكون فى العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هى خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلا)

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة وينقطع الصبى عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالى بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم فى الأغراض التى توافق هوى فرنسا[1] .

ويحرص المبشرون على أنه بجانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية يجب أن تقوم مدرسة للفقراء مجانية لا لعطفهم عليهم فى الدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيرى بادياً للعيان إن الفقراء أكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء[2]

ولقد حدث فى أعقاب الانقلاب الشيوعى الفاشل فى اندونيسيا عام ١٩٦٥ م أن ألقى القبض على عشرات الآلوف ممن ثبتت علاقاتهـا بالانقلاب أو اشتبهوا بالمشاركة فيه وأدعوا المعتقلات .

ولقد سمحت الحكومة للهيئات الدينية أن تقدم خدماتها الارشادية إلى المعتقلين رجاء امكان اصلاحهم وإعادتهم إلى حظيرة الإيمان والعقيدة فهرع المبشرون من مختلف الطوائف يباشرون نشاطهم مع هؤلاء .

وكان المبشرون يبدون لهم استعدادهم لإعالة ذويهم وإعاشة أسرهم شرط أن يوقعوا على صك الاعتراف بانضمامهم إلى الكنيسة التى يبشرون

---

(١) التبشير والاستعمار ص٦٠ د عمر فروخ وزميله

(٢) المرجع السابق ص٢٠٩

بها وهؤلاء البؤساء يعرفون جيدا تردى الأوضاع الاقتصادية آنداك وماذا يعنى ذلك بالنسبة لذويهم لذلك سارعوا فى الاستعداد للتوقيع على الاعتراف واثقين من أن فى عملهم ذلك سلامة أسرهم من غوائل الجوع والمسغبة[١]

٢٠ — التودد للمسلمين والتقرب إليهم باللين

يقول القس هاريك : أنه اقتنع بأن لا فائدة ترجى لطريقة المناظرة والجدل مع المسلمين : (... ويجب على المبشر أن يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولادستوراً سياسياً بل هى الحياة كلها وأنها تحب العدل والطهر ، وتمقت الظلم والباطل نفتح للمسلم مدارسنا ونتلقاه فى مستشفياتنا ونعرض عليه محاسن أمتنا ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالإستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل وبهذه الطريقة يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين)[٢]

ومن الوسائل التى يراها المبشرون ناجحة فى استمالة المسلمين العوام العزف بالموسيقى والألحان .

وأن يكون الخطاب على قدر عقول المسلمين مع اختيار الموضوعات المناسبة واستعمال الأساليب الخطابية المعتمدة على التشبيه والتمثيل[٣] ووسائل

---

(١) غارة تبشيرية على اندونيسيا أبو هلال الأندونيسى دار الشروق جدة ص١١٩ نقلا عن حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب ص١٨٧

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ل شاتلية ص٢٨—٢٩

(٣) حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب ص ١٨٧

الإيضاح مع التقليل من الأسلوب المنطقي الذي لا يعرفه الشرقيون واختيار مبشرين مناسبين للمسلمين وآخرين مناسبين للوثنيين كما يجب أن يكون للعامة والنساء أسلوب في الخطابة غير ما يخاطب به المثقفون ثقافة مدنية غربية ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين[1] .

٢١ — احتواء أبناء المسلمين الفقراء :

ذكر صاحب التبشير والاستعمار أن المرد جلاس كتب مقالا بعنوان كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر ذكر فيه أن ملاجيء قد أنشئت في عدد من مناطق الجزائر في شمال أفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا ثم قال : إن هـــذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم[2] .

واستطاع المبشرون أن يرفعـــوا شعار تبنى الأطفال الفقراء عن طريق اختيار الأطفال البائسين فيعرض على ذويهم السماح بتبنيهم من قبل محسنين في أوربا وامريـكا وكندا واستراليا ولا يعني هـذا التبني إلا مجرد وجود من يكفل لأولئك الأطفال مهمة الانفاق على أمور تعليمهم ومعاشهم مع بقائهم وسط أسرهم وأهليهم وكل ما هناك شخص يمثل الآباء المتبنين يتعهد ابناءهم ويتصل بهم ويقدم لهم نفقاتهم ويتعهـد أحوالهم وسرعان ما تتبدل حياة هؤلاء الاطفال من الفاقة بما قد يثير لدى اندادهم من الأطفال ما يجعلهم يتلهفون لهفة على الحظوة بمثل ذلك .

---

(١) حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب ص ١٨١

(٢) التبشير والاستعمار ص ١٩٤ د . مصطفى خالدى وعمر فروخ .

ولكن هذا الأسلوب الذى يركز على أطفال المسلمين البائسين فى جاوا « باندونيسيا لم يتحقق له النجاح المأمول .. لكن البرنامج مستمر لما يتميز به القوم « المبشرون » من إصرار وصمود .

وهناك شعاراً براقاً لافتته : « انقذوا الأطفال » فهو أسلوب برىء المظهر بارز التجرد لعمل البر والإحسان وهو يمنح الموظفين الذين يستخدمهم من المسلمين للعمل به مرتبات ضخمة تجعلهم أسرى لخدمة التبشير وقد أعمتهم الماديات عن حقيقة أعمالهم .

٢٢ — استخدام النوادى والجمعيات :

يقول ولبرت سميث أنشأ النصارى عدداً من النوادى لاجتذاب الشباب المسلم « جمعية الشبان المسيحيين فى الشرق الأدنى » أن جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت إلى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية أما هدفها الرئيسى فهو تنشئة الشبان على أسس مسيحية ولفروع هذه الجمعية مناهج دائم ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحرير وهناك أيضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية[٢] .

ويؤكد على ذلك كورنيليوس باتون فى كتابه « عمل الإرساليات » : « أن تقسيم العمل بين العاملين المسيحيين (فى حقل التبشير) قد اقتضى بناء على الترتيب الحكيم أن يعهد إلى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل فى المدن وخصوصاً بين الطلاب والطبقات المثقفة فى المدن .. أن هذه

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا أبو هلال الأندونيسى دار الشروق جدة ص ٩٥ — ٩٦ نقلا عن حقيقة التبشير / محمد عبد الوهاب ص ١٩٠ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢٠٢ د. مصطفى خالد و د. عمر فروخ ط بيروت .

الجمعية تستطيع بواسطة نشاطها الجانبي في الحياة الاجتماعية والرياضية أن تجتذب رجالا ليس بالإمكان أن يتقبلوا النصرانية بطريقة شخصية[1] .

كما يذكر أديسون : « أن عوامل التعليم المسيحي في مصر تزيد قوة على قوتها بمؤسستي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات أن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة وخصوصاً في القاهرة والاسكندرية هذه الفروع تقدم مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية وتهيء في المجتمع ألواناً من النشاط تندر في الشرق وفي هذا اقتراب من المسلمين[2] .

٢٣ — (إغراء المسلمين بالرشاوى) :

ولما لم يستجب المسلمون لأساليب التنصير التي ذكرناها فإنهم يلجأون إلى تقديم الرشاوى لإفساد المسلمين .

يقول صاحب التبشير والاستعمار : « وحينما ظهر اليسوعيون للمرة الأولى رشوا نفراً من النصارى الأرثوذكس للإنضمام إلى الكنيسة الرومانية على أن البروتستانت كانوا أشد إيغالا في إفساد الضمائر فقد اتخذوا سماسرة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون أن يبدلوا دينهم وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهباً[3] .

---

(١) السابق ص ٢٠٢

(٢) السابق ص ٢٠٤

(٣) السابق ص ٥٠

نماذج للواقع التبشيرى التخريبى[١]

النموذج الأول (اندونيسيا أكبر بلد إسلامى فى آسيا) :

تفيد بعض المصادر أن التبشير قد نجح فى تنصير عشرة ملايين مسلم فقير اندونيسى من مجموع المسلمين البالغ عددهم مائة وعشرين مليونا[٢] .

وقد ازدهر نشاط الكنيسة فى جميع الجزر الاندونيسية وبخاصة فى جزيرة جاوا موطن ٦٥ ٪ من سكان اندونيسيا الذين يمثل المسلمون نحو ٨٥ ٪ من تعدادهم .

ومما ذكرته صحيفة « الواشنطن بوست »[٣] :

بشىء واضح من السرور — أن الحكومة الاندونيسية تعمل جاهدة على عزل العلماء المسلمين وساستهم القدماء عن المجتمع ، وقمع الاتجاهات التى تحاول الحفاظ على إسلامية اندونيسيا .

ويحتل النصارى الذين لايزيد عددهم عن عدة ملايين لا تصل إلى ٧ ٪ من مجموع السكان — معظم المناصب القيـــادية ذات السيطرة القوية فى اندونيسيا وعلى سبيل المثال فإن الصحيفتين الكبيرتين اللتين تصدران فى جاكرتا يسيطر عليهما البروتستانت والأخرى الكاثوليك فضلا عن أن وزير الدفاع والأمن القومى ووزير التجارة ووزير الصحة ووزير تنظيم أجهزة الدولة كلهم من النصارى .

---

(١) راجع الإسلام والتيارات المعاصرة د . عبد الحليم عويس ص ١١٢

(٢) حسب إحصائية ١٩٧٨

(٣) نقلا عن مجلة الفكر الإسلامى والبيروتية عدد ذى الحجة سنة ١٢٩٨ هـ .

أما القوات المسلحة والجامعات الحكومية والأهلية فيسيطر عليها النصارى ويوجهونها لأغراض التبشير .

وقد ذكرت جريدة السياسة الكويتية(١) ما نصه تحت عنوان : خطة رسمية لتحويل اندونيسيا من الإسلام إلى المسيحية خلال ثلاثين سنة ، قالت بدأت الدول الخليجية بشكل خاص والدول العربية الإسلامية بشكل عام فيما بينهم اتصالات على مستوى رفيع وذلك من أجل تدارس ظاهرة تعتبرها فى غاية الخطورة فقد تجمعت لدى الأوساط السياسية الخليجية معلومات تفيد أن هناك نية رسمية قيد التنفيذ لدى الإدارة الاندونيسية وذلك لتحويل تلك البلاد عن الدين الإسلامى إلى المسيحية وتضيف المعلومات التى تجمعت لدى عدد من القيادات الدينية فى الخليج وفى العالم الإسلامى بأن خطة نصرنة اندونيسيا تجرى بممارسات قمعية ضد المسلمين هناك بشكل يستدعى تحركا إسلاميا مضاداً ذات طابع دولى وأفاد مرجع دينى خليجى بأن المعلومات المتوفرة والمطروحة الآن على مختلف الدول الإسلامية تؤكد خطة نصرنة أندونيسيا مرسومة للتنفيذ على مدى ثلاثين سنة وقد شرعت الحكومة بتوجهها من خلال تعيين حكام الأقاليم وقادة للجيش والشرطة والمخابرات من المسيحيين الذين يقومون بتنفيذ الخطة المرسومة بالإضافة إلى تسليم إدارات الهجرة والجوازات والجمارك وقيادات المناطق العسكرية ومركز الإدارة والحكم المحلى ووسائل الإعلام والثقافة والاقتصاد والتجارة ومجلس إدارة الشركات الاستثمارية لقيـــادات نصرانية غاية فى التعصب والحقد على الإسلام .

ويوجد الآن بأندونيسيا أكثر من ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات أوربية وحوالى عشرة آلاف كنيسة وعدد هائل

---

(١) أنظر العدد رقم ٣٥٢٤

من الجمعيات والمعاهد الزراعية والمستشفيات الكبرى والمستشفيات المتنقلة ودور اليتامى والإذاعة المحلية التبشيرية .

ومن أخطر ما تنتهجه الحكومة الاندونيسية للتعجيل بالتنصير — العمل على تهجير الأهالى من مناطق التجمعات الإسلامية وقد شملت مناطق التهجير لامبونغ فى سومطرة وكاليمنتان وسولا وليس وكالوكو وإريان .

كما يعتمد التبشير على طبقة المرشدين الاجتماعيين الذين يخدعون الناس بالأدوية والطعام ويعطونهم النصرانية فى داخل علب القشدة والزبدة ولعب الأطفال وتقوم الهيئات التبشيرية بتبنى الأطفال البائسين وتنصيرهم تحت عنوان إنقاذ الأطفال .

أخطر تقرير سرى عن التبشير فى أندونيسيا :

ونكتفى فى نهاية هذه السطور بنقل تقرير سرى أصدرته إرساليات التبشير البروتستانتى فى جنوب شرق آسيا وذكرت فيه ما نصه : « إن ما ينفق على التبشير سنوياً فى أندونيسيا يبلغ ٣٥٠ مليون دولار منها (٥٠ مليون) لأعمال التبشير الإعلامية ومراسليه الإداريين فى المقر العام بسويسرا .

كما تقدم هيئة المعونات الكاثوليكية ستة ملايين دولار سنويا إلى حكومة أندونيسيا لمساعدة قطاع الإنماء القروى .

وتقوم إحدى الهيئات التبشيرية الأجنبيـــة فى أندونيسيا بتقديم المعونات الغذائية إلى ٢٢٠ ألف شخص من مختلف أنحاء أندونيسيا ينتمون إلى مختلف دور الأيتام والمؤسسات الصحية وملاجىء العجزة بجاكرتا وكاليمنتان .

وتقوم هيئة تبشيرية بروتستانتية بتقديم المعونات الغذائية إلى ١٣ ألف شخص فى مختلف أنحاء اندونيسيا كما تقوم بتقديم معونات طارئة عند الحاجة بالإضافة إلى ذلك تقدم المساعدات إلى ١٧ مشروعا قروياً للإنماء فى سومطرة وسولا وليس لترقية مستوى إنتاج المواد الغذائية .

أما المؤسسة التبشيرية فى إيريان الغربية فهى تمتلك (١٧) طائرة مختلفة بالآضافة إلى شبكة مواصلات لاسلكية وخمسة مطارات وتقف هذه المؤسسة وراء الحركة الانفصالية التى تستهدف فصـــل إيريان الغربية عن اندونيسيا وإقامة دولة نصرانيـة مستقلة عن اندونيسيا المسلمة .

وفى قطاع الشئون التعليمية تقوم مؤسسة (مونتفورت فاذر) أى (الأب مونتفورت) ببناء عشرات المدارس العـامة والمهنيه ومدارس التمريض والعيادات والصيدليات وفى كل من (سينتانغ وبينومارتينوس وسيبا وسيجرام وبنجهايينا وبيكا ومراواى) .

وفى قطاع ملاجىء الأيتام تقوم مؤسسة تبشيرية كبرى بتقديم المساعدات الغذائية والملابس إلى ٥٥ ملجأ للأيتام بها ما لا يقل عن ثلاثة آلاف يتيم كما تقوم بتقديم البرامج والمساعدات التقنية وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية لمنكوبى الكوارث الطبيعية واللاجئين والفقراء فى مناطق استراتيجية للتبشير .

أما فى ميدان النشر والشئون التعليمية فتقوم مؤسسة تبشيرية متخصصة مركزها جاكرتا ولها فروع أخرى — بنشر عشرات الكتب سنويا فى فى مختلف الموضوعات الثقافيـــة والفلسفية والدينية كما تقوم المؤسسة بتسهيل تعليم الشئون الفنية الخاصة بنشر الكتب الدينية ويمتلك المبشرون

مطابع متخصصة فى طبع الأناجيل وبيعها بأقل سعرا أو مجانا وفى قطاع المكتبات تتصدر عمارة (دار النشر المسيحة) بجاكرتا « قونونغ مليا » مكتبات دور النشر التبشيرية التى تهتم بأعداد الخرائط وكتب الأطفال التبشيرية .

وفى ميدان الصحافة يملك التبشيرية صحيفتى « كومباس » و « سينار هابان » اللتين تطبعان يوميا زهاء (٢٠٠) ألف نسخة هـذا فضلا عن ملكية التبشير ، فى كاليمنتان الغربية (١٨) مطارا (١٥) مدرسة و (١٣٠) مستشفى وفى سو مطرا يملك التبشير مستشفيات ومطـابع وكنائس فى مساحة قدرها « ٤٠ هكتارا » ، وأسطولا من السفن والطائرات والزوارق السريعة والسيارات والدراجات النارية .

النموذج الثانى : غزو تبشيرى لنيجريا أكبر بلد أسلامى فى أفريقيا(١)

ومع الغارة التبشيرية العامة والمعروفة على أفريقيـا المسلمة ثمة تركيز على نيجيريا كأكبر بلد أسلامى أفريقى مثل التركيز على أندونسيا فى آسيا والجدير بالذكر أن عدد المسلمين يقترب فى نيجيريا من ستين مليونا من بين عدد السكان البالغ ثمانين مليونا ويشكل المسلمون ٧٥ ٪ من عدد السكان ولا تمثل النصرانية أكثر من ٧ ٪

ومع هذه النسبة فإن الغزو النصرانى لنيجريا قائم بجدية ونشاط لا يفتر للحظة واحدة ولقد أصبحت نسبة المدارس التبشيرية يزيد عن (٧٠ ٪)

من مجموع المدارس فى نيجيريا وأما المدارس الرسمية فإن التبشير

(١) راجع التقرير المنشور فى مجلة البلاغ الكويتية عدد ١٤٩

يحاول — أيضا — أن يمد نفوذه إليها مستغلا فقرها وحاجتها للمدرسين وبخاصة المدرسات اللآتى جلب التبشير منهن — أعدادا كبيرة غزا بها نيجيريا الواسعة وتعمد أن يكن من ذوات الجمال والفتن وأوعز اليهن بالعرى وبما يتصل به من وسائل نشر الفساد الخلقى بين الشبان .

ولقد أستطاع التبشير النصرانى أن يستعين على نجاحه بوسائل أخرى نجح فى السيطرة عليها كل النجاح ..

ومن هذه الوسائل :

١ — السيطرة على الصحافة والأذاعة فى غالب الولايات .

٢ — انشاء إذاعتين خاصتين للتبشير تعملان على تعليم الأنجيل .

٣ — أمتلاك معظم دور النشر والمكتبات والهيمنة على ما يملكه بحيث يوجهها بوسائل التأثير المختلفة إلى تشويه الإسلام أو الوقوف منه موقفا سلبيا على الأقل .

٤ — السيطرة شبه الكاملة على المستشفيات والصيدليات ومعاهد التمريض التى لا عمل لها ألا تخريج مبشرين ومبشرات .

٥ — إنشاء الجمعيات التى تزعم أنها لمساعدة الفقراء ولأعمال البر فضلا عن الأندية الثقافية والرياضية والرحلات والكشافة .

وقد أستطاع التبشير هناك استغلال النصارى المحليين كل إستغلال فى مجال الأقتصاد بحيث أصبح معظم رأس المال فى أيديهم وأيدى الأجانب وصار من الصعوبة بمكان أن يجد المسلم عملا يقتات منه .

وقد أصبح النيجيرى المسلم يبدو وكأنه غريب فى بلده التى يرى خيراتها

فى يد غيره .. من المبشرين الذين يلوحون له بالطريق الوحيد للوصول إلى الثروة والعمل .

وهذا الفقر أو الأفقار كما هو معروف هو طريق المذاهب الهدامة دائما من نصرانية وشيوعية وغيرهما :

وحتى وسائل النقل والمواصلات سيطر عليها التبشير باعتباره القادر على استيراد السيارات الصغيرة والحافلات الكبيرة والطائرات وقد سهلت لهم وسائل المواصلات المتوفرة — الوصول إلى كل مدينة وقرية فى نيجيريا بحيث وصل خطرهم — تقريبا — إلى كل بيت .

وهم يسيرون فى كل ذلك وبأيديهم الأناجيل المطبوعة بأفضل أخراج طباعى ممكن والمحلاة بصور للطفولة البريئة والتى تهدى لكل من يريد ومن لا يريد ويساعد الأناجيل نشرات تمهد للتوضيحات والشروح وللهجوم أيضا على الإسلام والقرآن وشخصية نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام (١) .

بواعث التبشير الحقيقية :

كتب الأستاذان الدكتور مصطفى خالدى والدكتور عمر فروخ فى الفصل الأول من كتابهما التبشير والاستعمار فى البلاد العربية » عن بواعث التبشير الحقيقية فقالا : يظن بعض الناس أن المبشرين يأتون إلى الشرق لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى والحق أن نشر الدين أمر

---

(١) ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة د . عبد الحليم عويس ص ١١٩ ، ١٢٠ .

ثانوى جدا فى جميع الحركات التبشيرية قد نجد أشخاصا قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق ثم أفرادا قليلين أيضا يأتون فى هذه الحملات لينشروا الدين حبا بنشر الدين واعتقادا منهم بأنهم يقومون بعمل سام على أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ومن الذين يأتون فيها لا صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين الذى يزعمون أنهم جاءوا لنشره .

إننا إذا تأملنا العالم الغربى وجدناه عالما ملحدا لا يؤمن بدين وعالماً ماديا لا يعرف للروح معنى : أن أمريكا التى تعبد الحديد والذهب والبترول — كما يقول أمين الريحانى — غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام دينى .

وبينما نرى فى فرنسا دولة علمانية فى بلادها نجدها الدوله التى تحمى رجال الدين فى الخارج إن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا فى الداخل وأصدقاؤها الحميمون فى مستعمراتها وكذلك إيطاليا التى ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا فى الفاتيكان كانت تبنى سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين حتى الروسية السوفياتية التى تدعو فى بلادها إلى الالحاد ومحاربة الأديان كما يقال رأيناها بعد الحرب العالمية الثانية حينما أرادت أن تحقق لنفوزها توسعا أقليميا وسياسيا قد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكونى فى موسكو وحملت إليه المؤتمرين فى طائراتها ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلته وكثيرا ماكان الرجال العسكريون من الانجليز خاصه يحضون حكوماتهم على بعث المبشرين فى العالم كما نصح الجنرال « هايغ » للحكومة البريطانية أن ترسل مبشريها إلى شبه جزيرة العرب ؟ :

ثم نقلا ماكتبه الشاعر القروى الأستاذ رشيد سليم الخورى فى مجلة «العصبة الأندلسية» فى العدد الرابع وهو يتكلم باسم النصارى الذين أخفوا

يتألمون — كالمسلمين أيضاً — من أضرار المبشرين كلهم والبروتستانت خصوصا فيقول الأستاذ الخوري : أما من الناحية الدينية فإن إقامتي الدليل على عدم نزاهتهم — أي المبشرين — لا تقتضي أن أكون بارعاً في الجدل أو عالما شهيراً بالتاريخ . .! إن طوائفنا العديدة — قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الأمريكية طائفة جديدة اسمها الإنجيلية . . . وكم إنفق الأمريكيون لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه كأننا أشد إفتقاراً إلى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم .

والمؤلفون الأجانب لا ينكرون أن التبشير قد إتخذه الكثيرون آلة للتجارة والسياسة وإن المبشر الأمريكي خاصة لا يستطيع أن يتحرر من نفوذ حكومته وغاياتها وأهدافها الإستعمارية .

على أن حيه المبشرين على إختلاف نحلهم ومللهم تتميز كل فرقة منهم بعداوة شديدة للعرب والمسلمين وتحمل من الحقد الدفين أحمالا وأحمالا ولا ريب في أن مرد العداوة والفجور في الخصومة إنما هو الحروب الصليبية وفشلهم فيها ورجوعهم إلى ديارهم خائبين خاسرين يجرون أثواب الخزي والعار .

ولقد كان من حقد أحد المبشرين وهو المبشر جسب : أن يود لو يمحى الإسلام من العالم وهذا قليل من كثير وما تخفى صدورهم أكبر وصدق الله العظيم إذ يقول (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) .

لقد وجد المبشرون أن أشد الأديان مراسا في أباء الإستعباد إنما هو الإسلام ، وهذا هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجوههم حيثما حلوا وأينما نزلوا ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم والمقصود الأول بالجهود التبشيرية هو الإسلام والمسلمون وقد استوى في هذه

الرغبة جميع المبشرين على إختلاف طوائفهم وتباين الأقنعة التى يرفعونها على وجوهم :

حتى رئيس الجامعه الأمريكية فى بيروت الذى لبس أقنعة العلم ليهذب أبناءنا فهو مبشر كبير يقول هذا الرجل وأسمه نبروز : إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا فى هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة .. « ثم يقول : لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى إستطاع المبشرين أن يلجأوا إليها فى سعيهم لتنصير سورية ولبنان » .

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمى وإكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم « الإنسانى المزعوم » قاصراً على زعزعة عقيدة المسلين على الأقل ومن أمثال هذه الجمل ينفذ القارىء اللبيب إلى حقيقة بواعث التبشير فى ديار الإسلام أنه ليس الإصلاح والحياة الروحية بل هو الإفساد إلى السيطرة والاستعمار ومكافحة الإسلام فى جميع صوره وأشكاله وفى جميع أقطاره ودياره .

وهذه المرارة من الخيبة فى التبشير وهذه النقمة على الإسلام والمسلمين وهذا الافتراء على الإسلام وهذا الحقد الذى يتزايد يوما بعد يوم تجسده وتلمحه فى كلام المبشرين أنفسهم يقول المبشر رايد : « من الصعب أن تحب مسلما لأن المسلم ليس محببا إلى النفس ولأنه هو عادة يشمئز من الذين يحاولون الاقتراب منه إذا نالوا ثقته »(١) .

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف ص٢٠٣–٢٠٤

وهكذا يكون الافتراء والكذب فالمسلم وديع بطبعه طيب دمث الأخلاق يحب للناس الخير ويسعى جاهداً للاحسان حتى مع الحيوان فضلا عن الإنسان كائنا من كان فانظروا كيف يتدفق الحقد من ثنايا ما يكتبون ومايبشرون والمستعان الله وهو الذى يرد كيدهم فى نحورهم ويجعل كلمتهم السفلى وكلمته هى العليا .

الفصل الثاني

الاستشراق

معنى الاستشراق :

حـــدد المستشرق ميكائيل أنجلو جويدى : (العلوم الشرقية أو الاستشراق) فى محاضرة له ألقاها فى الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة عنوانها : علم الشرق وتاريخ العمران)[1] .

يقول : ليس صاحب علم الشرق (أو المستشرق) الجدير بهذا اللقب الذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب بل إنه هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية . هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التمدن فى القرون الوسطى مثلا أو فى النهضة الحديثة .

وفى فصل : المدارس الاستشراقية يقول: وهذه المدارس الاستشراقية تتسم فيما بينها بخصائص عامة مشتركة فهى (علمية مطلقة) مع كل ما للعلم الحديث من مقتضيات وموجبات وروح طامحة وهى نقدية محللة ناخلة مغربلة تتجلى فيها روح النقد العلمى المقارن دون مراعاة أو محاباة لأى

---

(١) نشرتها مجـــلة الزهراء فى عددها الصادر فى ربيع الأول سنة ١٣٤٧ هـ .

عامل من عوامل الأثرة والغرض وهى إلى هذا وذاك نموذجية قاسية بمعنى أن الاستشراق يأخذ ببحثه على وجه من منطق العلم وجوه البحث فى الطريقة والسياقة والاستطراد والتوسع والعرض والبسط بحيث تتضح أمامك المعالم وتستبين الصور وهى إلى ذلك كله موسوعية أو جامعية بحيث أنه إذا ما تناول مستشرق موضوعا استفرغ منه المناحى واستظهر منه الخوافى فلا يدع فيه مزيد المستزيد كل هذا إلى وضوح وجلاء ونقاء ونصاعة وتتبع تستفيض منه الحقائق التاريخية ، على أنوار كشافة من التتبع المغنى والنقد العسير ولنا على هذا التعريف ملاحظات .

١ - تعميم الآفاق الثقافية الشرقية التى يتبادلها المستشرق سواء كان ذلك متصلا بالعلوم والمعارف التراثية الإسلامية والعربية أم متصلا بالمعارف الشرقية وحضاراتها القديمة من صينية وفارسية وهندية .

٢ - إختصاص المستشرق بهذه المعارف وتفرغه لدراستها وإنقطاعه لمعرفة لغاتها وأساطيرها لا يعنى أنه قد سلك فى الواقع منهجا علميا إلا بقدر ما يتخلى عن دوافعه الذاتية ورواسبه الموروثة وتجرده للحقيقة الثقافية وحدها . فكثيراً من المستشرقين استهدف من دراسته الاستشراقية أغراضا تبشيرية مسمومة .

٢ - أن السمات العلمية التحليليه التى طرحها الكاتب على الاستشراق لا تعبر عن أعمال المستشرقين عموما وليست نتيجة لجهودهم المدرسية فإن العلمية والموسوعية والنموذجية والقياسية والجامعية سمات يندر أن تجمع فى بعضهم إن لم نقل يستحيل أن تتوفر فى أحدهم وإن كان ظهر منهم أعلام لهم سمعتهم الثقافية المرموقة .

والاتفاق قائم على أن الاستشراق طلب علوم الشرق أو كما يعرفه محمد كرد على علم المشرقيات .

والمستشرق غالبا أوربى أو امريكى أو سوفيتى وأحيانا عربى متجنس بإحدى الجنسيات الأجنبية متخصص فى دراسة الثقافة الشرقية وفى مقدمتها : الثقافة العربية الإسلامية التى تشمل الاصول والمعارف الإسلامية كما تشمل التاريخ الإسلامى فى بطولاته الفكرية والعلميه والعملية بالاضافة إلى دراسة الواقع الاسلامى وحاضره .

الفرق بين الاستشراق والتبشير :

إذا كان الاستشراق انطلق أولا بدافع كنسى ومن بيئة نصرانية وتغذى من المعارف الرهبانية فلا يمنع أن يفترقا فى الاعمال والمظاهر والمؤسسات فمن الفروق :

١ — الاستشراق اتجاه (بحثى) درسى يتفرغ فيه المستشرق لموضوع أو قضية شرقية واسلامية ومن خلال تناولاته يمكن أن يتخصص فى ناحية من الثقافة أصلا أو فرعا ثم ينشر بحثه فى مجلات أو دوريات أو اصدارات مستقلة وربما يحاضر فيه فى جامعة أو مجمع عربى وأحيانا يعده لمؤتمر يعقده المستشرقون على المستوى العالمى .

والتبشير أو التنصير يتجه الى (الوعظ) الحى غالبا وربما يضيف إليه قشرات كنسية فى أسلوب وعظى أيضا وغالبا ما يتجه التنصير فى وعظه إلى معالجة الأمراض الاجتماعية وإثارة العواطف والتطلعات الروحية من وجهة نظره فهو دعوة حية أو بوسائل الاعلام التنصيرية المختلفة تحمل معها وصايا الكتاب المقدس .

٢ — والاستشراق غالبا نبتة (اقليمية) لرسالة فكرية عامة فالمستشرق ينكب على مكتبته وفى بلده ليدرس مسأله من مسائل الثقافة ولا يغادر

بلده الا اذا كانت طبيعة موضوعه تقتضى التعرف على المكتبات الأخرى أو دراسة ظاهرة اجتماعية ودينية فى بلد اسلامى ورحلته عمل مؤقت يعود بعدها الى وطنه ومكتبه ليتابع المسأله المعالجة .

فيما يعيش التنصير فى الاقاليم الآخرى بعيداً عن وطنه وذلك على شكل ارساليات مزودة بالأجهزة الطبيه والوسائل الاجتماعية التى تسهل المهمة الشاقة التى يقوم بها والمنصر مهيأ أن يتحمل المشاق والصعوبات من أجل الدعوة التى يقوم بها .

٣ — المستشرق لا يصرح غالبا (بغرضه) الكنسى وانما يحاول اخفاءه ضمن عمله البحثى الذى يعلى فيه قيم الكنيسة ويوهن القيم الاسلامية بالاساليب الملتوية حتى وإن كان المستشرق راهبا أو ذا وظيفه دينية فإنه يحاول أو يتظاهر بالتجرد الموضوعى ويقدم دراستة بعيدة عن التعصب الطائفى الكنيسى الظاهر وربما تناولت دراسته الأولى اللاهوت الكنسى وتعمق فى تاريخ الاديرة والمذاهب الكنسية ولكنه لا يجرؤ على اظهاره لتلاميذه بالتعصب أو التحيز فى الدراسة والتنصير يقوم أصلا على الدعوة إلى النصرانية من غير ما حاجة إلى التستر وراء الاساليب والتراكيب الغامضة أو المستورة وربما اعتمد على دراسات نفسية واجتماعية وفلسفية فى ابراز الدعوة التنصيرية لأن طبيعته واضحة فى العمل والمقصد ويستخدم الوسائل المباشرة وغير المباشرة للوصول إلى غايته الواضحه ولذا فإن المنصر مختص بعلم اللاهوت المسيحى الذى قد تترافق معه دراسات فلسفية ولغويه أخرى .

٤ — الاستشراق لا يتخذ مؤسسات أو معاهد خاصة فى البلاد الأخرى لتكون منطلقا لفاعلياته الدرسيه سوى ما تهيء له بعض الدول المضيفة تعقد فيها المؤتمرات الاستشراقية بشكل مؤقت واهتمامه ينصب فى

الفكر والبحث فى مجال الجامعه والجمعية والمجميع ولا يهتم بالمنشآت العمرانية التى تحتاج الى اعداد خاص ملائم للعمل الاستشراق اما التنصير فيقوم أحيانا على انشاء معسكرات دائمة أو مؤقته فى الصحارى والقفار وأحيانا يعمد إلى بناء مستشفيات ومعاهد علمية حديثة إلى جانب منشآته الاجتماعية من نوادٍ وجميعات وكنائس وتكون منطلقات ثابتة للتنصير فى البلد نفسه أو فى القرى المجاورة له .

ولا نعدو الصواب إن قلنا : ان المستشرق باحث يتجه إلى الثقافة وفروعها وان المنصر واعظ يحمل الوصايا الكنسية إلى الناس فى طرائق تختلف حينا وتتفق أحيانا ومع هـــذه الفروق فان العمل الاستشراقى والتنصيرى لا يختلفان كثيرا فى حقيقة دوافعهما واغراضهما وربما فى مصادر ثقافتهما حتى ان طبيعه العمل تتشابه أحيانا فيما بينهما وإن اختلفت فى وسائل الأولى عن الثانى ، ويبدو لى من خلال تتبع تراجم كثيرة للمستشرقين والمنصرين ان الدفع الكنسى المخطط نظم فئة قادرة على البحث والفكر فكان المستشرقون وجماعه قادرة على الاسلوب الدعوى الاعلامى فكان المنصرون ثم التحمت الفئتان والجماعتان وكونت الاستشراق التنصيرى ومهما يكن من أمر فاننا نجد فئة ثالثة وهم المستشرقون العلمانيون وفئه رابعه هم المستشرقون اليهود الذين تتضح الفروق بينهم وبين المنصرين المنصرفين كليا الى الدعوة بدافع دينى أو استعمارى(١) .

نشأت الاستشراق :

اختلف الباحثون فى تحديد بدايه الإستشراق ونشأته فيذكر البعض(٢)،

---

(١) راجع د. نذير حمدان فى الغزو الفكرى المفهوم ص ١٨٧ - ١٨٨

(٢) أحمد محمد جمال مفتريات على الاسلام ص ١٠ ط ثالثه مطبوعات الشعب سنة ١٩٧٥م القاهره

انه بدأ فى القرن العاشر الميلادى بينما يرى البعض(١) الآخر .

ان الاستشراق بدأ فى اعقاب الحروب الصليبية التى استمرت زهاء قرنين ١٠٩٧ — ١٢٩٥م ويقول البعض(٢) إن الاستشراق بدأ فى الأندلس فى القرن الثالث عشر الميلادى حين اشتدت حملة الصليبين الاسبان على المسلمين فدعا « الفونس » ملك قشتاله « ميشيل سكوت ليقوم بالبحث فى علوم المسلمين وحضارتهم مجمع « سكوت » طائفة من الرهبات فى احدى الأديرة وشرعوا فى ترجمة بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة ثم قدمها « سكوت » لملك صقليه الذى امر باستنساخ منها وبعث بها هدية إلى جامعه باريس .

ويربط أحد الباحثين(٣) بـــين ظهور الاستشراق وبداية الأطماع الأوربية الاستعمارية فى العالم الاسلامى فى القرن الثامن عشر الميلادى حين ضعفت قبضة الدولة العثمانية التى كانت تضرب سياجا من العزله منع الأوربيين من الاتصال بالشرق فترة ثم ما لبثت أوربا أن تدخلت فى شؤن الشرق فكان ذلك بداية الاستشراق .

وهناك من يعتبر الحملة الفرنسيه على مصر وغيرها من بلاد الشرق فى سنه ١٧٩٨م هى البدايه الحقيقه للاستشراق لأن هذه الحمله جاءت ومعها عدد كبير من المستشرقين الذين قاموا بعمل دراسات مختلفه نشرت فى الكتاب المعروف « بكتاب وصف مصر » .

---

(١) عبد الجليل شلبى : صور استشراقيه ص ٢٥ — ٢٨ نشر مجمع البحوث الاسلاميه سنه ١٩٧٨ م

(٢) على محمد جريشه وزميله : أساليب الغزو الفكرى ص ١٨ نشر دار الاعتصام بالقاهرة

(٣) على حسن الخربوطلى المستشرقون والتاريخ الاسلامى ص ٣١

على أنه يجب أن نفرق بين نوعين من الاستشراق :

أولها : « سلمى يتمثل فى إقدام الغربيين على أن ينهلوا من منابع الحضارة الشرقية وأهمها الحضارة الإسلامية فمن الثابت أن المسلمين أصبحوا فيما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادى حملة مشاعل الثقافة فى ربوع العالم أجمع فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تسبح فى دياجير الظلام وقد أشعت الحضارة الإسلامية بنورها على أوربا من منافذ عدة أهمها بلاد الأندلس الإسلامية التى كتبت صفحة من أروع صفحات الحضارة فى القارة الأوربية والعصور الوسطى إذ أنهالت عليها البعثات العلمية من شتى ربوع أوربا وقصدها المتعطشون للعلم والمعرفه ومن هؤلاء « جربرت » الذى اعتلى الكرسى البابوى سنة ٩٩٩م و «بطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦م وغيرهم .

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادوى العربية) وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية . وهى لغة العلم فى جميع بلاد أوربا يومئذ وأستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون[١].

والذى أميل إلى ترجيحه فى هـــذا الصدد هو أن هذا النوع من الاستشراق السلمى يدأ فى القرن العاشر الميلادى وربما قبله وحمل لواءه

---

(١) لمحات فى الثقافة الإسلامية عمر الخطيب ١٨٧ — ١٨٨

فى العصور الحديثة قلة من المستشرقين رغبوا فى البحث عن الحقيقة واستجابوا لنداء ضميرهم اليقظ فكانوا من المنصفين(١).

أما النوع الثانى من الاستشراق فهو عدوانى وإن تمسح القائمون عليه بالعلم وتظاهروا بخدمة الحضارة الإنسانية — هذا النوع بدأ — على ما أرجحه فى أعقاب الحروب الصليبية ذلك أن أحقادا عميقة ترسبت لدى المسيحيين ضد الإسلام والمسلمين لأسباب أهمها :

دخول ممالك نصرانية كثيرة فى الإسلام نتيجة للفتوح الإسلامية بعضها كانت مهدا للمسيحية ويعتز بها النصارى مثل بلاد الشام ومصر .

كما أن الإسلام أنكر عقيدة التثليث والصلب والفدا التى يقول بها المسيحيون بالإضافة إلى ذلك أن زعماء الكنيسة خشوا من اعجاب الكثيرين من اتباعهم بقوة المسلمين وبتقدمهم الحضارى .

يقول محمد كرد على(٢).

وأهم أسباب الجفاء بين الغربيين والمسلمين فى القرون الأولى من الهجرة كون الإسلام جاء لهداية البشر كافة فأتى على الوثنية فى البلاد التى انتشر سلطانه فيها ودخل فيه من الصائبة واليعاقبة والنساطرة والمجوس واليهود وغيرهم جمهور كبير وخافت أوربا النصرانية من تسربه إلى ربوعها

---

(١) أضواء على الاستشراق محمد عليان ص ٨

(٢) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣ دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦م — ١٣٥٤ هـ .

فاتفقت كلمة الملوك ورجال الدين على حربه حتى وقفت دعوته عند جزيرتى الأندلس وصقلية وما اليهما من أرض الفرنجة ثم نشأت الحروب الصليبية ودامت قرنين كاملين وقدمت الجيوش الصليبية إلى الشام ومصر حتى كتبت الغلبة الأخيرة للإسلام فى أرض الشام.

كان فشل الصليبيين فى حروبهم المتوالية على الشرق الإسلامى دافعا للمزيد من الاهتمام بالدراسات الشرقية وكان القرآن الكريم أول ماصوبوا اليه سهامهم ونثنوا برسول الإسلام ﷺ ثم عرجوا على خلفائه الراشدين والتاريخ الإسلامى كله وهكذا دفع التعصب الدينى الأوربيين إلى الاستشراق من أجل الكيد للإسلام والمسلمين . وقد بدأ هذا النوع من الاستشراق على نحو ما يذكر المستشرق الألمانى « رودى بارت »(١).

فى سنه ١١٤٣ م تمت أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية وأعقبها ظهور بعض الكتابات الاستشراقية التى تتناول سيرة النبى ﷺ وبعض الشخصيات الإسلامية ويعلق « بارت » على هذا النوع من الكتابات الاستشراقية بأن هدفها كان اقناع المسلمين بلغتهم — ببطلان الاسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحى ولذلك كانت دراسه المستشرقين للاسلام فى أغلبها — كما يقول أحد الباحثين(٢)،

تاريخا وتشريعا : غير مخلصة ولا نزيهة ولا علميه موضوعية وإنما كانت رغبة فى التشفى والانتقام من الاسلام وكتابه ورسوله.

---

(١) الدراسات العربيه والاسلاميه فى الجامعات الألمانيه صـ ١١ نقـله إلى العربيه مصطفى ماهر نشر دار الكتاب العربى .

(٢) أحمد محمد جمال مفتريات على الاسلام صـ ١٤

تاريخ الاستشراق

أدى قيام الحروب الصليبية إلى أزديا (روح التعصب الدينى لدى المسيحيين على نحو ماذكرنا . وقد تبلور هذا التعصب فى اتجاه فكرى جديد هو « الاستشراق » ، حاول الغربيون عن طريقه طعن الاسلام والتغلب على المسلمين بعد أن فشل سلاح الحديد والنار .

فقد نفر قوم من أهل الغرب يدفعهم التعصب الصليبى إلى الكتابة عن الاسلام وقد شرع هؤلاء فى تعلم اللغه العربيه لاحبا فيها ولكن لاتخاذها وسبيله إلى قراءة القرآن ومناقشته فى محاولة لتشويهه وتنفير الناس منه وذلك عن طريق الهدم المعنوى فى حركة ظاهرها العلم والبحث وباطنها المكر والخبث(١) .

كما أن الحروب الصليبيه لعبت دورا فى حمل بعض الغربيين على إعادة النظر فى أمور دينية لاتمت إلى المسيحيه الصحيحه بصله مثل « صكوك الغفران » ، والادعاء بانه لا اتصال بين الانسان وربه إلابوساطه الكنيسه وحدها .

وقد عرفت هذه الحركة باسم «الاصلاح الدينى» واستدعت مراجعة أصول الدين عندهم فترجم العهد الجديد (الانجيل) إلى اللاتينيه وتطلب ذلك الالمام بالعبرية وتطرق هذا إلى الاهتمام بالدراسات العربيه .

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : الاسلام بين الانصاف والجحود صـ ١٦ — ١٧ ط القاهرة ١٩٦٠ م

وصاحب ذلك رغبة قوية فى التبشير بالمسيحية فى بلاد الشرق مما دعم الاتجاه إلى الدراسات العربية على أيدى المستشرقين لتكون خير معين لهم على التبشير ويذكر بعض الباحثين أن هذه المحاولات الاستشراقية التى بدأت فى وقت مبكر لا تعدو أن تكون فردية أو جماعية محدودة وبرزت بشكل أكثر شمولا فى بعض البلاد الأوربية خلال القرن الثالث عشر الميلادى ويكاد الدارسون لتاريخ الاستشراق يجمعون على أن انتشاره فى أوربا ظهر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى فى التاريخ الأوربى « عهد الإصلاح الدينى » (١) .

وكان من المفروض أن تخف حدة التعصب الدينى عند الأوربيين بعد قيام النهضة الأوربية الحديثة التى بلغت أوجها بإيطاليا فى القرن الخامس عشر الميلادى وبغرب أوربا فى القرن التالى إلا أن ذلك لم يحدث لأنه على الرغم مما وجه وتنذاك إلى الكنيسة ورجالها من نقد وتهكم إلا أن قادة الفكر الأوربى ومعهم رجال الدين سيطرت عليهم عقدة الخوف مما يكنه المسيحى فى قرارة نفسه من أعجاب بالدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ المسلمين فاتفق هؤلاء جميعا على بذل أقصى الجهد ليس فقط من أجل إزالة هـذا الإعجاب وانما أيضا لتحويله إلى مقت واستنكاف فانبرى كل منهم — ما وسعة للطعن فى كتاب الإسلام ونبى الإسلام والتاريخ الإسلامى كله .

وفى القرن السادس عشر الميلادى الذى ازدهرت خلاله النهضة فى غرب أوربا قام الأسبان والبرتغال بأعنف واقسى ما شهده التاريخ البشرى من التعصب الدينى والإرهاب ويصور جانبا منها ما قام به الكاردينال « اكسمنردى سيزنو »

---

(١) التفكير الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٥٣٢ د . محمد البهى .

وكان ذا مكافة دينيـــة كبيرة فى قشتالة (أسبانيا الحالية) فدعا إلى أكراه بقايا المسلمين الذين كانوا يعرفون وقتذاك باسم المورسيكو على التنصر وترك الإسلام ولكى يقطع صلتهم بالعلوم الإسلامية أشار بحرق كتب المسلمين وقد تم بالفعل حرق ثمانين ألف كتاب من كتب العرب بعد جلائهم عن أسبانيا (١) .

ثم انشأت محاكم التفتيش ليس فقط لحرق كل من لم يرتد عن الإسلام ولكن أيضا لحرق كل نصرانى لا يدين بالمذهب الكاثوليكى وقد أصدر الإمبراطور « فيليب الثانى » قانونا فى سنة ١٥٥٦ م بالبرتغال يحرم على بقايا المسلمين فيها كل شىء يربطهم بالاسلام حتى لغتهم واساليب معيشتهم وبلغ من غلوائه أن أعتبر الحمامات التى انشأها المسلمون هناك بقايا نجسة فاصدر قرارا بهدمها (٢) .

واذا كان نجم الإسلام قد أفل فى سماء الأندلس على النحو المذكور فانه قد بزغ فى سماء بلاد أخرى على أيدى الأتراك العثمانيين الذين أسقطوا الدولة البيزنطية وفتحوا عاصمتها القسطنطينية وتربعوا على الأناضول ثم توغلوا فى جنوب شرق أوربا ناشرين الإسلام هناك ودانت لحكمهم كل شبه جزيرة البلقان التى تشمل اليوم أغلب أراضى كل من رومانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا والمجر والبانيا وتحطمت الأحلاف المسيحية المتعددة التى تألفت ضدهم حلفا أثر حلف وامتد نفوذ المسلمين فى أوربا وعلت أصوات المؤذنين فى مساجدها ويمكن القول بأن الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر غدت أقوى دولة على وجه الأرض .

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور المدينة الإسلامية واثرها فى أوربا ص٣٥ ط النهضة المصرية .

(٢) عبد الجليل شلبى صور استشراقية ص ٢٨ ، ٢٩

ويشير المستشرق الأمريكى المعاصر « ولفرد سميث (١) إلى دور الأتراك العثمانيين فى حماية الإسلام والعالم الإسلامى بقوله : ليس تاريخ الأتراك العثمانيين فى حماية الإسلام ببعيد وهم عظماء فى إسلامهم واستغلوا قوتهم فى دعـــم الإسلام فنشروه فى جهات كثيرة ودافعوا عنه ضد المسيحيين وهم الذين تغلبوا على الدولة البيزنطية الد أعداء الإسلام فقضوا عليها وفضلا عن ذلك نشر الأتراك الإسلام فى جنوب أوربا .

أما من جهة الثقافة الإسلامية فقد منحوها العون الكثير بنشاطهم ومثابرتهم وقد ترتب على ذلك أن أكتسب الإسلام مرتدين عن المسيحية يقدر عددهم بعشرات الملايين .

استطاعت الدولة العثمانية أن تقيم سياجا فى المناطق التى تحت سيادتها ضد كل محاولة للنيل من الإسلام والمسلمين وذلك عن طريق القوة.

أولا : ثم بما فرضته من العزلة بين رعاياها وبين الأوربين المتنمرين بالمسلمين .

ثانيا : على أن هذه العزلة كانت سلاحا ذا حدين فهى وان منعت الأوربيين من التدخل فى شئون الدوله العثمانية فترة إلا أنها حرمتها من الاستفادة من الأساليب العلمية التى تقدمت وقتذاك على أيدى الأوربيين فى وقت أصيب فيه البحث العلمى لدى المسلمين بالركود ولم تلبث هذه الدولة أن أصابها الضعف وتطرق إليها الوهن فضعفت قبضتها منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وتكالبت عليها الدول الأوربية الاستعمارية .

ثم مر الاستشراق بمرحلة جديدة ذلك أنه فى القرن المذكور انشىء

---

(١) الإسلام فى التاريخ الحديث ص ٤٣١ ، ٥٢ ، سلسلة كتب سياسية أنظر على حسنى الخربوطلى : المستشرقون ص ٤٨، ٤٩

كرسيين جديدين للغة العربية فى جامعتى أكسفورد وكبريدج ثم أختتم هذا القرن بحملة نابليون على مصر وبلاد الشام التى صحبها عدد كبير من العلماء كان أغلبهم من المستشرقين .

وفى القرن التاسع عشر إزدهر الاستشراق لما حدث من تطور كبير فى الدراسات العربية وبفضل ما نشره علماء حملة نابليون وتخريج مدرسة «دى ساس» الفرنسية عددا كبيرا من المستشرقين الأوربيين وإنشاء كراس للعربية فى كثير من جامعات أوربا .

وتأسيس الجمعيات الآسيوية واصدار مجلاتها واتاحة الفرصة لمعظم المستشرقين لزيارة بلاد الشرق فتوافدوا عليها من مختلف الجامعات والبلدان الأوربية وتبعهم عدد كبير من الرجاله (١) .

ومن الملاحظ أنه حين بدأ الغرب يهتم باستعمار العالم الإسلامى والاستيلاء على ممتلكاته نبغ عدد كبير من علمائه فى الاستشراق فشرعوا فى اصدار المجلات التى تعنى بأمور الشرق فى جميع الممالك الغربية كما بدءوا يغيرون على المخطوطات العربية فى البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة أو يسرقونها من المكتبات العامة التى كانت وقتذاك فى منتهى الفوضى وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم مما أدى إلى انتقال عدد هائل من المخطوطات العربية النادرة إلى مكتبات أوربا وقد بلغت هذه المخطوطات — فى أوائل القرن التاسع عشر — مائتين وخمسين الف مجلد وما زال هذا العدد يتزايد يوما بعد يوم (٢) .

وهكذا اقترن ازدهار الاستشراق بضعف الدولة العثمانية وظهور أطماع

---

(١) راجع لمحات من الثقافة عمر عودة الخطيب ص ١٨٨

(٢) لمحات من الثقافة الإسلامية عمر عودة ص ١٨٨

الدول الأوربية فى الاستحواذ على أملاكها وعلى غيرها من البلاد الإسلامية الشرقية .

ووقد عمد المستشرقون فى هذه المرحلة الجديدة إلى تغيير أساليبهم ، وحاولوا أن يظهروا بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية والاتجاه به وجهة البحث العلمى(١) .

وقد مضى الاستشراق والغزو الاستعمارى فى طريق واحد ، فإذا كان الغربيون قد غزوا البلاد الإسلامية تلك الغزوات الاستعمارية التى نعرفها فإن المستشرقين منهم قد غزوا التراث الإسلامى فأخذوا يقلبون وجوه البحث فيه وألفوا فيه كثير من الكتب وساعدوا على تحقيق كثير من المخطوطات التى نقلوها إلى مكتبات بلادهم أو أخذوا صورها من مكتبات الشرق أو استنسخوها على ذمة نشرها محققة وقامت من أجل ذلك صناعة نشر التراث الإسلامى فى عدد من العواصم والمدن الكبرى فى أوربا(٢).

وعلى الرغم مما يزعمه المستشرقون فى هذه المرحلة من أن دراستهم تقوم على أسس علمية وطيدة فإن الكثيرين منهم — مع الأسف لم يحيدوا عن الروح الصليبية التعصبية القديمة وبخاصة المبشرون منهم والذين استعانت بهم دولهم لأغراض استعمارية فكان هؤلاء يضعون الاتهام أولا ثم يبحثون عن الأدلة التى تقوى هذا الاتهام(٣) .

ومما زاد الطين بلة أن الطلاب المسلمين أخذوا يؤمون الكليات الغربية

(١) نجيب العقيقى : المستشرقون ح ٢ ص ٣٣٠ ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥

(٢) محمد عبد الغنى حسن — علم التاريخ عند العرب ص ٢٠٥ ط القاهرة سنة ١٩٦٠ م

(٣) أحمد أمين — يوم الإسلام ص ١١٣ القاهرة ١٩٥٨ م

للدراسة فيها وقد تأثر الكثيرون منهم بما كان يلقيه المستشرقون فى أذهانهم كما أن الغربيين استعانوا ببعض النصارى العرب فى نشر أفكارهم وبث سمومهم ضد الإسلام والمسلمين هذا فضلا عن أن بعض المستشرقين تسللوا إلى الدوائر العلمية والجامعات فى الدول الإسلامية ، بل إلى المجامع العلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد ،ومن أمثلة المستشرقين الذين شغلوا عضوية هذه المجاميع العلمية : هاملتون جيب ومرجليوث ونيكلسيون من الإنجليز وماسينيون وجى سو الفرنسيان وجريفنى وجويدى الإيطاليان وهوتمان الهولندى وهارتمان الألمانى(١) .

وقد قامت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك فى الماضى من الاغراق على المستشرقين وتقديم المنح والمعونات إليهم(٢) .

ثم جاءت الصهيونية فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين فى وحدة تقاوم اليهودية العالمية وتواجه دولة اليهود الباغية ، والمستشرقون اليهود يعملون فى هذا المجال ومن أمثلة المستشرقين اليهود غولد سيهر وبندلى جوزى ويورى ايفانوف ، وغيرهم .

---

(١) إبراهيم خليل الاستشراق والتبشير ص٦١ — ٦٢

(٢) محمد البهى التفكير الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٥٣٦ القاهرة سنة ١٩٥٩ م

الاستشراق وعلاقته بالتبشير والاستعمار

جن جنون رجال الكنيستين الشرقية والغربية لسرعة انتشار الإسلام واعتناق كثير من المسيحيين إياه وبخاصة فى بلاد تعتبر مهد المسيحية كبلاد الشام ومصر ولم يجد هؤلاء سبيلا لايقاف الزحف الإسلامى بالقوة إذ فشلت كل محاولات الدولة البيزنطية لاسترداد ما فقدته على أيدى المسلمين وليس هذا فحسب بل إن عاصمتها « القسطنطينية » مقر الكنيسة الشرقية تعرضت لحصار المسلمين ثلاث مرات فى صدر الإسلام ثم تلقت هذه الدولة ضربة قاصمة على أيدى السلاجقة المسلمين فى موقعة « ملاذ كرد » سنة ١٠٧١م .

ولم تلبث أن سقطت نهائياً على أيدى السلطان العثمانى محمد الفاتح الذى اقتحمت جيوشه القسطنطينية وافتتحتها سنة ١٤٥٣ م .

وكان ضعف البيزنطيين أمام المسلمين على هذا النحو سبباً فى إثارة أحقاد رجال الكنيسة الشرقية على الإسلام والمسلمين وتمثل هذا الحقد فيما لجأوا إليه من محاولات لتشويه الإسلام وإلصاق الخزعبلات به وإحاطته بالأساطير فقد شرعت السلطات الكنسية تهاجم بالجدل والمناظرات أسس العقيدة الإسلامية بأسلحة فكرية تحمل الكثير من الدس والشبهات ويشير إلى هذه الحقيقة المقال الذى كتبه المستشرق «الفرم جيوم» بعنوان «الفلسفة وعلم الكلام»[1] .

---

(١) تراث الإسلام تأليف مجموعة من المستشرقين بإشراف توماس أرنولد ص ٣٦٤ ط بيروت .

ونصه : « وبمرور الزمن أسلم الكثير من اليهود والنصارى تخلصا من الجزية(١) ، التى كانت تجبى من أهل الكتاب من غير المسلمين وحين دخل هؤلاء إلى كنف الإسلام حملوا معهم ثقافة الامبراطورية البيزنطية وثقافة اليونان وقد أفزعت هذه الإنشقاقات السلطات الكنسية فشرعت تهاجم — بالجدل والمناظرات — أسس العقيدة الإسلامية .

ويزعم «جيوم» أن القديس يوحنا الدمشقى كان يستطيع أثناء مناظراته إفحام المسلمين ببراهين تأتيه مطواعة مستسلمة .

---

(١) من الثابت أن الجزية ليست من مبتدعات الإسلام ، وإنما كانت مقررة عند مختلف الأمم الذى سبقته كبنى إسرائيل واليونان والرومان ، والفرس وأول من سن الجزية من الفرس هو « كسرى أنوشروان » ٥٣١ — ٥٧٩ م) ، وقد خففها الإسلام وأعفى منها بعض الفئات وجعل مقدارها يتفاوت بحسب القدرة المالية للذمى وليس من المعقول أن نتصور أن المسيحين تخلوا عن دينهم من أجل دراهم معدودات فى السنة وهم الذين رضوا بالموت حرقا فى الأخدود وتصدوا لجبروت الامبراطور الرومانى الوثنى «دقلديانوس» حين أذاقهم ألوان العذاب فى محاولة لحملهم على التخلى عن المسيحية دون جدوى وهو الاضطهاد الذى لا تزال الكنيسة المصرية تؤرخ به للآن .

وقد أوضح سعيد حوى (محمد رسول الله ص ٤٨٤) أن الجزية) من بعض الوجوه رمز على الحرية فى الإسلام وأنها تؤخذ من الرعايا الذميين نظير حمايتهم وإعفائهم من الاشتراك فى والمعروف أن القتال فى الإسلام عقيدى ، فكأن إجبار أهل الذمة على القتال مع المسلمين ضد أعدائهم يعد نوعا من الظلم ويتعارض مع الحرية الدينية لأن أهل الذمة فى حالة إشراكهم فى القتال قد يقاتلون أبناء دينهم لصالح المسلمين كرها راجع ص ٢٠ أضواء على الاستشراق — محمد عليان .

ويوحنا الدمشقي الذي يشير إليه « غيوم » أسمه العربي «منصور» وكان من الذين حملوا راية التضليل والدس على الإسلام في فترة مبكرة ٧١ – ١٣٧هـ ٧٠٠ – ٧٥٤ م[١].

وهو بهذه المثابة يعد القدوة للمستشرقين الذين ظهروا من بعده فقد ألف هذا الرجل كتاباً سماه : حياة محمد : قدم الإسلام فيه على أنه فرقة مسيحية مارقة ظهرت على عهد الإمبراطور البيزنطي «هرقل» بفعل متنبيء من العرب يدعى حامد (محمد) وإن حامد، هذا كان قد أطلع على كتابي العهد القديم والجديد ثم أتصل بأحد أتباع «آريوس» المتوحد الذي طردته الكنيسة لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجـــرد لله فعرف منه نحلته الوحدوية فأسس دعوة الإسلام على أساسها وقد استطاع هذا المتنبيء أن يكتسب قلوب قومه وأن يقدم لهم كتاباً زعم أنه أنزل استطاع هذا المتنبيء أن يكتسب قلوب قومه وأن يقـــدم لهم كتابا زعم أنه أنزل عليه من السماء ووضع فيه فرائض مضحكة على أنها الشريعة[٢].

كما أن يوحنا الدمشقي هو الذي دس أول فرية مما تناقله الناس بعده من أن النبي ﷺ قد شغف بالسيدة زينب بنت جحش حباً وهي تحت مولاه زيد بن حارثة فقال في تفسيره قول الله تعالى: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه[٣] .

---

(١) زاهر عوض الألمعي مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش ص ٢٩ – ٣٠

(٢) محمد عزت الطهطاوي : التبشير والإستشراق ص ٣٩

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧

أن معنى الآية أن النبى ﷺ رأى زينب زوج زيد فى حال أثارت عشقه فعشقها وأراد زواجها . . . دس ذلك النصرانى هذه الفرية وراجت بين بعض المفسرين من أمثال ابن جرير الطبرى ونقلها عنه غيره فكانت — بلاشك أعظم الإفتراء وهى تتجافى عن نسق الآية وعن خلق النبى ﷺ ولم يثبت فى الصحاح شىء من هذا(١) .

وقد فند هـــذه الفرية كثير من مفكرى المسلمين وردوا عليها رداً علمياً مفحماً(٢) .

كان يوحنا وأمثاله يحاولون بالباطل ويستدلون بالإسرائيليات فإذا وجدوا الفرصة السانحة دسوا مايريدون دسه على المسلمين وقد انتقلت أباطيل هذا الرجل ومن نحا نحوه من رجال بيزنطة إلى أقطار غرب أوربا فكانت معلوماتها الأولية عن الإسلام — مع الأسف — هذه المصادر البيزنطية غير الصادقة(٣) .

وليس ثمة شك فى أن رجال الكنيسة الغربية الكاثوليكية فى روما لم يرضهم ظهور الإسلام وانتشاره فى أقطار كثيرة ولكنهم لم يستطيعوا وقتذاك أن يحركوا ساكنا بسبب ما كانت تعيش فيـــه أوربا من جهل وضعف ولما حدث التفكك بين المسلمين قبل ظهور صلاح الدين الأيوبى أنتهز رجال هذه الكنيسة الفرصة وتزعموا الدعوة إلى قتـــال المسلمين

---

(١) زاهر عوض الألمعى : مع المفسرين والمستشرقين ص٢٩

(٢) ومن هؤلاء زاهر الالمعى فى الكتاب الذى أفراده لهذه الغاية وهو بعنوان مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش ، والشيخ محمد الغزالى فى كتابه فقه السنة ص ٤٧٣ — ٤٧٦ ط مصر سنة ١٩٧٦ م

(٣) أضواء على الإستشراق ص ٢١ د. محمد عليان .

والإستحواذ على بلادهم وأول من دعا إلى هذا القتال الصليبي هو البابا «سلفستر الثانى فى سنة ١٠٠٢م»ولكنه لم يوفق ثم البابا «جريجوريوس» فى سنة ١٠٧٥ م لكنها تأخرت إلى أن أعلن البابا «أوربان الثانى» الدعوة إلى الحروب الصليبية فى سنة ١٠٩٦ م[١] .

وقد ذكرنا من قبل : أن فشل الصليبيين فى حملاتهم المتوالية على الشرق الإسلامى دفعهم إلى المزيد من الإهتمام بالدراسات الشرقية وقد ظهرت مؤخراً وثيقة هامه تلقى الضوء على تحول الصليبيين عن فكرة الغزو العسكرى إلى الغزو الفكرى وهذه الوثيقة تتضمن وصية «القديس» لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الثامنة التى استولت على دمياط وأنتهى الأمر بهزيمتها فى المنصورة ووقوع لويس فى الأسر وسجنه بدار ابن لقمان ولما عاد إلى فرنسا — بعد أن قدم فدية مالية كبيرة لفك أسره — دعا إلى ضرورة تكتل جهود الأوربيين لتشويه ، الإسلام وإفساد عقيدة المسلمين التى هى سر قوتهم وتفوقهم وأنه لا غنى للأوربيين عن هذا الغزو الفكرى إذا ما أرادوا التغلب عن المسلمين الذين لا سبيل إلى التغلب عليهم عن طريق القوة العسكرية[٢] .

وقد أجتهد الأوربيون فعلا من أجل تنفيذ هذه الوصية وكان القرآن الكريم أول ما صوبوا إليه سهامهم وتولى كبر ذلك القيس بيتر المحترم Peter-the Venrable — وهو من كبار المتعصبين ضد

---

(١) لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامى ص ٢١٨ نقله إلى العربية عجاج نويهض ط ٣ سنة ١٩٧١ م ،

(٢) أنور الجندى الإسلام فى وجه التغريب مخططات الإستشراق ص ٧—٨ دار الإعتصام بالقاهرة .

الإسلام وكان يلوم المسيحيين على مهادنتهم المسلمين ويحسهم على العنف وفى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى صدرت أربع تراجم قرانية قدم لها هذا القس كما ترجمت إلى اللاتينية كتب تتناول سيرة النبى ﷺ وتاريخ الراشدين والامويين إلى عهد يزيد بن معاوية ومقتل الحسين بن على وكان الغرض من هـذا التشويه وتنفير المسلمين والمسيحيين على السواء من الإسلام .

وكتب فى ذلك الوقت قس آخر يدعى الجوس قرطبة — Elgaus-ofcoratoup ترجمة النبى ﷺ ذهب فيها إلى أنه كان يخبر أصحابه أنه سيرفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام من وفاته فلما مات بقى بدون دفن إلى أن يرفع حتى تعفن جسده وأخذت الكلاب تنهش فيه ولم يكن هذا القس يعرف اللغة العربية ولكنه نقل معلوماته من مخطوطة لاتينية عثر عليها مصادفة فى مدينة بامبالونا[1] Pampalona .

لم تكن ترجمة القرآن المشار إليها حرفية لأن «روبرت» الذى تولى هذه الترجمة بتكليف من القس « بيتر » قام بترجمة بعض المعانى العربية بقدر ما استطاع كما أنه هو الذى ترجم الكتب العربية التى تتناول سيرة الرسول وخلفائه حتى مقتل الحسين بن على وروبرت هذا رجل انجليزى قام برحلات إلى فرنسا وإيطاليا والبلقان ورحل إلى آسيا حيث تعلم اللغة العربية .

وفى يوليو ١١٣٦ م استقر فى برشلونة ولم يلبث أن أصبح أرشيدوق بامبالونا ثم قام «بيتر» بتكليفه عمل الترجمات المشار إليها[2].

---

(١) عبد الجليل شلبى : صور استشراقية صـ ٢٧

(٢) على حسن الخربوطلى : المستشرقون صـ ٦٨

فتحت هذه الكتابات عهداً مميزاً للغزو الفكرى الموجه ضد الإسلام فظهرت حملات مصوبة إليه فى كتب ألفت بمعظم اللغات الأوربية بل أن بعض الكتاب الغربيين جعلوا حملاتهم المعادية للنبى ﷺ وعقيدته على شكل قصائد شعرية فيونا كتب وولترسنز — حياة محمد باللغه اللاتينية نظمها الكسندرى دى بونت Alexander depont بالشعر الفرنسى وانتشرت الترجمة التى قام بها « روبرت » للقرآن انتشاراً واسعاً طوال العصور الوسطى .

كما أخذت الحملات الموجهة ضد الإسلام صورة « مناظرات » بين رجال الدين الإسلامى والمسيحى وبالطبع لم تكن كل هـذه المناظرات حقيقية بل كانت من نسج الخيال (١) .

وقد لعب رجال الكنيسة الكاثوليكيه دوراً بارزاً فى حركة الترجمة من العربية ومن هـؤلاء « ريموند » Raymond — رئيس أساقفة « توليدو » وحاكم مدينة « كاستيل » (١١٣٠ — ١١٥٠ م) الذى شكل هيئة من المترجمين تولى رئاستها وسماها دومنيكان جوند سلافا Dominican Gondeslava وقد قامت هذه الهيئة بترجمة كثير من الكتب العربية أما « جيرا — دى كريمون » ١١٧٨ م) .

فقد قام بجهود كبيرة فى الترجمة عن العربية إلى حدان ترجماته بلغت سبعين مؤلفاً عربياً (٢).

---

(١) خواد بخش : الحضارة الإسلامية ص ٤٦ — ٤٩ نقله إلى العربية على حسن الخربوطلى ط بيروت سنة ١٩٨٠

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الإسلامية وأثرها على أوربا ص ٦٥

وحين أشتدت حملة الكاثوليك الأسبان على المسلمين دعا « الفونس » ملك قشتالة « ميشيل سكوت » ليقوم بالبحث فى علوم المسلمين وحضارتهم فجمع « سكوت » طائفة من الرهبان فى أحد الأديرة وشرعوا يترجمون بعض الكتب من العربية إلى لغة الفرنجة ثم قدمها « سكوت » هدية لملك صقلية الذى أمر بأستنساخ نسخ منها وبعثها بدوره هـــدية إلى جامعة باريس (١) .

وقد أسست هـذه الجامعة فى القرن الثانى عشر الميلادى وبدأت تهتم بالأستشراق وتعليم اللغتين العربية والعبرية منــــذ القرن الرابع عشر الميلادى (٢).

لم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين فالاستشراق فى نشأته ماهو إلا أداة من أدوات التبشرين ثم أستغل — فى مرحلة لاحقة — لتحقيق مطامع الدول الأستعماريه .

وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير وتدريب المبشرين على العمل فى بلاد الشرق لهذا كان لابد من تكليف مبعوثيهم بتعلم اللغة العربية فانتشر تعليمها فى المعاهد الدينية وبعض الجامعات كما أنشئت مطابع عربية وجمعت لهم الكتب حتى أن مكتبة الفاتيكان فى روما ضمت إليها مجموعات ضخمة من الكتب العربية المختلفة .

كان الهدف من دراسة رجال الدين التابعين للفاتيكان للغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية هو تخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين

---

(١) على جريشة : أساليب الغزو الفكرى ص ١٨

نجيب العقيقى : المستشرقون جـ ١ ص ١٥٢ ط بيروت .

ويردون عليهم ببراهين من الكتب الإسلامية وكذلك لتحقيق الكتاب المقدس ولتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم فى الأراضى المقدسة وقرر الفاتيكان تعليم اللغة العربية إلى جانب اليونانية والدراسات الشرقية فى مدارس أسانيا ومدارس الأديرة والكاندرائيات وفى القرن الرابع عشر الميلادى أنشأت كراسى للغة العربية فى جامعات أوربية كثيرة وتم تكليف أساقفتها بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية ترجمة علمية واستعانوا فى الترجمة بمن يجيد العربية من النصارى واليهود فكان هؤلاء يترجمون ترجمة حرفية ثم يعيد رجال الدين صياغتها فى أسلوب لاتينى رصين (١) .

ظل الكاثوليك يتزعمون مهمة التبشير المقرون بالاستشراق حتى القرن الثامن عشر الميلادى ثم أسهم معهم فى هذا المجال الكنائس البرتستانتية فى كل من الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا وقد اتسع نفوذ المبشرين الأمريكان فى الامبراطورية العثمانية بين عام ١٨٤٠ ، ١٨٥٠ م وكثر تدخلهم فى شئون البلاد الإسلامية تنفيذا لسياسة استعمارية ولما عزمت الدولة العثمانية على التصدى لهم أثارت الولايات المتحدة أمام العثمانيين مشاكل كثيرة صرفتهم عن أمر المبشرين وأعوانهم من المستشرقين (٢).

ومن الملاحظ أن الدول الغربية لما قويت فى العصور الحديثة وبدأت تتطلع إلى استعمار الشرق لعب الاستشراق دورا هاما فى هذا الانفتاح الغربى الشرقى ، فلما أرادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه والانتفاع بتراثه والتراحم على استعماره أحسنت كل دولة استعمارية إلى المستشرقين فيها فضمهم الملوك إلى حاشيتهم كأمناء

---

(١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ: التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٥٤ ط ١٩٧٣ م

(٢) نجيب العقيقى المستشرقون ج ٣ ص ١١٤٩

أسرار وترجمة وأنتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة الوطنية واجزلوا لهم عطاءهم في الحل والترحال ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية (١)

ومن المعروف أن شركة الهند الشرقية الأنجليزيه التى لعبت دورا حاسما فى بسط النفوذ الانجليز على الهند فى القرن السابع عشر — هذه الشركة ضمت عددا من المستشرقين الذين قاموا بدراسة أحوال أهل الهند من حيث دياناتهم وعاداتهم وآدابهم ووضعوا نتائج دراساتهم بين يدى السلطات الأنجليزيه فأفادت من ذلك أيما أفادة .

كما كانت الحملة الفرنسية ١٧٩٨ — ١٨٠١ م) على مصر وبلاد الشام صورة للاطماع الأوربية الاستعمارية الحديثة فى الشرق ومن الثابت أن الفرنسيين استعانوا فى هذه الحملة بعدد كبير من المستشرقين لتحقيق الأهداف الاستعمارية منها .

وقد لجأ نابليون بونابرت إلى اللغة العربية فى كتابه منشوراته ولوائحه وطبع كتبا فى تعليم اللغة العربية وجهاتها بالمطابع الفرنسية التى جلبها مع حملته وكان هؤلاء المستشرقون الذين صحبوا الحملة علماء متخصصون فى كثير من فروع المعرفة فمنهم الأثريون والمهندسون والأطباء والمترجمون وبعضهم كان شرقيا من مصر ولبنان وسورية من أمثال : ميخائيل صباغ (١٧٠٨ - ١٨١٦ م) الذى أتصل بالمستشرقين دى ساس وكاترمير، وعمل فى المكتبة الأهلية بباريس والياس بقطر مصر (١٧٤٨- ١٧٢١ م) وهو استاذ العربية فى مدرسه اللغات الشرقية بباريس ومصنف المعجم العربى الفرنسى ونقولا الترك

---

(١) نجيب العقيقى المستشرقون ح ٢ ص ١١٤٩

(١٧٦٣ — ١٨٢٨م) صاحب كتاب «حرب بونابرت مع النمسا» وغيره من الكتب وروفائيل زخور (١٧٥٧ — ١٨٣١م) المولود بالقاهرة مع أنه من أصل حلبي وكان يقوم بتعليم اللغة العربية في باريس ثم جعله محمد على (والى مصر وقتذاك) مديراً لمطبعة بولاق فيما بعد فترجما بمدرسة الطب بالقاهرة وكان العضو الشرقي الوحيد في المجمع العلمي المصري وقام بترجمة الكثير من المؤلفات عن الفرنسية والإيطالية وقد أمر نابليون بتأليف المجمع العلمى المصرى وتأسيس مطبعة عربية كان قد استصفاها من الفاتيكان لطبع تصريحاته وبلاغاته ومنشوراته كما أصدر نابليون ثلاث صحف منها واحدة بالعربية وأنشأ كذلك مكتبة ومتحفا ومختبراً ومصنعا ومرصداً فتحت أبوابها للمصريين وقد نشر هؤلاء المستشرقون الفرنسيون وتلامذتهم من العرب بحوثهم ورسومهم وخرائطهم في الكتاب المعروف بكتاب «وصف مصر» ١٨٠٩ — ١٨١٣م)[1] .

وقد ظهر نابليون أمام المصريين بصورة المستشرق إذ تظاهر باعتناق الإسلام وشارك المصريين إحتفالاتهم الدينية وارتدى العمامة والجبة والقفطان في بعض الأحيان وزار علماء الأزهر في بيوتهم ولما لم يستجب له علماء الأزهر وقادوا الشعب ضد هذا المستعمر الدخيل صوت مدافعه المقامه على قلعة الجبل إلى الجامع الأزهر واقتحم جنده هذا الجامع وهم يمتطون الخيل وهكذا ظهر هذا الاستعمارى على حقيقته على الرغم مما تظاهر به وأدعاه وليس ثمة شك في أن الأبواب كانت مفتوحة على مصاريعها أمام المستشرقين في أعقاب تغلغل الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية وغيرها من بلاد الشرق فكان هؤلاء يصولون ويجولون في حرية تامة

---

(١) نجيب العقيقى المستشرقون حـ ١ ص ١٤٩ — ١٥٠

وكانت دول الانتداب وكل الدول الاستعمارية تتحكم فى توجيه الثقافة وتخطيط وسائل التربية والتعليم .

وقد تمتع المستشرقون بحرية تامة فى التجول بين مكتبات الشرق يسطون أحيانا على مخطوطاتها أو يصورونها وينسخونها بحسب رغبتهم وينبشون الآثار القديمة ويسلبون معظمها ليملأوا بها المتاحف الغربية وفى وقت من الأوقات كان المسلم إذا ما أراد الاطلاع على كتب التراث الإسلامى لا يجد أمامه غير ما حققه المستشرقون منها أو نشروه(١) .

وقد أنشأت الدول الغربية كليات ومعاهد للدراسات الشرقية فى كبريات بلدة مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وبطرسبرج وهارفارد وغيرها وألحقت بها أقسام خاصة لدراسة اللغات العربية وبعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والأردية .

وفى بلد مثل إنجلترا أرتفعت الأصوات فى مطلع القرن العشرين تنادى بضرورة تأسيس معهد شرقى تكون مهمته إعداد رجال ونساء يستطيعون ان يخدموا وطنهم فى الشرق فى المجالا الدبلوماسية والتجارية والعسكرية والثقافية وهكذا تم تأسيس معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن سنة ١٩١٧ م أما جامعة كمبردج فإن أول كرسى للدراسات الاسلامية تأسيس فى سنه١٩٣٢ بدعم مالى من رئيس بلدية لندن الذى كان تاجرا معروفا بأخلاصه لدولته .

وكان الغرض الأساسى من إنشاء المؤسسات المذكورة هو تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء فى الشئون الاسلامية وأن تكون فى خدمة الحكومات المستعمرة لتحقيق أهدافها فى البلاد الاسلامية حتى أن رجال

---

(١) على حسنى الخربوطلى : المستشرقون والتاريخ الإسلامى

السياسة هناك كانوا على صلة وثيقة بأساتذة تلك الكليات ويرجعون إلى آرائهم قبل البت فى المسائل السياسية المتعلقة بالدول الإسلامية والشرقية .(١)

بل أن بعض أولئك الأساتذة كان يستغل صداقته للبارزين من رجال تلك الدول الشرقية ويتخذ منها ستارا يقوم من ورائه بأعمال التجسيس فى السلم والحرب(٢) .

ومن الثالث أن كثيراً من المستشرقين عينوا خبراء ومستشارين فى وزارات الخارجية ببلادهم مثل جولد تسيهر ومستشاين وغيرهما وقد عين برنارد لويس فى الخارجيه الانجليزية فى سنة ١٩٤١م(٣) .

وتسلل كثير من المستشرقين — مع الأسف — إلى المجامع اللغوية والعلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد وغيرها ومن أمثلة هؤلاء .

١ — لويس ماسينيون : من أكبر المستشرقين الفرنسيين ، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال أفريقية والراعى الروحى للجمعيات التبشيرية الفرنسية وقد شغل عضوية المجمع اللغوى بمصر وعضوية المجمع العلمى العربى بدمشق(٥) .

٢ — مرجليوث: إنجليزى متعصب ضد الإسلام ومن محررى دائرة المعارف الاسلامية وقد شغل عضويه المجمع المصرى والمجمع العلمى العربى بدمشق ، إبراهيم خليل الاستشراق والمستشرقون ص٦١—٦٢

---

(١) التبشير والاستشراق محمد عزت الطهطاوى ص ٤٢ ، ٤٣
(٢) إبراهيم خليل : الاستشراق والتبشير ص ٧٩
(٣) نجيب العقيقى : المستشرقون ج ٢ ص ٥٦
(٤) إبراهيم خليل الاستشراق والتبشير ص ٦١ ، ٦٢
(٥) المرجع السابق ص ٦١—٦٢

٣ — هاملتون جيب أكبر مستشرق إنجليزى ومن كبار محررى وناشرى دائرة المعـــارف الإسلامية المولود سنة ١٨٩٥ م من مواليد الاسكندرية خلف مرجليوث فى اكسفورد سنه ١٩٣٧ — ١٩٥٥ م عضو فى مجمعى القاهرة ودمشق يجيد العربية كتابة وإلقاء درس على علماء مسلمين ثم حاضر فى العربية فى جامعة لندن سنة ١٩٣٠ — ١٩٣٧م، وفى اكسفورد ١٩٣٧ وفى هارفارد الأمريكية سنة ١٩٥٥م وأصبح مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط سنة ١٩٦٢ م ورحل إلى مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب العربى واجتمع بكبار الأدباء فيها وكان من الداعين إلى الجامعة العربية سنة ١٩٤٢ م ومن آثاره فتوح العرب فى آسيا الوسطى وعلاقتها الأولى ببلاد الصين سنة ١٩٢٣ م والمدخل إلى تاريخ الأدب العربى لندن ١٩٢٩ م و: ماهو الإسلام؟ لندن ١٩٣٢ م وكيان التفكير الدينى فى الإسلام بالفرنسية باريس ١٩٢٥ إلخ وأخطر كتبه فيما يبدو لى: وجهة الأسلام WhitherIslam الذى ظهر إبان العنفوان الاستعمارى سنة ١٩٣٢ م والاتجـاه العلمانى الغربى وذلك لسببين: جماعية أو اشتراك الباحثين المختصين فى الدراسات الإسلامية والشرقية من فرنسا وألمانيا وانجلترا ثم لوضوح غرض واحد مشترك بين الباحثين فى محاولاتهم (تغريب) العالم الإسلامى ويقترن التغريب خاصة بأعمال (جب) وبصورة أخص فى كتاب وجهة الإسلام الذى أشرف على جمعه وتأليفه بحوثه والتقديم له بـ (١٠٠) صفحة ثم كتابة الفصل الاخير منه ويبدو أن محور الكتاب يدور حول: اهتمام الغربيين بدراسة الاتجاهات الإسلامية ومدى تأثير الإسلام فى توجيه الحياة ومبلغ ما بقى له من سيطرة عليها بعد هجوم الآراء الغربية الجديدة[1].

---

(١) الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص ٢١١ فى الشعر المعاصر د. محمد محمد حسين دار النهضة العربيه ط ٣ سنة ١٩٧٢

وبتعبير موجز (مدى تغريب الفكر الإسلامى والمسلمين) .
ومن المفيد أن نشير إلى أبرز أفكار هذا الكتاب لخطورته .

١ — التغريب وأسباب الوحدة فى الحضارة الإسلامية :

فن المعلوم موقف الغرب واهتمامه فى (تفتيت الوحدة الإسلامية) الذى (لم يجمع خبراء الغربيين فى الشئون الإسلامية والعربية على شىء مثل إجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية التى يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة تصعب تجنبها) .

ويصرح جب فى تقديمه بأن اهتمام الانجليز بدراسة الإسلام ناشىء عما يعرفونه بسيطرة تعاليمه على المسلمين مما يجعل له مكانا بارزاً فى أى تخطيط لاتجاهات العالم الإسلامى .)[1] .

وهو يقرر أن فصول الكتاب تعالج : مشكلة الإسلام اليوم[2] أو مشكلة القديم والحديث ، ويحاول أن يتتبع أسباب وحدة الحضارة الإسلامية التى لم تستطع العوامل الإقليمية أن تؤثر فيها أو تنال منها على تعاقب الأزمان وتباين الأصقاع مما جعل العالم الإسلامى كتلة سياسية خطيرة ذلك العالم المترامى الأطراف الذى يحيط بأوربا إحاطة محكمة تعزلها عن العالم ويقول : إن الإسلام قد انتشر انتشارا سريعا فى فترة لا تتجاوز قرنين ونصف وقد كان من أبرز آثار هذا الانتشار السريع الذى تكونت خلاله الحضارة الإسلامية الكاملة أنها نشأت حضارة

(١) من كتاب جب وجهة الإسلام ص ١٢ من الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ١٤٠

(٢) ص ٢٢ كتاب جب و ج ٢ ص ٢١٢ الاتجاهات الوطنية .

موحدة إذ لم تمكن فرصة لتأثير العناصر الإقليمية المختلفة والثقافية المتباينة فلما انتشر الإسلام بعد ذلك لم يكن دينا ساذجا ولكنه كان نظاما كاملا شاملا للحياة ولذلك نرى أن اتساع رقعة العالم الإسلامى من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادى لم تؤثر فى وحدة الحضارة الإسلامية على ما تقتضى به العادة(١) .

وفى مقاله الأخير ينوه بوحدة العمل ووحدة الهدف كإحساس مشترك بين الشعوب الإسلامية(٢) .

وهكذا يعزو وحدة الحضارة الإسلامية إلى عاملين : سرعة انتشار الإسلام التى لم تمكن العناصر الإقليمية من تأثيرها على الإسلام وكمال حضارة الإسلام وشمولها ثم وحدة العمل والهدف بين المسلمين فى هذا العصر وما بعده

٢ — التغريب والقوميات اللادينية :

يلاحظ جب أن وحدة الحضارة الإسلامية تمحو من الأذهان حيثما حلت كل ما يتصل بالتاريخ القومى لتحل محله الاعتزاز بالتاريخ الإسلامى والتقاليد الإسلامية وهو لاينسى حين يتكلم عن الحركات القومية التى دعتها دعايات الحلفاء القوية خلال الحرب العالمية الأولى أن ينبه إلى أن

---

(١) ص ١٥ — ١٧ من كتاب جب و ح ٢ ص ٣٠٦ من الاتجاهات الوطنية .

(٢) ص ٣١٦ — ٣١٧ من كتاب جب و ح ٢ ص ١٥٢ من الاتجاهات الوطنية .

هذا النصر الذى حققه الاتجاهات القومية لاينبغى أن يصرف الغرب عن الانتباه تيار المعارضة الإسلامية الخفى الذى يعارض فى تفتيت الوحدة الإسلامية إلى قوميات لا دينية مبينا أن هذه المعارضة هى أشد قوة فى البلاد العربية .

٣ — التغريب وأهمية وحدة اللغة الفصحى فى وحدة المسلمين :

يتحدث (كامفاير ، وكاتب مقال مصر وغربى آسيا) فى الكتاب نفسه عن أهمية الفصحى فى الوحدة الثقافية والفكرية ويقول : إن من المؤكد أن العـــالم العربى ولاسيا الكتلة المتحدة التى تكون مركزه الكبير والمكونة من مصر وشبه جزيرة العرب وفلسطين وسوريا والعراق ستلعب دورا بالغ الأهمية بل ربما كان حاسما فثقافة هذه البلاد فى تطور مستمر يزداد على الأيام وسيعين اشتراكها فى اللغة الفصحى وسهولة المواصلات بينها على خلق وحدة ثقافية وفكرية فيها أن بعث الإسلام فى هذه البلاد حقيقة واقعة وتغيير هذا الاتجاه مستحيل فليس من الممكن أن يحدث فى هذه الأقطار العربية شىء يشبه ما حدث فى تركيا ولن ينفصل العرب عن الماضى المجيد فى التاريخ الإسلامى وفى الأدب الإسلامى . لن يستبدل الناس فى هذه المنطقة الحروف اللاتينية بالحروف العربية . إن حركة بعث الإسلام فى هذه البلاد لا يمكن أن تنقطع أو تتوقف لأن الناس فى حاجة إليها فهى من مقومات وحدتهم الوطنية(١) .

---

(١) ص ١٥٨ - ١٥٩ من كتـــاب جب ح ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ من الاتجاهات الوطنية .

ولكن تبرز إلى الذهن قضيتان هامتان :

الأولى : بتر اصقاع عربية شاركت ،أو تشارك فى تكوين مركز الكتلة العربية المتحدة مثل المغرب العربى ولبنان والأردن .

الثانية : الاتجاه القومى الذى لا يحسب للعالم الإسلامى حسابه فى بعث الإسلام وهو اتجاه لا يتعارض مع ظهور القوميات اللادينية وإنما يربط كامغماير الاتجاه القومى هنا بالتاريخ والأدب الإسلاميين وفى النهضة الوطنية ويؤكد هذا أن العربية الفصحى لغة العالم الإسلامى الثقافية الوحيدة كما يقول جب(١)

ثم استحالتها فى تركيا كما يقول (كامغماير) : إن قراءة القرآن العربى وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية(٢)

٤ — مستقبل التغريب :

من الصعب أن يتغرب الفكر الإسلامى والمسلمون طفرة وفى زمن قصير فالغربيون عموما وجب خصوصا لا يطمعون فى كسب عاجل ولا يطلبون انقلابا كاملا مريعا ولكنهم يقنعون بالتحول الهادىء الذى أشار إليه جب حين وصف تطور المجتمع الإسلامى المصرى بأنه يسير سيراً هادئا تدريجيا لا يكاد يسترعى الانتباه(٣)

---

(١) ص ١٢ من كتاب جب و ح ٢ ص ٣٦٤ من الاتجاهات الوطنية
(٢) الاتجاهات الوطنية ص ٣٦٥ ح ٢
(٣) المرجع السابق ح ٢ ص ٢٨٤ — ٣٨٥

ولذا فإن (القبعة) مظهر مرفوض لدى المسلمين (وكأنهم بذلك يعلنون أنهم مهما يقبلوا من شيء فإنهم لا يقبلون أن تصبح رؤوسهم غربية ويصرون أن تظل شرقية وقد كلفت هذه القبعة أحد ملوك الأفغان عرشه حين ادخلها فى بلاده(١)

ويمكن (تغريب) الإسلام والمسلمين فى نظر جب باتخاذ الوسائل التالية :

(أ) الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم وتصبح جزءاً حقيقيا من كيان هذه الدول الإسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها وليست بالمظاهر الخارجية فهى ثانوية مالم تؤثر الآراء الجديدة فى فهم الروح والأصول(٢)

(ب) التعليم والصحافة : يقول جب :

والسبيل الحقيقى للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبين إلى أى حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربى وعلى المبادىء الغربية وعلى التفكير الغربى .

والواقع أن المدارس والمعاهد العلمية لا تكفى شيئا فى قيادة الاتجاهات السياسية والإدارية وللوصول إلى هذا التطور الأبعد — الذى بدونه تظل الأشكال الخارجية مجرد مظاهر سطحية — يجب ألا ينحصر الأمر فى الاعتماد على الصحافة .

---

(١) السابق ج ٢ ف ٣٦٤ وهو يقصد أمان الله خان ملك الأفغان السابق الذى ثار عليه شعبه وعزله .

(٢) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢١٦

ويقر رجب أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي بسبب معظم المديرين (التقدميين) وباحتوائها على مقالات تشرح الحركات السياسية والاقتصادية في أوربا وعلى مقالات مترجمة من الصحف الأوربية وعلى ما فيها من أخبار عن أحداث الغرب .

(ج) النشاط الثقافي والاجتماعي العام :

يقول جب : الواقع أن الاسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلا من قوته وسلطانه ولكن الإسلام بوصفه قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعيه قد فقد مكانته فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه وهي — في كثير من الأحيان — تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضا صريحا ولكنها تشق طريقها فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم من عامة الناس وللفلاح اتجاه سياسي ولم يكن له أدب إلا الأدب الديني ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين كان الدين هو كل شيء بالقياس إليه أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود وتعددت ألوان نشاطه الذي لم يعد مرتبطاً بالدين فقد أصبحت له ميوله السياسية وهو يقرأ — أو يقرأ له غيره — مقالات في مواضيع مختلفة الألوان لا صلة لها بالدين — وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل .

ولكنه مرتبط في المجتمع الذي يحيا فيه بقوانين مدنية قد لا يعرف أصولها ومصادرها ولكنه يعرف على كل حال أنها ليست مأخوذة من القرآن وبذلك فقد الأسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئا حتى انحصرت في طقوس محدودة وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه

ثم يقول : وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ولم يعد من الممكن الرجوع فيه .

وبعد أن يمضى فى تتبع التغريب من آثار بين المسلمين فى روسيا والهند واندوسيا وافريقيا ينوه بدور القادة والزعماء فى العالم الإسلامى فى نجاح التغريب ثم بدور الشباب خاصة .

ثم يختم كلامه : إن العالم الإسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة لادينيا فى كل مظاهر حياته مالم يطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فتغير اتجاه التيار

(د) القضاء على المعاهد الدينية :

وهذا واضح من ضيق جب بالدين وعلومه وقوته وسيطرته فهو يقول ومع أن الوحدة الإسلامية قد انتهت من الناحية القانونية الرسمية ومع أن الثقافات القومية قد أخذت مكانها فى المدارس ومع أن الفوارق الاجتماعية قد أصبحت أكثر وضوحا ومع أن الثقافة الدينية التقليدية قد أصبحت محصورة فى عدد قليل محدود ومع ذلك كله فالمعاهد الدينية نفسها لاتزال قائمة ولا يزال حفاظ القرآن ودارسوه كما كانوا لم ينقص عددهم ولم يضعف سحر آيات القرآن وتأثيرها على تفكير المسلمين وربما كان تقديس شخصية محمد — ﷺ — وما يثيره ذكره من حماس فى سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم من أهم ملامح النهضة الإسلامية الحديثة(١) :

(ه) تشجيع الحركات الإصلاحية التقدمية فهو يظهر أسفه على نظرات المسلمين المحافظين من الحركات الاصلاحية فيقول : ولسوء حظ ظل قسم كبير من المسلمين المحافظين ولا سيما فى الهند لايخضعون لهذه الحركات الاصلاحية . . وينظرون إلى الحركة التى تزعمتها عليكرة) . . . نظرة

---

(١) من الاتجاهات الوطنية ص ٢١٨ — ٢٢٠ ج ٢

كلها ريبة وسوء ظن حتى لا يقل عن ريبتهم فى الثقافة الأوربية نفسها .

بينما يعلن جب تخوفه من الحركات الإسلامية بزعاماتها المخلصة فيقول : ان الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة فهى تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من اماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة لا ينقصها الاظهور صلاح الدين جديد(١) .

واذا صح لنا أن نستنتج من الدراسة السابقة والزاخرة بالدس والخداع فيمكن ان نلاحظ ما يلى :

١ — عمق المعالجة الدرسية وشمولها وتسلسها وفق الخطة الموضوعة تبرز خطورة مضامينها الفكريه مع ما تبرزه من المعرفه الغربية وبخاصة خبرة جب فى القضايا الإسلامية فهو اكبر مستشرق انجلترا المعاصرين .

٢ — جماعية الدراسة بتعميم فكرها على معظم الدول الغربية التى شارك مستشرقوها فى طرح قضية التغريب كل باحث فى طريق أو جانب معين منه قومى أو لغوى أو دينى أو اجتماعى وهى تدل على سريان روح غربية واحدة تتجاوز الطرح العلمانى إلى الروح الصليبية الحاقدة .

٣ — فكرها وروحها الاستعمارية اللذين اتخذا اطار التغريب فى الغزو الفكرى عامة ودراسات المستشرقين خاصه وهو بوسائله المتعدده يضمن للاستعمار نفوذ الاقتصادى إلى جانب أنواع أخرى من النفوذ السلوكى والدينى بطريق التغيير التدريجى الهادىء وهذا يؤكد خطورة العمل الاستشراقى المرتبط بعجلة الاستعمار ويدفعنا إلى التحرر النفسى

---

(١) المرجع السابق ح٢ ص٢١٣ — ٢٢٠

والفكرى من شروره وذلك بتحصين فكرنا وبنائه بناء اسلاميا خالصاً ثم الالتزام بالاسلام منهجا وحضارة .

٣ — نيكلسون : من مستشرقى انجلترا المشهورين ومن محررى «دائرة المعارف الاسلامية» ، وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى ويصفه بالمادية وعدم السمو وقد شغل عضوية المجمع اللغوى المصرى(١) .

٤ — الفريد جيوم : شغل منصب الاستاذية فى اللغات الشرقية فى أكثر من جامعة غربية وقد شغل عضوية المجمع العلمى العربى بدمشق فى سنة ١٩٤٨م والمجمع العلمى العراقى فى السنة التالية(٢) .

ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الغربية للدراسة فيها وقد تأثر كثير منهم بافكار اساتذتهم من المستشرقين وأسهموا — عن قصد أو غير قصد — فى تحقيق الاهداف التبشيرية والاستعمارية للاستشراق وأهمها خلق تخاذل روحى ومعنوى وايجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامه وحملهم من هـــذا الطريق على الرضا والخنوع للتوجيهات الغربية .

ويمكن ان نذكر طرفا من الآثار التبشيرية والاستعمارية للنشاط الاستشراقى من خلال عرض افكار بعض تلاحذة المستشرقين المسلمين منهم وغير المسلمين الذين تأثروا بافكار المستشرقين منهم .

وذلك على النحو التالى :

أحمد خان : من مسلمى الهند الذين افتتنوا بالمدينه الغربية وقد حاول جهده ان يقوم بما أسماه حركة تقدمية فى الإسلام ولم يكتف بما زعمه من

(١) المرجع السابق ص ٦١—٦٢

(٢) المرجع السابق ص ٦١ — ٦٢

التقدمية فى الإسلام بل كان كذلك صحفيا ومؤلفا ومدرساً ومشرفا على كلية علمية دينية هى « الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية » وفى هذه الكلية كان يدرس الدين المسيحى بنفس الدرجة التى يدرس بها الإسلام ولهذا كان لأحمد خان نفوذ سياسى وتربوى اقترن بحركته التجديدية المزعومة التى أثرت — فيما بعد — فى خلق « القاديانية(١) .

ولم يفت المؤتمر التبشيرى الاستعمارى الذى عقد بالقاهرة فى سنة ١٩٠٦ م ان يشيد بما اسماه : حركة الاصلاح التى دخلت بين مسلمى الهند والاشادة بالسير أحمد خان زعيم تلك الحركة وبما بذلته مدرسته فى عليكر ، بالهند من جهود(٢) .

طه حسين : من تلامذة الجامعات الفرنسيه وهو صاحب حركة التجديد فى الادب العربى بمصر وأحد الذين شغلوا منصب عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم وزير المعارف العمومية بجمهورية مصر العربية .

وكان فى فترة ما رئيسا لتحرير « مجلة الكاتب المصرى » وهى مجلة كانت تصدرها شركة الكاتب المصرى المؤلفة من جماعة من يهود مصر الذين هاجروا منها نهائيا عقب فشل العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦(٣) .

وهو مؤلف لعدد من الكتب منها : الشعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة فى مصر وحديث الاربعاء .

ومما قاله طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » ان النبى قبل قصة مجىء إبراهيم وابنه إسماعيل إلى مكة وتعلمه العربية لاستعداد المكيين أنفسهم — فى زعمه — لقبولها ، رغبة منهم فى الوحدة والتكتل ليكونوا قوة ثالثة

---

(١) نجيب العقيقى ص ٥٤٣ نفس المصدر السابق

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٨٩ ترجمة محى الدين الخطيب

(٣) إبراهيم خليل نفس المصدر ص ٦١

فى مواجهة قوتى الفرس والروم وإن كان هو — أى طه حسين — يشك فى انتقالهما إلى مكة على الرغم من الاشارة إلى ذلك صراحة فى كل من التوراه والقرآن(١) .

وقد فند هـذا الزعم الشيخ محمد الغزالى(٢) (ومن المضحك ان يجىء الدكتور طه حسين فيقتبس هذا الضلال ويخرجه فى كتاب ألفه عن الشعر الجاهلى بعد ان يخيل للناس ان هذا الكفر هو نتاج عقله الخاص وليس نقلا عن مستشرق موتور د هو مرجليوت الذى انكر قصة مجىء إبراهيم وابنه إسماعيل إلى مكة وعنده ان اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوها وهو يرى مثل مرجليوت، فى اختراعهم لها نوعان من الحيلة فى اثبات الصله بين اليهود والعرب وبين الإسلام واليهوديه وبين القرآن والتوراة ونحن إذا رجعنا إلى التوراة نجدها تتحدث عن إبراهيم وإسماعيل وبنى إسماعيل فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين وفى الاصحاح الأول من اخبار الأيام الأول وهذان الموضعان من التوراة ولا سيما أولهما من أقدم أسفارها لأنه معاصر لموسى عليه السلام فهل يتفضل .. طه حسين علينا وعلى العلم فيخبرنا كيف تسنى لهؤلاء الدساسين من اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب ان يدسوا هذه الاسطورة قبيل الإسلام أو بعيد الإسلام فى اسفار منسوبة الى عصر أقدم من الإسلام بازمان كثيرة وكثيرة جدا ! ؟ كيف دسوا هذه الدسيسه فى التوراة وهم فى يثرب أو فى خيبر أو فى غيرها من بلاد العرب ولم يشعر بهم سائر يهود الدنيا ؟ أم تراهم فعلوا ذلك بتواطىء اتفق جميع اليهود عليه احتيالا على اثبات الصلة بين اليهود والعرب » .

---

(١) انور الجندى : الإسلام فى وجه التغريب ص٣٦٣

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٤٠ ، ٤٢ الطبعة الرابعة ١٩٧٥ القاهره ١٣٩٥هـ

ولقد اختلف المثقفون فى تقويم آراء طه حسين التى ذكرها فى بعض كتبه الأخرى مثل «حديث الاربعاء» و «مستقبل الثقافة فى مصر».

ففى الكتاب الأول أسهب فى الحديث عن الشعراء المجان وخرج من دراسته بفكرة مسمومة فى رأى البعض(١). هى أن القرن الثانى الهجرى كان قرن شك ومجون وذهب فى الكتاب الثانى — طبقا لما يراه البعض — إلى أن العرب قوم مستعمرون كالفرس والرومان وأن مصر يجب أن تنتمى ثقافيا إلى الغرب لا الى الشرق ولاشك أن أى مسلم واع لايسعه الا أن يستنكر ما ذهب إليه طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى، لأنه كفر صريح نقله عن بعض المستشرقين المغرضين.

أما غير المسلمين من العرب الذين نجد فى أفكارهم صدى ظاهر الآراء المستشرقين المغرضين فنهم :

لويس عوض : يتزعم الدعوة إلى الفرعونية فى مصر وهو لا يمل من القول بأن العرب مدينون للغرب فى كل شىء والحسن من تراثهم مرده إلى الثقافة اليونانية وهذا المعنى الذى تدور حوله كثير من مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته.

وعلى الرغم من كثرة اطلاع لويس فان بعض المفكرين المسلمين ردوا عليه وأفحموه ومن الذين تناولوا أباطيل لويس بالتحليل وردوا عليها محمد جلال كشك فى مؤلفه الغزو الفكرى(٢).

ومن الأباطيل التى ذهب اليها ذاك المسيحى أن أبا العلاء المعرى ماهو إلا ثمرة للحروب الصليبية التى ولد بمولدها وعاش فى غمارها لأنه كان يتردد وهو صبى فى الحادية عشرة إلى دير بقرب مدينة حلب الواقعة تحت

---

(١) على جريشة أساليب الغزو الفكرى.
(٢) نشر الدار القوميه للطباعة بالقاهرة ط ٢ سنة ١٩٦٦

الاحتلال الصليبي وقتذاك فيدرس على يد راهب هناك كتب الفلسفة اليونانية وآدابها وقد خير أبو العلاء وجيـــله من المثقفين بين الحرية الفكرية في مدن ضعيفة مفككة في ظل الحماية الأجنبية الصليبية وبين الوحدة السياسية القوية على أيدي الفاطميين ومعها القضاء على حرية الفكر فاختار هؤلاء الثقافة على حساب القوة والاستقلال السياسي وأراد لويس أن يطرح حجة دامغة على صدق نظريته فصدر بحثه ببيت من الشعر يقول :

صليب جمرة الهجير نهارا ثم باتت تغص بالصلبان

وكتب تحته : « المعري في وصف حلب ».

ولقد فند صاحب كتاب الغزو الفكري(١).

هذه الفرية بكثير من الأدلة نعرضها بشيء من التصرف .

١ — أن الأديرة في الفترة التي عاش فيها المعري كانت تعتبر الفلسفة اليونانية والآداب اليونانية فكرا وثنيا تحرم قراءته فضلا عن تدريسه إذ كانت الكنيسة — قبل الحروب الصليبية بفترة طويلة — تحرم الاطلاع على هذه الفلسفة الوثنية وتأمر بحرق كتب التراث اليوناني والروماني وتحكم بالحرمان من رحمة الكنيسة على كل من يحتفظ بشيء منها والمعروف أن المسيحي يعتقد أنه مهما عمل من خير فلن يقبل منه إلا بوساطة الكنيسة .

٢ — من الثابت أن الأوربيين هم الذين تعلموا من المسلمين في أثناء الحروب الصليبية وليس العكس وذلك لسبب بسيط هو: أن أوربا وقتذاك لم يكن لديها شيء تقدمه وهذه حقيقة تاريخيه ثابتة لا ينكرها إلا جاهل

---

(١) محمد جلال كشك .

أو حاقد يقول جوستاف لوبون[1] . (كان الشرق يتمتع بحضارة زاهرة بفضل العرب (المسلمين) وأما الغرب فكان غارقا فى بحر من الهمجية ولم يكن عند أولئك البرابرة مايفيد الشرق ولم ينتفع الشرق منهم بشىء فى الحقيقه ولم يكن للحروب الصليبيه عند أهل الشرق من النتائج سوى بذرها فى قلوبهم الإزدراء للغربيين على مر الأجيال.

٣ — إن أوربا الحديثه لم تعرف التراث اليونانى والرومانى من مصادره الأصلية بسبب موقف الكنيسة المتعنت من هذا التراث فى أوربا العصور الوسطى ومن الثابت أن الأوربيين لم يعرفوا هذا التراث إلا عن طريق الترجمات العربية ومعنى هذا أن المعرى وغيره من المسلمين وقتذاك لم يكونوا فى حاجة إلى راهب مسيحى مفلق على كنيسته ليطلعهم على الفلسفة اليونانية والآداب اليونانية.

٤ — صحة البيت المذكور هى :

صليت جمرة الهجير نهارا   ثم باتت تغص بالصليان

بالياء ذات النقطتين التحتيين ، وهو اسم نبات شهى للإبل وهذا البيت للمعرى حقا إلا أنه لم يكن فى وصف مدينة حلب وإنما قاله المعرى يصف ناقته التى شقيت بالنهار وهى راحلة إلى أن جاءها الليل يا طايب الطعام وهو نبات « الصليان » ، ولما نبه لويس عوض إلى هذا الخطأ بعد نشره هذا البيت اعتذر بأن الكلمة كتبت خطأ « الصلبان » ، وهنا يثور سؤال هل حقيقة أن لويس عوض لا يعرف أن البيت المذكور وصف لناقة المعرى ؟ أم أنه تعمد أن ينسب إلى المعرى مدحه لمدينة حلب تحت الحكم الصليبى فهو يصف صباحها الإسلامى بجمرة الهجير . ثم جاء الليل

---

(١) حضارة العرب ص ٣٣٤

واحتلها الصليبيون فباتت تغص بالصلبان (جمع صليب) فى رايات الجند وخوذاتهم ؟

فيليب حتى : لبنانى مسيحى اكتسب الجنسية الأمريكية وعمل استاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة «برنستون» بأمريكا ثم رئيسا لهذا القسم وهو الآن بالمعاش وتتضح آراؤه بالعداء الشديد للإسلام والمسلمين فهو مثلا يعلل نجاح حركة الفتوح الإسلامية بقوله : أن الفتح كان حركة قومية وأن الفوز فيه كان للقومية العربيه لا للدين الإسلامى(١).

على أنه من الثابت أن هذه القبائل وقعت مع الفرس بالعراق جنبا إلى جنب ضد المسلمين خلال كثير من المعارك الهامه مثل : الولجة وأليس والحيرة ، والانبار والمصيخ ، والفراض . بل أن مالقيه المسلمون من عرب العراق كان أشد وأقسى مما تعرضوا له من قبل الفرس فى أغلب المعارك المذكورة .

وفى بعض الأحيان كان لقاء المسلمين مع العدو يقتصر على هؤلاء العرب دون الفرس مثلما حدث فى معركة «عين التمر» ولم يكن موقف القبائل العربيه المتنصرة ببلاد الشام من الجيوش الإسلامية الفاتحه باهون من موقف قبائل العراق إذ أفصح عرب الشام عن عدائهم للمسلمين منذ وقت مبكر حين قتل شر حبيل الغسانى رسول النبى إلى أمير بصرى وفى العام الهجرى الثامن آذر عرب الشام الروم فى إنزال الهزيمة القاسية بالمسلمين فى «مؤتة» كما كان هؤلاء يسيرون أمام جيوش الروم يدلونهم على الطريق فى أثناء تصديها للجيوش الإسلاميه الفاتحه.

---

(١) أنظر كتابه «تاريخ العرب» ص ١٩٧ — (فيلب حتى) .

ومن الثابت أن كثيرا من عرب الشام المتنصرة انضموا إلى الروم ضد المسلمين فى معركة « قنسرين » وهى من معارك الفتح المتأخرة وانهم لم يهادنوا المسلمين إلا بعد أن أنحسم مصير هذه البلاد وأصبح من المؤكد صيرورتها للمسلمين (١) .

كما أن فيليب حتى يتحدث عن اليقظة الأدبية الحديثة فى العالم العربى بقوله « لم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر وكانت الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا أو استوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين وقد صحح هذا الزعم الدكتور عمر فروخ وزميله (٢) فى كتاب التبشير والاستعمار فى العالم العربى ، وعما قالاه (٣) .

«وحبذا أن يعذرنا أستاذنا الدكتور (فيليب)حتى إذا قلنا : أن النهضة بدأت فى النصف الأول لا الأخير من القرن التاسع عشر ، ثم أن حصر شرف الحركة الجديدة بنصارى لبنان فيه ظلم للتاريخ وللأدب معاً » . .

أنيس فريحة : أحد أسـاتذة التاريخ واللغات السامية فى الجامعات الأمريكية ببيروت ، وهو ينـادى باستبدال الحروف العربية بأخرى لا تينية تسهيلا لقراءتها وتخفيضا لنفقات الطباعة (٤) .

كما يندد باللغة العربية الفصحى بقـوله : « ولكن لا يصح اعتماد اللغة

---

(١) دراسات فى الخلفاء الراشدين صـ ٩٧ — ١٠٠ د . محمد عبد الفتاح عليان .

(٢) الدكتور مصطفى الخالدى .

(٣) التبشير والاستعمار صـ ٢٢٢

(٤) أنظر كتابه « تبسيط قواعد اللغة صـ ٧

كما انحدرت الينا مدونة . . ذلك لأن الذين استنبطوا قواعدها وضبطوا أحكامها أعتمدوا الشعر الجاهلى أولا ثم القرآن الكريم مادة لغوية ومتى كانت لغة الشعر ولغة الآدب والدين مرآة تعكس لغة الناس فى معاشهم ومكاسبهم (١) .

ويقول أيضا : « اللغة ظاهرة انسانية لا علاقة لها بالآلهة ولم تهبط من عل ، بل نشأت من أسفل (٢) .

ومن أقواله أيضا فى هذا الصدد : « ولكن للناس أن يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وماذا سيحل بالآدب القديم ؟ وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد وسيبقى على ماهو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغه هذه الكتب (٣) .

ومن الواضح أن دعوة أنيس فريحة إلى أن يهجر العرب لغتهم الأدبية الفصحى والمكتوبة بالحروف العربية إلى لهجة من لهجاتهم العامية مكتوبة بالحرف اللاتينى ليس تيسيرا للعربية كما يزعم ولكن لقطع العرب صلتهم بالقرآن الكريم إلا أن يبق ليقرأ فى المساجد كما تقرأ اللاتينية فى الكنائس الكاثوليكية والسريانية فى الكنائس المارونية .

ولا شك أن هذه الحملة على العربية الفصحى إنما هى فى حقيقتها حملة على اللغـــة التى تجمع بين العرب والمسلمين وأمنية فى أن يصبح القرآن كتاب دين لا صلة له بالحياة يستطيع نفر من المسلمين أن يقرأوه من غير أن يفهموا منه شيئا غير أن الله الذى تكفل بحفظ القرآن سيجعله خالدا

---

(١) أنيس فريحة : نحو لغة ميسرة ص ١١

(٢) المرجع السابق ص ٧٣

(٣) المرجع السابق ص ١٩٨

أبدا ودليلنا على ذلك أن جميع اللغات التى كانت فى عصر نزول القرآن أو بعد عصره أيضا قد بادت وانقرض المتكلمون بعدد كبير منها فى الوقت الذى يزداد حظ الحفاظ على القرآن متانة على مر الأيام وصدق الله تعالى الذى تكفل بحفظه « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون(١) .

وسائل الاستشراق:

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها ومنها .

١ — تأليف الكتب فى موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه وفى أكثرها كثير من التحريف المتعمد فى نقل النصوص أو ابتسارها وفى فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها (٢) .

٢ — ارساليات التبشير إلى العالم الإسلامى لتزاول أعمالا إنسانية فى الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجىء والمياتم ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية واشباهها .

٣ — إلقاء المحاضرات فى الجامعات والجمعيات العلمية ومن المؤسف أن أشدهم خطراً أو عداء للاسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية فى القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشى ولاهور وعليكرة وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام .

٤ — عقد المؤتمرات واصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الاسلام

---

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) راجع ص ٢٦ الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم د . مصطفى السباعى المكتب الإسلامى .

وتاريخه ونظمه وبلاده وشعوبه وتقوم على تنظيم هذه المؤتمرات وإصدار هذه المجلات جمعيات استشراقية فى عدد من البلاد الأوربية .

انشأت روسيا جمعية المستشرقين ومعهدا خاصا للدراسات العليا للشؤون الإسلامية وأهداف هذه الجمعية تتضح من المادة الأولى فى دستورها وهى (١) .

١ — اضعاف الروح المعنوى الدينى بين المسلمين لا بعادهم عن عقيدتهم وتشكيكهم فيها .

٢ — اغراء المسلمين بالمفاهيم المادية الجدلية بأسلوب جذاب .

٣ — أحياء تراث ما قبل الإسلام كمفخرة من مفاخر القومية التاريخية ومؤازرة من يقوم باحياء هذا التراث ليتشوق الناس إليه ويعتزوا به ويبتعدوا عن الإسلام كعقيدة .

وفى عام ١٨٨٧ م انشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى فى عام ١٩٢٠ م واتبعوا ذلك باصدار المجلة الآسيوية .

تألفت فى لندن فى عام ١٨٢٣ م جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية وقبل الملك أن يكون ولى أمرها وأصدرت هذه الجمعية (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، انشأ الأمريكيون فى عام ١٨٤٢ م جمعية باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية ، واصـــدروا بهذا الاسم مجلة تعنى بالدراسات الاستشراقية واخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر هى مجلة العالم الإسلامى Themuslin morld — وهى مجلة انشأها صموئيل زويمر szwelmer) فى سنة ١٩١١ م وتصدر الآن

---

(١) عطية صقر الإسلام فى مواجهة التحديات ص ٣٠ ، ٣١

من هارتفورد بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج وطابع هذه المجلة تبشيرى سافر .

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة (العالم الإسلامى) فى روحها واتجاهها العدائى التبشيرى واسمها أيضاً (١) .

٥ — إنشاء الموسوعة (دائرة المعارف الإسلامية) وقد أصدروها بعدة لغات وبدأوا بإصدار طبعة جديدة منها وقد بدىء بترجمة الطبعة الأولى إلى اللغة العربية وصدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلدا وفى هذه الموسوعة التى حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام قد دس السم فى الدسم وملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية وعقدة النقص عند هؤلاء المثقفين(٢) .

دوافع الاستشراق :

إذا كان الاستشراق قد بدأ بدراسة اللغة العربية فإن الدافع لذلك لم يكن دافعاً علمياً خالصاً لدى جمهرة المستشرقين لأن طبيعة الدافع العلمى أن يكون نزيها عادلا حريصا على استجلاء الحقيقة بتجرد وصدق وإنصاف لا تتحكم فيه موروثات أو رواسب ثقيلة مما صنعته البيئة الخاصة أو أملته وقائع تاريخية معينة تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية والنزاع العدوانى .

---

(١) انظر التفكير الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهى ص ٥٣٥ — ٥٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٦ وانظر المستشرقون مالهم وماعليهم د . مصطفى السباعى ص ٢٧

ولكن هذه الشروط التى تجعل دراسة الاستشراق للإسلام وتاريخه واللغة العربية عملا علمياً صحيحا ليست متوافرة للمستشرقين الأوربيين الذين اتجهوا للدراسات الإسلامية . ذلك أن موقف الأورى من الإسلام ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدور من التعصب الشديد وهذا الكره ليس عقليا فحسب ولكنه يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية فقد لا تتقبل أوربا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ولكنها تحتفظ دائما — فيما يتعلق بهذين المذهبين — بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير ، إلا أنها حال ما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام ويظهر فى جميع بحوثهم — على الأكثر — كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى بل على أنه متهم يقف أمام قضاته .

إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوله مقام المحامى فى الدفاع فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شىء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة(١) ، وعلى الجملة فإن الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش تلك التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى أى إن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ويختار

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية د : عبد الكريم العثمان ص ٩٩

المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذين يقصدون إليه مبدئيا وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمى من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر أى من قبل المسلمين أنفسهم .

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية التى تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوربا وليس ذلك قاصرا على بلد دون آخر — إنك تجده فى إنجلترا وألمانيا وفى روسيا وفرنسا وفى إيطاليا وهولندة وبكلمة واحدة: فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام ويظهر أنهم ينتشون بشىء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصه حقيقيه أو خياليه — ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد(١) .

ومن هنا نجد أن هنالك دافعا رئيسيا للاستشراق لا يمكن أن يوصف بأنه دافع علمى لأنه لا يحرص على الحقيقه بل يحاول تشويهها بباعث من تعصب راسخ عميق الجذور يعود إلى النزعه العدوانيه الحاقدة التى دفعت الأوربيين إلى الحروب الصليبيه ويأتى مع هذا الدافع الرئيسى دوافع أخرى فرعية نلحظها فى بحوث المستشرقين ودوافع عملهم .

---

(١) محمد أسد الإسلام على مفترق الطرق صـ ٥٢ — ٥٤

١ — الدافع الديني التبشيري :

إن الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين : هو الدافــع الديني فقد بدأه الرهبان الذين كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام — وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين — دين لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكوا دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحاني وخلقي ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوربا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية .

وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي والعقيدة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وآداب وتراث .

وقد حرص أغلب المستشرقين في الدراسات التي قاموا بها على تحقيق هذا الهدف التبشيري إذ صور هؤلاء الإسلام في صورة الدين الجامد الذي لا يصلح للتطور .

ومن كيدهم فى هذا الصدد أنهم يحكمون على الإسلام دائماً من واقع المسلمين الحالى فهم لايصورون الإسلام من منابعه ومصادره بل يصورونه من واقع المسلمين السيء وهم يعمدون إلى اختيار البيئات الإسلامية التى نالها أكبر قسط من الضعف والهزال ويجعلونها نموذجا للإسلام(١) .

وقد نسى هؤلاء الحاقدون أن المسؤل عن هذا الواقع السيء للمسلمين هو عدم تمسكهم بأهداب الإسلام من جهة واستنزاف الاستعمار لخيراتهم وتخريبه لقيمهم وثقافتهم الأصيلة من جهة أخرى .

وغاية الدراسات الاستشراقيـــة هى خلق تخاذل روحى وشعور بالنقص فى نفوس المسلمين وغيرهم من الشرقيين وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخنوع للمدنية المادية الغربيه الحديثة(٢) .

وقد نسى هؤلاء الذين يفخرون بالمدنية الغربية الحديثة أنها لا تمت بصلة إلى المسيحية لأنها تقوم على أسس مادية صرفة إذ جنح الكثيرون من أهلها إلى الإلحاد الممثل فى الشيوعية والوجودية وغيرهما بينما ينادى الباقون منهم بالفصل بين الدين والدولة وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن المسيحية لا دور لها فى هذه المدنية الغربية الحديثة ويجب أن يكون واضحا أن الغرب حين كانت تقوده الكنيسة فى العصور الوسطى عاش فى جهل وتأخر وإنحطاط بسبب إنحراف رجالها عن روح المسيحية وأصولها الصحيحة . كما أن المجتمعات الغربية ينتابها حاليا — فى ظل هذه المدنية المادية — القلق والميل إلى الانتحار والعنف ، على الرغم مما يتوافر لها من سبل الرفاهية ورفاهة العيش .

أما الحضارة الإسلامية فالإسلام هو صاحب الفضل الأول فى قيامها

---

(١) على حسنى الخربوطلى : المستشرقون ص ٨٣

(٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ التبشير والاستعمار ص ٢٤ — ٢٥

وازدهارها وقد أدى التقاعس عن تطبيق تعاليمه والبعد عن روحه إلى إضمحلالها . . وما أحوج العالم فى الوقت الحاضر إلى بعث الحضارة الإسلامية والعيش فى كنف الإسلام لأنه الدين الوحيد الذى يقيم توازنا رائعاً بين المادة والروح مما يوفر الطمأنينة والراحة للعاملين به .

ومن الجدير بالذكر أنه من العسير على الباحث أن يفرز العمل الاستشراقى عن الهدف الدينى التبشيرى فى جملة دراسة المستشرقين عن الإسلام وإذا كان بعضهم يجهر بهذا الهدف بشكل واضح فى كل مناسبة تقتضى ذلك فإن فئة أخرى منهم تجنح إلى أسلوب الدس الخفى وإخفاء الحقائق وإبراز الشبهات وبتر النصوص وإثارة الشكوك فى كل ما يتعلق بالدراسات عن الإسلام عقيدته وأحكامه وتاريخه ورجاله .

يقول (لويس ماسينيون) وهو أستاذ جامعة فرنسية فى باريس والمبشر فى قسم الشؤون الشرقية فى وزارة المستعمرات الفرنسية — (إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية[1] .

ويتمنى (ماسينيون) فى إحدى مقالاته أن يعود الإعتقاد الإسلامى فى رجوع عيسى بن مريم فيتفق مع الحادث الثانى للمسيح النصرانى . .)

ويقصد (ماسينيون) بكلمة ثانية أوضح أن يعود المسلمون عن قولهم عيسى بن مريم إلى القول : عيسى بن الله — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — وفحوى مقال (ماسينون) كله إنه ما دام لدى المسلمين أخبار برجوع المسيح عيسى بن مريم فلماذا لا يكون هذا المسيح الراجع هو المسيح الذى يعتقد به النصارى اليوم ؟ وجعل (ماسينيون) هذه الفكرة عمدة

---

(١) التبشير والاستعمار د . مصطفى خالدى ود . عمر فروخ ص ٨٩

دعوته إلى أن يحمل المسلمون على ترك دينهم حتى يسهل استعمارهم على أهل الغرب (١) .

وإذا كان (ماسينيون) وأمثاله من المتسشرقين لا يحاولون إخفاء نزعتهم الدينيـــة التبشيرية المعادية الإسلام فإن هناك فريقا آخر من المستشرقين يعملون على أن تسود بين المسلمين القيم الغربية عن طريق الإشادة بها والإنتقاص من القيم الإسلامية حتى يضل المسلمون عن أنفسهم ويستسلموا لكل مايطلع به الغرب من قيم ومفاهيم وأخلاق فيتهافتوا عليها وينقادوا إليها .

ولعل أبرز هؤلاء المستشرق الإنجليزى ـ جيب ـ الذى كان مستشارا لوزارة الخارجية البريطانية ومن كبار محررى دائرة المعارف الإسلامية ـ فقد جاء فى مقدمته للكتاب الذى أصدرته جماعة من المستشرقين المختلفى الأجناس بعنوان : إلى أين يتجه الإسلام قوله : « إن مشكلة الإسلام — بالقياس إلى الأوروبيين — ليست مشكلة أكاديمية خالصه فحسب فإن لتعاليم الدين الإسلامى من السيطرة على المسلمين فى كل تصرفاتهم ما يجعل لها مكانا بارزاً فى أى تخطيط لإتجاهات العالم الإسلامى فالإسلام ليس مجرد مجموعه من القوانين الدينية ولكنه حضارة كامله (٢) .

ويقرر (جيب) بعد ذلك أن هذه السيطرة لتعاليم الإسلام على تصرفات المسلمين لم تظل دائما فى العصر الحديث وثيقه الصله بالأصول الدينيه بل يسجل بكثير من التأكيد أن تأثر المسلمين بمفاهيم الغرب قد

---

(١) نفس المرجع ص ٨٣
(٢) انظر الإتجاهات الوطنيه فى الأدب المعاصرة تأليف د . محمد محمد حسين ح ٢ ص ٢١٢

أصبح ظاهرة واضحه الدلاله على ما اعترى المفاهيم الإسلاميه الأصيله من تحول فهو يقول :

« إنه قد يبدو للنظرة الأولى أن الجمهرة العظمى من المسلمين لم تتأثر بمؤثرات دينية اوربية وأن التفكير الدينى الإسلامى قد ظل وثيق الصلة بأصوله الدينيه التقليدية ولكن ذلك ليس هو الحقيقه كلها .

فالواقع أن التعاليم الدينية ومظاهرها عند أشد المسلمين محافظة على الدين وتمسكا به قد أخذت فى التحول ببطء خلال القرن الماضى[1] .

ويرى (جيب) أن تأثر المسلمين بالأمور الشكلية والمظاهر الخارجية التى تأخذ لديهم طابع (التجديد) أمر ثانوى لا قيمه له إذا لم يبلغ حد التغلغل التام والتفاعل الوثيق مع كيان المسلمين الجديد بحيث لا يقتصر تحول المفاهيم الإسلاميه الجديدة — بتأثير الفكر الغربى — على الاقتراب من الموازين المسيحيه الغربيه بل يمتزج بها إمتزاجا تاما يبلغ حد الذوبان الكامل فيها وأخذ صورتها وملامحها ، ولا يعبر (جيب) عن أمنيته هذه بوضوح وأسلوب مكشوف بل يلتمس لذلك تعبيرات لا تستطيع مهما بالغ صاحبها فى المداورة واختيار الالفاظ أن تخفى الأمنية التى يطوى عليها صوره والغاية التى يعمل على بلوغها فهو يقول :

والواقع أننا إذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ماوراء المظاهر السطحية علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربيه بعد أن تهضم وتصبح جزء حقيقيا من كيان هذه الدول الاسلاميه وتتخذ شكلا يلائم ظروفها[2] .

---

(١) المرجع السابق صـ ٢١٣ (٢) المرجع السابق صـ ٢١٦

٢ — الدافع الاستعمارى :

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام فاتجهوا الى دراسة هذه البلاد فى كل شؤونها من عقيدة وعادات واخلاق وثروات ليتعرفوا الى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموه ولما تم لهم الاستيلاء العسكرى والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوسنا وبث الوهن والارتباك فى تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما فى ايدينا من تراث وما عندنا من عقيدة وقيم انسانية فنفقد الثقه بانفسنا و نرتمى فى احضان الغرب نستجدى منه المقاييس الأخلاقية والمبادىء العقائدية وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة .

أنظر اليهم كيف يشيعون فى بلادنا القوميات التاريخية التى عفى عليها الزمن واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم وحملوا هذه الرسالة الى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط انسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية انهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون احياء الفرعونيه فى مصر والفنيقية فى سوريا ولبنان وفلسطين والآشوريه فى العراق وهكذا ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة .

وليعوقوا قـــوة الاندفاع عن عملها فى قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد الى قيادة ركب الحضارة ووحدتنا مع اخوتنا فى العقيدة والمثل العليا والتاريخ والمصالح المشتركة(١) .

---

(١) د. مصطفى السباعى الاستشراق والمستشرقون ص١٧ ، ١٨

وإذا كان السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجه الأولى — كما ذكرنا — لما تركته الحروب الصليبية فى نفوس الأوروبيين من آثار مرة عميقة فقد أقبـل الأوروبيون على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز المبشرين وارسالهم للعالم الإسلامى والتقت هنا مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار — فى نطاق حركة الاستشراق — فمكن الاستعمار لهؤلاء المستشرقين المبشرين واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق كما استطاع المبشرون المستشرقون اقناع زعماء الاستعمار بان المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربى فى الشرق وبذلك سهل الاستعمار لهؤلاء مهمتهم وبسط حمايته وزودهم بالمال والسلطان وهذا هو السبب فى ان الاستشراق قام فى أول امره على اكتاف المبشرين والرهبان . ثم اتصل بالاستعمار(١) .

٣ — الدافع السياسى :

وهنا لك دافع آخر أخذ يتجلى فى عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربيه والإسلامية ففى كل سفارة من سفارات الدول العربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافى يحسن اللغه العربيه ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافه والسياسة فيتعرف الى افكارهم ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته وكثيرا ما كان لهذا الاتصال اثره الخطير فى الماضى حين كان السفراء الغربيون — ولا يزالون فى بعض البلاد العربيه والاسلاميه — يبثون الدسائس للتفرقه بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربيه والدول الإسلامية بحجـــة توجيه النصح

---

(١) أنظر (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى. د. محمد البهى ص٥٢٣

واسداد المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسؤولين فى تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف فى سياستهم العامه كما عرفوا الاتجاهات الشعبيه الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم(١) .

٤ — الدافع العلمى :

وثمه نفر قليل من المستشرقين أستهواهم الاستشراق بدافع الرغبة فى الاطلاع على ثقافات الامم والبحث عن الحقيقة سواء فى ميدان العلم أو ميدان العقيدة ومن الملاحظ ان هذا الصنف يتجرد من الاهواء ولا يعمد إلى الدس والتحريف ولذا تكون ابحاثه والنتائج المستخلصة منها موضوعيه وتتسم بالامانة العلميه والباحثون عن العقيدة الدينية الصحيحة من هؤلاء هم اناس ساورتهم الشكوك فى عقيدتهم التى ولدوا عليها وغلب على وجدانها ان الشرق هو مصدر الاديان وانه مرجع الباحثين عن العقائد الروحية فى الزمن الحديث كما كان الحال فى الزمن القديم(٢) .

وكان لما قام به هؤلاء من أبحاث ومقارنات بين الاديان أثر ملموس فى اهتداء كثير منهم إلى الإسلام وكذلك اهتداء بعض الغربين الآخرين على ان هؤلاء لا يوجدون الاحين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بامانة واخلاص لأن ابحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا لا عند رجال الدين ولا عند رجال

---

(١) أنظر د. مصطفى السباعى الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ص١٨ ، ١٩

(٢) العقاد : ما يقال عن الإسلام ص ٨

السياسيه ولا عند عامة الباحثين ومن ثمة فهى لاتدر عليهم ربحا ولا مالا ولهذا ندر وجود هذه الفئه فى أوساط المستشرقين(١) .

٥ — الدافع للتجارى والشخصى :

دخل بعض الغربين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العاديه فلجأ هؤلاء إلى اشباع رغبة قرائهم فى الغرب بنقلهم صور اخرافية عن البلاد الشرقيه توافق ما تخيلوه من اطواره واعاجيبه التى ترد فى قصص مثل « الف ليلة وليلة » و « رباعيات الخيام » ورحلات للرواد فى القرون الوسطى ولا يستهويهم عن الشرق غير ما تخيلوه فهواهم كله نحو الاحاديث الشرقية التى تعرض شرقا كالذى قرأوا عنه فى اساطير الخيال وقد زعم واحـــد من هذا الصنف أنه تجول بين ربوع البادية العربية ونزل بضيافة شيخ فى الستين من عمره له فى مضارب الخيام حوله ثلاثون زوجة وله من الابناء ما ليس يحصيه عد وزعم آخر انه زار فى العواصم الإسلاميه بيوتا لا تفتح نوافذها وابوابها بالنهار ولا بالليل وبين جدرانها خليط من الزوجات والسرارى(٢) .

ومن بين هذا الصنف اناس لجأوا إلى استشراق تخلصا من مسؤلياتهم الدينية المباشرة فى مجتمعاتهم المسيحية وتبرئة لذمتهم الدينية أمام اخوانهم فى الدين كما دخـل بعض هـــؤلاء ميدان الاستشراق

---

(١) مصطفى السباعى الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ص ١٩
(٢) العقاد ما يقال عن الإسلام ص ١١ ، ١٢

عندما قعدت بهم إمكاناتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى وبمعنى آخر لتغطية عجزهم الفكرى(١) .

أهداف الدراسات الاستشراقية :

من الواضح أن أبرز هدف للمستشرقين من دراساتهم هو : إضعاف مثل الإسلام وقيمة العليا من جانب وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر(٢) .

وغنى عن البيان أن هذا الهدف الرئيسى قد أخذ فى هذا العصر طابع تيارات فكرية حديثة تتحرك وتنشط فى أوساط المسلمين وهى تيارات نشأت كلها فى الغرب وحملها إلى المسلمين عدد من المستشرقين والمبشرين بالإضافة إلى فئات أخرى من العرب والمسلمين الذين درسوا فى الغرب على أيدى المستشرقين أو فى المؤسسات الثقافية الغربية التى أقامها الغرب فى بلاد المسلمين ، ونقطة البداية فى نشوء هذه المذاهب الفكرية فى أوربا والفاصلة فى تاريخها كانت فى النهضة العلمية والفكرية التى تولدت باتصال أهل أوربا بالحضارة الإسلامية عن طريق الأندلس وصقلية وترجمة كتب العلوم والفلسفة إليها وكانت خسارة البشرية هنا بالضبط فى أنهم أخذوا الجانب العقلى والمادى من حضارة المسلمين ولم يأخذوا الجانب العقائدى والروحى الخلقى(٣) .

---

(١) عمر عودة الخطيب لمحات من الثقافة الإسلامية ص ١٩٨

(٢) الدكتور عبد الكريم العثمانى ص ٩٩ — معالم الثقافة الإسلامية .

(٣) محمد المبارك (المجتمع الإسلامى المعاصر ص١٠٩

حقيقة المستشرقين

يقول الدكتور محمد البهى « والتبشير والاستشراق فى ذلك سواء والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث وادعى لبحثه (الطابع العلمى الأكاديمى بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر (العقلية العامة وهى العقلية الشعبية) . ويقول أيضا (فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم عداء . وإذا كان الاستشراق قد قام على اكتاف الرهبان والمبشرين فى أول الأمر ثم اتصل بعد ذلك بالمستعمرين فإنه لا يزال حتى الآن يعتمد على هؤلاء وأولئك ولو أن اكثرهم يكرهون أن تتكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يختفوا وراء مختلف العناوين والاسماء[١].

من مثالب المستشرقين

جهل معظم المستشرقين فى اللغة العربيه بل إن بعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية أمثال سلفترى دى ساس واقليس عرينان) فمن ترجم شيئا منها تراه يتخبط فيها خبط عشواء . فما اشتبه عليه منها إرقعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبه واليقين حدث فيه ونحن فرجح منه المرجوح وفصل المفضول[٢] .

يقول الدكتور شكرى ضيف فى كتابه (مع العقاد) متحدثا عن الاستاذ العقاد (ويحمل على المستشرقين مبينا ضلالهم فى نقد الشعر القديم لجهلهم باللغة وذوقها الأدبى وحسها التاريخى[٣] .

ويقول الدكتور/ محمد غلاب (ولعل الرجل معذور فى هذا الفهم .

---

(١) مجلة الأزهر م ٣١ ج٦ ص ٥٢٥

(٢) راجع حتمية الحل الإسلامى د. يوسف القرضاوى ص ١٤

(٣) مع العقاد ص ١٣٣ سلسلة إقرأ العدد ١٥٩

لأنه أجنبي مهما تكن دراسته باللغة العربية فانه قاصر عن فهم أسرارها ولا سيما أسرار القرآن[١] .

ويقول بعض الباحثين (تقرأ فى(لاروس العالم ص١٠٧) آبو(مقطع كلمة عربية معناها) أب ، فابو بكر تعنى أبا العذراء ، وأبو بكر هو حمو محمد ﷺ وخليفته بعده وأول الخلفاء ويمضى « لاروس» قائلا : إنه هو الذى جمع شتيت وحى محمد حيث ألف منه القرآن ، ولن نجد صعوبة فى أن تفطن للخطأ الذى وقع فيه لاروس ، إذ نقل اسم الصديق رضى الله عنه إلى الفرنسية فقد سماه أبا بكر — بكسر الباء ثم شرح الكلمة بأنها تعنى العذراء فهو أبو العذراء فى حين أن اسمه رضى الله عنه أبو بكر بفتح الباء والبكر بالعربية — ولد النـــاقة أو الثنى منها إلى أن يجزع أو ابن المخاض إلى أن يثنى أو ابن اللبون وأظن البكر ولد الناقة شيئا غير البنت البكر فلماذا تورط لاروس فى هذا الخطأ ؟

إن مؤسسة لاروس من كبريات المؤسسات الفرنسية وهو يصدر فى أشكال عدة — معاجم وموسوعات — منها الكبير والوسيط والصغير ويقوم على تحريرها هيئة من جلة علماء فرنسا فى مختلف فروع المعرفة فنية وعلمية فليس قليلا أن تجد فى إحدى موسوعات المؤسسة تلك السقطة إذ المفروض أن كل حرف فيها قـــد حقق ووثق التحقيق والتوثيق التامين .

ولا ينبغى لنا أن نعجب إذا عرفنا أن مراجع لاروس فيما يتعلق بالقرآن والسيرة وكل ما يتعلق بالسلف إنما هم المستشرقون من أمثال (بوسنان وبيير سفال) وأبنة أرمان بيير)(فكلاهما مستشرق ثقة كما جاء فى لاروس العام نفسه (المجلد الأول ص ٣٣٧)[٢] .

---

(١) الإسلام من خلال مبادئه التأسيسية د/محمد غلاب ص١٦٢

(٢) مجلة منبر الإسلام العدد الثانى ص ١٥ سنة ١٣٨٠هـ

تحقيقاتهم العلمية قائمة على الخداع والتخريف

خدعة انطلت على كثير من المسلمين وغير المسلمين وخرافة تنبه اليها أولئك المسلمون الذين تتبعوا بفهم واع مجهودات المستشرقين الفكرية فى محيط الدراسات الإسلامية .

يقول الاستاذ العقاد هذان الخرفان خاطا فى قصته سخيفة عن البسملة يدعى (وردويل) مترجم القرآن أنه فهمهـا من دراسته للكتاب وفهم من ثم لماذا بدئت السور بسم الله الرحمن الرحيم ثم عدل النبى عن ابتداء السوربها فى أخريات أيامه فقال (رودويل) هذا فى هامش الصفحة الحادية والسبعين بعد المائه من ترجمته (إن الكفار سمعوا محمداً يبتهل قائلا :) يا الله يارحمن . فحسبوا أنه يدعو الهين اثنين .

ولما سقط هذا الابتداء من سور القرآن الأخيرة أصبح مفهوماً أن محمداً كان يريد أن يقرن اسم الرحمن باسم الله ثم خشى أن يحسبهما الناس الهين اثنين فأمسك بعد ذلك عن ذكر الرحمن ثم قال رودويل : (إن الحميريين كانوا يصفون أربابهم بهذا الاسم ولكن جذور هذا الكلمة غير موجودة فى اللغة الحبشية) .

أرأيت التحقيق العلمى التقدمى الذى يخرج المؤمن من دينه ويذهل الموقن عن يقينه[1] .

ويقول بعض الباحثين عن أحد المستشرقين الثقاة وهـو الأب (لامانس) فهو مستشرق كبير نال ثقة علماء أوربا وأمريكا فما منهم إلا يحيل عليه اذا كتب عن الإسلام أو القومية العربية والقس حريص كل الحرص على أن يحيل هو أيضا فى كل ما يكتب عن الطبرى وابن هشام والواقدى وابن القيم والواحدى وغيرهم من علمائنا الأولين فاذا اقرأ له أوربى أو أمريكى لا يعرف اللغة العربية استيقن أنه إنما يقرأ لابن .

---

(١) مجلة الأزهر م ٣١ حـ ٦ ص ٦١٤ ، ٦١٥ سنة ١٣٧٩هـ

يحدثها وفارس حومتها وأخص المتخصصين بالصدر الأول للإسلام والقومية العربية وتاريخها وسائر ما يتصل بها فهو حرس أن يخدع الناس إلا أنه مع هذا لن يخدع آخر الأمر إلا نفسه اذ يأتى بالبهتان يفتريه بين يديه ورجيله[1] .

ويقول عن هذا المستشرق نفسه (لقد اختار المؤلف هذا المستشرق بالذات لأنه شهرته العلمية خدعت كثيراً من القراء فوثقوا به على أن أسانيده التى يحرص على اثباتها فى كل صفحة — شأن العلماء — إنما هى من قبيل التمويه على القارى والحقيقة أنها لا قيمة لها)[2] .

منهج العكس : وهو من مناهج البحث الحديث التى تساعد على قلب الحقائق ونقض البدهيات . يقول الأستاذ أحمد بديرى : إن منهج [لامانس] ساذج كل السذاجة .. إنه منهج العكس يأتى إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقلبها عمداً إلى عكسها فقد تبنى الفكرة التى تقول أن الناس يعملون — فى الأغلب الأعم — على كتمان عيوبهم والظهور بنقائضها — وله فى هذا أشباه نظائر من كتاب فرنسا المعروفين —.

وأنه لمبدأ يترتب على الأخذ به عامة أن نعيد كتابة التاريخ مقلوباً أو معكوساً فنقول إن جميع القديسين دجالون — مثل — نارتيف ، وجميع الأنبياء متنبئون كاذبون — مثل مسيلمة وغيره — ولقد أراد أحد الظرفاء أن يسخر من هذا المنهج فألف رسالة دلل فيها على أن نابليون لم يوجد وأن تاريخه أسطورة ابتدعتها فرنسا تضليلا وتغطية لما كان قد أشيع من ضعفها الحربى][3] .

---

(١) منبر الإسلام العدد الثانى ص ١٦ سنة ١٣٨٠ هـ

(٢) منبر الإسلام العدد الثالث ص ٢١ سنة ١٣٨٠هـ

(٣) المرجع السابق ص ٢٢ ،

طريقة الاستقراء والاستنتاج :

وهى إحدى الطرق الهامة التي يتبعها المستشرقون المشهود لهم بالتحقيق العلمى ويقول محمد أسد عن هذه الطريقة : وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج يتبعها أكثر المستشرقون تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش

المنهج المادى : قوامه التفكير المادى الذى يقوم جملة على النقد الاقتصادى للتاريخ البشرى كما يقوم على التقليل من شأن الروحية الدينية والمثالية الإنسانية أى على التقليل من المعانى والأهداف التى تقتسم البسمة الإنسانية أو الدينية الأخلاقية يقول الدكتور/ محمد غلاب [أما فى القرنين بين التاسع عشر والعشرين فإن أكثر دراسة هذا الدين من جانب أولئك المفكرين كانت لوجه العلم والتاريخ وكان من الممكن أن تثمر خير الثمار وأصلحها للخلود لولا أن الأغلبية الساحقة من هؤلاء المفكرين قد سلكوا بإزاء الدراسة الإسلامية مسلكا خطراً على العلم وهى محاولة إخضاع القيم الروحية الإسلامية للمقاييس المادية التى تختلف عن طبائعها أتم اختلاف ونحن نعلم علم اليقين أن أولئك المستشرقين كثيراً ما يصلون فى بحوثهم إلى نتائج علمية قيمة قد تفيد الإنسانية فى مراحل تطوراتها الثقافية بشرط ألا تتعرض هذه البحوث للمبادىء الإسلامية الرفيعة التى لا تخضع للتجارب الحسية أما حين يمسون تلك المبادىء فإنهم يلبسونها دائماً أردية رمادية أو يمنحونها صوراً غريبة هى ألصق بالأرض وأبعد ما تكون عن السماء وفى الحق أن هؤلاء القوم قد فاتهم أن فى الكون طبائع متباينة وأن لكل طبيعة مقاييسها وموازينها التى تلتئم معها دون غيرها فضلوا سواء السبيل وانحرفوا عن جادة الصواب وابتعدوا عن الحقيقة فكانت بحوثهم فى هذا الشأن عبثاً ومنتجاتهم عدما ولم يقدموا إلى بيئاتهم إلا صوراً دميمة مشوهة يجب على من يعنيهم الأمر أن يمحوها من صحائف الوجود والذين يعنيهم الأمر هنا صفوة المسلمين][1] .

---

(١) د/ محمد غلاب الإسلام من خلال مبادئه التأسيسية — المقدمة.

٣ — غير أمناء فى عرض حقيقة الإسلام .

لأنهم متأثرون بأحكام سابقة ، وهذا يبعدهم عن الصواب .

يقول الأستاذ أحمد بريرى : [متأثرون بأحكام سابقة أياً كانت محاولتهم إخفاءها بمازعموه — المنهج العلمى — فهى بينة خلال مايكتبون هم متأثرون بما كتب رهبان القرون الوسطى — على جهل وسفه — وبما كتب الصليبيون عامة بل بما قال مشركوا العرب أنفسهم][1] .

هؤلاء المستشرقون رغم ادعائهم الأخذ بالأسلوب العلمى فى البحث والدراسة فإنهم لم يستطيعوا التخلص — عند دراستهم للإسلام من العوامل الدينية ، لا سيما المشاعر الصادرة عن البيئة التى يعيشون فيها ومظهر أثر هذه العوامل بوضوح بين المستشرقين من الفرنسيين الذين تربوا فى أحضان الكثلكة - الحاقدة على الإسلام والمسلمين - واسودت قلوبهم بذكريات الزعامات الفرنسية للحملات الصليبية الفاشلة .

(يقول الدكتور / محمد البهى : أما النزعة الثانية فى دراسة الغربيين للإسلام والثقافة الإسلامية وهى تأكيدالروح الصليبية فتتضح أيما وضوح فى كتابة المستشرقين الفرنسيين فكتاباتهم لا تنبىء فحسب عن ميل لإضعاف المسلمين بل تنم عن حقد على المسلمين)[2] .

ويقول : ولكن المستشرقين يختلفون فيما بينهم فى تصوير آرائهم وفى تقرير شروحهم لمبادىء الإسلام أشدهم حدة وعاطفة وهوى جامحاً وحيدة عن أدب الكتابة فضلا عن البعد عن الأسلوب العلمى فى الدراسة والحكمة هم مستشرقوا فرنسا ومستشرقوا الكثلكة على العموم ولوفتشنا عن سبب ذلك لوجدناه فى أحضان فرنسا للكثلكة وزعامتها للحملات الصليبية الماضية لاسترداد بيت المقدس ، فروح الصليبية لا تزال حية

(١) مجلة منبر الإسلام العدد الثانى ص ١٩ سنة ١٣٨٠ هـ .
(٢) الفكر الإسلامى الحديث ص ٣٦ د / محمد البهى .

فى نفوسهم ولم يزالوا يصدرون عنها فى أحكامهم على الإسلام والمسلمين ولم أر فى دراستى للاستشراق حتى الآن مسيحياً بروتستنتيناً عالج التراث الإسلامى بأسلوب الكاثوليكى ولاروحه الحاقدة الجامحة) .

ويقول : وهنا فى مجال التنفيس الصليبى — جال الاستشراق جولته فى بحث الإسم وعرض تعاليه — جال جولته باسم البحث العلمى والمعرفة وصيانة تراث الإنسانية الماضى)(٢) .

ويقول : نقلا عن صاحب كتاب [الإسلام على مفترق الطرق] .

(لا تجد موقف الأوربى موقف كره فى غير مبالاة فحسب — كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات عدا الإسلام — بل هو كره عميق الجذور يقوم على حدود من التعصب الشديد وهذا الكره ليس عقلياً فقط ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية)(١) .

— لأنهم متعاونون مع الاستعمار ومع الحركات التبشيرية .

يقول الأستاذ العقاد : وهو فى هذه الخصلة(٢) .

على نقيض أولئك المسخرين للاستعمار والتبشير الذين يزورون بلادنا ويعيشون فيها وكأنهم يطلبون الإقامة فيها ليبحثوا عن شىء واحد وهى أسباب التشهير والانتقاص وخفايا العيوب والمثالب يبالغون فيما يجدونه منها ويختلقون ما لم يجدوه .

تآمر المستشرقين على الإسلام

يقود المستشرقون فى العصر الحديث — حملة التآمر على الإسلام ولقد حلوا محل المجوس واليهود الذين تآمروا من قبل على تاريخ الأمة الإسلامية .

---

(١) السابق ص ١٧٦ . (٢) السابق ص ٧٧ .

(٣) يقصد المستشرق، ردم لا لذو .

(٤) مجلة الأزهر م ٣٢ ص ٢٢٧ سنة ١٣٧٩ هـ .

ويؤلف المستشرقون والمبشرون والكتاب الغربيون ثالوثا رهيبا لعقل واحد يعمل جاهدا على محاربة الإسلام والمسلمين .

وينطوى عمل الدارسين للاسلام من المستشرقين على نزعتين رئيسيتين النزعة الأولى تمكين الاستعمار الغربى لبلاد الإسلام .

وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربى والرضا بولايته .

النزعة الثانية : الروح الصليبية فى دراسة الإسلام تلك النزعة التى لبست فى إطار حركة الاستشراق ثوب البحث العلمى وخدمة الغـــاية الإنسانية المشتركة .

يقول الدكتور محمد البهى [ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية[1] .

إن المستشرقين من أخطر الفئات المعاصرة التى تتآمر على الإسلام فهم يشكلون خطرا دوليا منظما .

وهم ذووا امكانيات ضخمة تقف وراءها موارد الجمعيات التبشيرية وموارد جميع القوى المعادية للإسلام .

وهم موضع حسن ظن كثير من المسلمين مما جعلهم يستسلمون لآرائهم بل ويعتنقها بعض الذين درسوا على أيديهم وينادون فيها فى قوة وإصرار فأصبحوا بتفكيرهم (المغرب) مصدر خطر يهدد حصوننا الإسلامية من الداخل .

وهم موضع تقدير كثير ممن يقرءون لهم من غير المسلمين لما يصفونه

---

(١) مجلة الأزهر ٣١٢ حـ ٧ ص ٥٢٥ سنة ١٣٧٩ هـ .

على بحوثهم من وقار العلم وأصالة البحث ولأن شهرتهم العلمية خدعت أولئك القراء فوثقوا بهم .

نحن لا ننكر دور المستشرقين فى الدراسات الإسلامية ولكننا نرتاب فى نواياهم على أننا لا ننكر دور بعض المستشرقين فى الدراسات الإسلامية التى قاموا بها ولا الجهود المضنية التى بذلوها فى بحث النصوص القديمة ونشرها ، وإن كان جانب الكثير منهم الصواب فى فهم النصوص وتفسير الأحداث ولكننا نتساءل هل الدافع لذلك هو خدمة الإسلام الذى لم يؤمنوا به كدين اختاره الله للبشرية جمعـــاء ونسخ به ماسبقه من دين وبعث به محمدا ﷺ وختم به وحى السماء.

أم كان الدافع هو البحث عن الحق لذات الحق كما يزعمون إن كان ذلك كذلك لما وسعهم إلا الإيمان بالإسلام لأنه هو الحق المبين قال تعالى [وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا][1] .

إنى لا أتردد فى أن أقرر فى شجاعة أن الدافع هو دس السم فى العسل كما يقال وذلك بتشويه الإسلام ومسح صورته فى النفوس .

وذلك بأسلوب هادىء لا يستثير المشاعر ولا ينبه المسلمين إلى مواجهة مايراد بهم بعد أن فشلت المواجهة الصريحة بالحروب التى سنتها الصليبية لتحقيق نواياهم الخبيثة ومطامعهم الخسيسة .

وهذا مايؤيده الواقع ويترجم عنه سلوكهم[1] قال الله : قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون][2].

---

(١) الإسراء الآية ١٠٥
(٢) قوى الشر المتحالفة ، الشيخ محمد محمد الدهان ص ٥٦
(٣) سورة آل عمران الآية ١١٨

الفصل الثالث

ميادين الغزو الفكرى

الغزو الفكرى يستهدف بوجه عام تغيير الأيديولوجية الإسلامية وآثارها على السلوك والنظام والأخلاق وهو فى هــــذا يصوب سهامه المسمومة إلى القلاع القوية والحصون المتينة التى إن سقطت أو ضعفت سقط كل ماوراءها من هنا بدأ جنود الغزو الفكرى يتنكرون لفضائل الإسلام وينجبون مزاياه ويطعنون فى قيمه ويصنعون ذلك فى أسلوب درامى بحثى إذ يسلبون منه دوره الفذ حتى يعرض على الإنسان العربى والمسلم صوراً باهته وهزيلة توحى بالمهانة الفكرية والتبعية الثقافية وهم يطمعون فى الوصول بالمسلم إلى حالتين نفسيتين كل منهما أشد من الأخرى : حقارة النسبة الثقافية للتراث والخضوع إلى الضغط الثقافى الغربى .

وينتج عن ذلك أوضاع علمية وعملية معاصرة مزرية منها : بتر المسلم فكره عن العلوم العربيه الإسلاميه كأساس يمكن معه المسيرة العلميه ، والإلتجاه إلى متابعة التحصيل والإنتاج الغربى ثم التغريب النظرى والعملى [1] .

وأهم الميادين التى يباشر فيها مهمه مايأتى .

الإيهام بفقدان الفكر التربوى. فعلى الرغم من أن المصنفات الإسلامية العامة روعى فى تأليفها أغراضاً متعددة لتحقيق أغراضها التربويه العامة

---

(١) نذير حمدان الغزو الفكرى ص ٤٥

فإن ما ألفه المسلمون من الكتب التربوية الاختصارية تربو على (٥٠) مؤلفا وهى بلا ريب تمحو الوهم الاستشراقى المغرض وتربط الإنتاج التربوى بأصوله الإسلامية التى أوحى بها الله هدى للناس وبصائر (ويحظى تراثنا الثقافى بوافر من الإنتاج الفكرى التربوى وذلك على الرغم من جهالة مستشرقين مثل (كارادوف) و (زويمر) أو تعنتهم وتزييفهم حقائق التراث) .

(وعبر ألف عام تقريباً وبدءاً من الإمام أبى حنيفه (ت ١٥٠ م) ونهايه بالمزنى اليومى (ت ١١٠٢ هـ) كانت المؤلفات والأفكار التربوية متداولة من جيل إلى جيل بين المثقفين وطلاب العلم فى المشرق والمغرب العربيين)(١) .

التزييف فى قضايا العقيدة : وهو مجال فسيح للطعن فيه طعونا لم يحدث مثلها فى عقيدة أخرى فالوحدانيه وثنيه عامة وجاهلية والوحى القرآنى تعلم من من نصرانيه تشهد له (المقابلات) و (النظائر) ومحمد ﷺ لم يعرف النبوة أو عرف فى شكل استبطانى خاص والقدر تثبيط الهمم وخذلان للقدرات ومرجليوث الانجليزى كتب (محمد ومطلع الإسلام) أتى فيه بكل غريب وباطل وكذلك رينان الفرنسى أما جب فى كتابه المحمدية فقد أنكر صلة الرسول بالوحى الإلهى كشأن الأنبياء السابقين ويتجاوز (لامامنس) البلجيكى إلى التشكيك باسم الرسول ﷺ ويعده لغزاً من الألغاز التى لم تحل ويعمم هيلر تحقيره الأنبياء جميعاً مايورده عنهم من القبائح التى عصمهم الله عنها حتى أن المسيح عليه السلام لا يطمئن الباحث إلى وجوده تاريخياً على رأى (بابييه) .

والله فى رأى ماكدونالد عند المسلمين متوافق مع عقيدة الجاهلين

---

(١) من : قضايا التراث د . نذير حمدان .

وفى اسم الرحمن أخذه الرسول من جنوب بلاد العرب وعبادة الطبيعة واردة فى القرآن فى نظر كاراديه ويغرب فى تفسير الآيات التى فيها تشبيه بالإنسان(١) .

بينما يغفل رينان علم العقيدة ودور العقل فيه فيعتبر العقل العربى مغلق المنافذ يواجه الألوهية فى حلقة مفرغة مستمرة الله هو الله(٢) .

ولا شك أن هذه ثرثرة فارغة لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تحمل إلا المغالطات والمزاعم المفتراة التى لا تستند على دليل من منطق أو دين ومن تزييفهم .

التبعية فى الفقه وأصولة :

فمن المعلوم إستقلال الفقه الاسلامى فى استنباط أحكامه من أدلتها الشرعيه وان طبيعة التأليف فى الفقه الاسلامى ترد كل مازعمه (شاخت) وغيره من اقتباسه من القانون الرومانى فكتابه أصول الفقه الاسلامى الذى يدور حول تبعية الاسلام وفقهه رده أمثاله من المستشرقين فى طريقة نمو الفقه الاسلامى واستخراج احكامه من الواجب والمندوب والجائز والمكروه والحرام كما يستبعده عدم رجوع الفقهاء إلى أى دليل رومانى معتمدين فى ذلك على المصادر الفقهية والتبعية المشروعة .

ولاريب أن غنى الفقه الاسلامى بالمسائل الجامعة للعبادات والمعاملات والاقضية والجهاد خير دليل على شمول الاسلام واستقلاليته ثم إنه تتنوع طرائق الاستدلال الفرعية واختلاف الاحكام تبعا لها ينوه بالحرية

---

(١) قضايا الإسلام فى كتابات المستشرقين فضل الله نذير حمدان .

(٢) من مناهج المستشرقين ح ٢ ص ٢٤

الاجتهادية التي مارسها الفقهاء بشكل واسع مما يغنيهم عن الأخذ من القانون الروماني أو غيره .

(إن المستشرق الألماني جوزف شاخت يذهب بغير سند تاريخي معقول إلى أن الإمام الأوزاعي تأثر في فقهه بالتشريع الرماني . وهذا يتنافى أصلا مع المبادىء المنهجية للبحث العلمي .. لأن فقه الأوزاعي لم يكن ماثلا بين يديه لتفرقه في مئات كتب التفسير والحديث والفقه والأصول والتشريع وعلم الكلام والسير منذ عصره إلى يومنا هذا ونماذج أحكامه لا تختلف مع القانون الروماني وحسب وإنما تصطدم معه لأنها احكام مستمدة من عقيدة السماء مقتبسة من شريعة الرحمن وما من حكم اصدره إلا وهو موثق بأنه من الكتاب العزيز أو من السنة الشريفة أو قائم على اجتهاد أو قياس)[1] .

وفي المصطلحات الفقهية ذات الأصول الشرعية والإسلاميه يقول جولد زهير كثيرا ما استعيرت بعض المعايير القانونية من القانون الروماني في الفقه[2] .

ويبدو أن مسألة (المراجعية) في الفقه الإسلامي عند (شاخت) أستلت من قضية جامعة ومنقوضة سلفا تحدث عنها بالتفصيل (جولد زهير) وهورجرونية) وهيوم و (لامانس) وغيرهم كثير وهي محاولتهم اثبات تبعية الإسلام جميعه في أصوله ونصوصه إلى الكتب السماوية السابقة إلى جانب تأثره بالفارسية والبوذية وتأثر حضارته بالحضارة الهيلينية[3] .

---

(١) مناهج المستشرقين ج٢ ص٣١٠ – ٣١٢

(٢) المرجع السابق ج١ ص٣٨٨

(٣) المرجع السابق ج١ ص٣٥٣

وفى مقدمتها قضايا ومسائل فقهيـــة ذات آثار نفسية واجتماعية واقتصادية ودولية :

(أ) المرأة : فالمستشرقون (والمبشرون يرون أن يهاجموا هـذا العقل الحصين فى الإسلام فزعموا أن المرأة المسلمة متأخره..) وهم يقصدون أن يحطموا من عزيمة المسلمين ويحملوهم على الشعور بالنقص فى أنفسهم).

(ب) القراض : (المضاربة ، خاصة والشركات عامة : يرى يودوفيتش) أن القراض عرف فى الجزيرة العربية قبل الإسلام وبأن التحويل الإسلامى للاعراف السابقة للاسلام والمتصله بالقراض والشركات كان تحويلا محدودا ولكن (التوجيهات الاسلامية التى اتفق (الفقهاء) عليها طبقت مؤسسات القراض والمشاركات بطابع اسلامى عميق الأثر بصرف النظر عن البيئات التاريخية والاعراف المحلية التى ترعرعت فيها تلك المؤسسات قبل الإسلام أو بعده واستنتاج (يودوفيتش) بأن أثر الإسلام على القراض والشركات كان ضئيلا هو استنتاج مخالف للواقع[1].

وهذا واضح من (الشروط) والتقنين الفقهى غير المعروفة فى الجاهلية ثم هو أوضح بسبب اقرار الإسلام لها ولغيرها من الزواج والميراث والتجارات .. حيث أنها مطالب اجتماعية واقتصادية لجميع الناس ولكن المهم هو تنظيمها وتحسين صورها لتكفل المصالح الفردية والاجتماعية .

(ج) الزكاة . فقد زيف شاخت قضية الزكاة كعبادة ذات آثار هامة اقتصادية واجتماعية ونفسية فى إصالتها ودلالاتها المعنوية الدينية وخلط بين مفاهيم الزكاة والصدقة والانفاق وابتعد عن الحقيقة فى بداية مشروعية نصابها ومقادرها ومصارفها وأخذ الرسول لها من اليهودية ثم شبهات أخرى فى مقاله القصير[2].

---

(١) من مقال د. محمد أنس الزرقا فى مناهج المستشرقين ج١ ص٣٤٣ — ٣٤٥

(٢) نذير حمدان فى الغزو الفكرى ص٤٩

(د) الصوم(١) وتناوله العديد منهم مثل (بلنسر ، وبيرك) اللذين جمعا إلى الإخطاء السابقة خطأ منهجيا فى الرجوع إلى المصادر المختصة ثم إخطاء فى نقل أحكام تتصل بالصوم مثل بدل الحج والكفارات ونقولا غير دقيقة فى صوم المميز والقادر عليه وفى حكمته بينما يربطان صوم يوم عرفه بالاعراف الجاهلية وحكمه فى اليهودية ثم أحكام متعارضة ونتائج متباينة يخالف فيها سبرنجر ونولدكه وشفالى وغيرهم ولكنها تلح على اقتباس الرسول مشروعيته من الامم السابقة والديانات السماوية .

(ه) الحج : وتبدو اهتمامات المستشرقين بها لا لأنها مجرد عبادة أو ركن فى الاسلام وإنما لما له من أهمية فكرية وتعبدية وتجمعية ودولية مما ليس له نظير فى أية أمة أو دين آخر .

يقول (درمنغم) أبقى محمد ﷺ شعائر الحج كما كانت عليه قريش فى العهد الجاهلى خلافا لآمال أهل المدينة فأراد بذلك اجتذاب قريش إلى الاسلام والارتقاء بهم إلى ما فيه سمو الروح وتقريبهم من تعاليم الكتاب المقدس وهذه شبهة تحمل فى طياتها شبهات متتابعة تأخذ الواحدة منها برقاب الأخرى، ولو لم ينسب المستشرق اعمال الحج إلى الرسول لآثرنا عدم مناقشته فى هذه الشبهة ويمكن تحليل الشبهة السابقة إلى :

(أ) أن (درمنغم) يشعر القارىء أن أعمال الحج ومناسكه من صنيعه هو أراد أن يحقق آمال القريشيين ويجتذب قلوبهم إلى الإسلام ولكن متى كانت قضايا الإسلام والدين وأحكامه تابعة لا هواء نبى أو رسول ؟ أن هو الاوحى يوحى (٢)

---

(١) قضايا الإسلام فى كتابات المستشرقين نذير حمدان بحث عن شبهات المستشرقين فى الحج نذير حمدان نشر فى التضامن الإسلامى حـ ١٠ سنة ١٣٩٩ هـ سنة ١٩٧٩ م

(٢) سورة النجم آية رقم ٤

وهل يمكن أن يقتنع إنسان بأن هدف الزعامة السياسية والتنازل عن مبادىء الحق والمساومة عليها تخطر لنبى مشهود له بالصدق والأمانة والتبليغ ؟ وإذا أراد هذا المستشرق أو غيره إقامة دعوى كهذه أو غيرها فأين دليلها وأين مصدرها ؟ وأين وجه الإقناع بها ؟

(ب) أن در منغم يريد أن يثبت أن مناسك الحج من متابعة قريشاً فى حجها وليس من ملة إبراهيم عليه السلام وهذه أيضاً دعوى لم يثبتها بحجة ولا دليل شرعيين أو تاريخيين ولكن الثابت عكس ما أدعاه ففى صحيح مسلم واللفظ له وأبى داود والنسائى والدرامى وابن ماجة وغيرهم عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى أنتهى إلى .

فقلت : أنا محمد بن على فاهوى بيده إلى رأسى فنزع زرى فقلت أخبرنى عن حجة رسول الله ﷺ فقال بيده فعقد تسعاً فقال أن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم ذكر الحديث إلى أن قال : فلما كان يوم التروية توجهو إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشا والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية فأجاز رسول الله حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس)[1].

ومن التعليقات الإستنتاجية : « هذا الحديث فيه إبطال ما أدخلته

---

(١) شرح مسلم للنووى جـ ٨ ص ١٨١

الجاهلية على الحج مما لبس فى شريعة ابراهيم عليه السلام وهو أن قريشاً كانت فى الجاهلية تقف بالمشعر الحرام وهو جبل فى المزدلفة يقال له قزح لأن المزدلفة من الحرم وعرفة من الحل ويقولون . نحن سكان الحرم فلا نخرج منه فظنت قريش أن النبى ﷺ يقف فى المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه النبى إلى عرفة لأن الله أمره بذلك فى قوله: «ثم افيضوا من حيث أفاض الناس»(١) أى سائر العرب(٢).

زعمهم أن الحج خليط من الوثنية :

ويزعم (هوتسما) أن الإفاضة شعيرة شمسية كما يزعم (فنسنك) أن الوقوف بعرفة بقية من الوثنية ولكن دوزى يرد كثيراً من أعماله إلى اليهودية والتروية ودحضها زميله (هرجرونية)(٣) .

وزعموا أن رمى الجمرات شعيرة أخذها الإسلام عن الوثنية فلم ينص عليها صراحة فى القرآن ولكنها ذكرت فى سيرة النبى ﷺ وفى الحديث ففى أيام الوثنية كانت لدى الجمرات أنصاب مخضبة بالدماء تنحر عندها الأضاحى .

ويقول المرحوم أحمد محمد شاكر معلقاً : ليس رمى الجمرات من آثار الوثنية كما يظن كاتب المقال وإنما كانت من شعائر الحج قديماً فى دين إبراهيم وبقيت منه بقايا توارثها العرب ودخلها كثير من التحريف فلما

---

(١) البقرة ١٩٩

(٢) راجع دراسات تطبيقية فى الحديث النبوى د.نور الدين عنتر ص ١٩٨٠

(٣) انظر د . نذير حمدان فى الغزو الفكرى ص٥٠

جاء الإسلام أعاد شعائر الحج عبادة خالصة لله وحده والإسلام دين التوحيد وكان رسول الله يحرص على أن لا يدخل على المسلمين فى عملهم وقولهم وأعتقادهم شيء من شائبة الإشراك بالله وزعم المستشرقون أن الغسل للإحرام والتخضيب شعائر كانت تتصل قديماً بالصلوات التى يقصد بها طرد الشياطين وثوب الإحرام ربما كان الثوب المقدس عند قدماء الساميين لذلك كانت صورة الكهان وأردية الزهاد بيضاء وليس الفعل عادة سامية كذلك كان أعمال العناية بالبدن ظاهرة معروفة بين الشعوب السامية فى الأحوال الدينية وربما كانت عادة الصيام مرتبطة بغيرها من عادات الجاهلية فيما يشبه الإحرام والرد السابق صالح لهدم هذه الشبهة ويمكن أضافة توضيحة كما يلى :

الإسلام شريعة الله وهو ذو شخصية مستقلة عن الشرائع الأخرى ومتميز عنها وغير متأثر بواحدة منها وإذا وجد تشابه بين نسك إسلامى وعمل سابق تحققنا من نسبته إلى شريعة سماوية فالإسلام لا يمنع أن يقر النسك الإسلامى على أنه من دواعى الفطرة الإنسانية مثـــلا فالغسل والتخضيب ولبس الأبيض وغيرها من الفطرة وهى مما لا ينكره الاسلام طالما أنها مبنيه على دعامة التوحيد الخالص .

على أن دعوى وثنية أو سامية مناسك وتشابهها مع مناسك الحج التى يفترضها المستشرق لم يقم عليها دليل تاريخى موثوق إلا ما كان يتصل بعبادة إبراهيم عليه السلام وأعمال البدن الذى عرف بين الشعوب السامية لا يقره الإسلام لا فى الحج ولا خارج الحج فالوضوء والغسل والطهارة من عبادات المسلم فى كل حين .

(د) تشويه معنى الجهاد بزعم قيام الإسلام بالسيف :

ومن أخطر ماشوهه الإستعمار الغربي والتبشير من حقـائق الإسلام وتاريخ الإسلام هو تشويههم لمعنى الجهاد فى الإسلام والأغراض النبيلة التى فرض الجهاد من أجلها والأهداف التى توخاها الإسلام فى فتوحاته ومهام الأمور التى كان يسعى إليها قادتنا وأئمتنا الحربيون وحكامنا الإداريون وهؤلاء الأعداء يشيعون فيما يكتبون ويحاضرون أن معنى الجهاد فى سبيل الله عند المسلمين هو حملهم السيف لاكراه الشعوب غير الإسلامية على الدخول فى الإسلام وهـذه فرية يكذبها واقع تاريخ المسلمين وكتاب رب العالمين .

قال تعالى : « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، ويقول فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » .

ومع هذا فقد شاعت فكرة قيام الإسلام بالسيف والقوة حتى أصبحت عند بعض الغربيين أن شريعة السيف وشريعة الإسلام شىء واحد ودخلت هذه الفرية على كثير من كتاب المسلمين أنفسهم مع العلم بأن المسلمين لم يحاربوا قط فى صدر الإسلام إلا مدافعين عن أنفسهم أو دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوى السلطان وكذلك كان حالهم مع مشركى العرب كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث البعوث سراً وجهراً فى طلب صاحب الدعوة ﷺ حياً أو ميتا لأنه خاطبه داعياً إلى الإسلام[1] .

---

(١) راجع كتاب ما يقال عن الإسلام للعقاد صفحة ١٦٨ نقلا عن المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١١٦

والذين يقولون بقول الغربيين أعداء الإسلام كأنهم لم يقرأوا آية القتال التى نزلت وقد أباحت للمسلمين أن يقاتلوا من يقاتلهم ولا يعتدوا على أحد لم يرفع السيف فى وجوههم قال تعالى « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

على أن بعض الغربيين المنصفين لم يؤيدوا فكرة قيام الإسلام بالسيف بل سخروا منها ومن القائلين بها وقد نقل العقاد فى كتاب (ما يقال عن الإسلام ص ١٧٠) وقال) من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم فى مسألة الجهاد توماس كارليل . . . فهو يذهب بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغثاثة ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ فإنه أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التى تحتاج إلى تصحيح وهو أظهر بطلانا من أن يبطل بالمناقشة لأن القائل به سواء ومن يقول أن رجلا واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه — وحده ويسوقهم كرها إلى اعتقاد ما ينكرونه فيصدقونه ويثنون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين : هذا هو الفهم السليم والمنطق الحكيم وإلا فكيف يجوز لرجل واحد كرسول الله ﷺ أن يخرج بالسيف ليدعو إلى الله وهو فى قبضة أعدائه وفى وسط خصومه وحساده ولو فعل ذلك لما استقام له أحد وما آمن به أحد ولكنها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة والبرهان واللين والإحسان وبيان القرآن وبلاغة الفرقان وحكمة من بعث بالإحسان والقرآن وسمو خلقه العظيم الذى ساس به القريب والبعيد والجافى والغليظ من ألان له الحديد وجمع له القريب والبعيد ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ويقول تبارك وتعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن(١) .

---

(١) النحل آية ١٣٥ .

(و) اتهام الإسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية بين أتباعه :

يقول المستشرق الفرنسى (كيمون) فى كتابه « باثولوجيا الإسلام »[١] « إن الديانة المحمدية — هكذا يسمونها دائما للإيهام بأنها من صنع النبى وليست ربانية — الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً ، بل هى مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولى يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمر ويجمع فى الرذائل » .

« وما قبر محمد — ﷺ وحاشا له — إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رءوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلى وتكرار لفظة (الله الله) إلى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى[٢] .

وبلحظة من التأمل نطالع فى هذه الفقرة القصيرة مجموعة من الاتهامات الغربية للإسلام أبرزها أنه يبعث على الخمول والكسل وأنه يلغى فاعلية العقل ويسلب أتباعه القدرة على التفكير المبدع ثم أنه أخيرا مجموعة عادات وليس دينا من عند الله .

أما حكاية أن الإسلام يعود الكسل والخمول فلست أدرى من أين جاء بها ذلك المفترى مع أن العمل فى شريعتنا هو المعيار الأوحد لتقويم الأشخاص والأحداث ولا شىء قبله يمكن أن يوضع فى الميزان .

والآيات التى تضمنت حديث العمل فى القرآن تربو على ٢٥٠ خمسين

---

(١) عن كتابات تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ رشيد رضا ح ٢ ص ٤٠٩

(٢) المرجع نفسه ص ٤٠٩

ومائتى آية موزعة بين الحض الصريح على العمل والأمر به من مثل قوله : قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل(١) .

وقوله : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا(٢) .

وبين تحديد نوع وطبيعة العمل المطلوب أو المنهى عنه من مثل قوله : من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً(٣) .

ولو صح أن الإسلام يشل قدرات أتباعه ويقعد بهم عن الحركة والنمو لما أقام له الأعداء أى ميزان ولما حقدوا عليه كل هذا الحقد لكنهم يغالطون .

أما زعمهم بأنه يسلب طاقات الإبداع من أهله فهذا باطل كبير وتاريخ العلوم عند المسلمين حافل وشاهد بالتفوق فى مجالات كثيرة نذكر من أعلامها أمثال : الزهراوى وابن النفيس وابن الهيثم والخيام والكاشى والبيرونى وابن سينا والفارابى والشافعى والقرطبى وابن حزم وابن خلدون والجاحظ والبخارى ومئات من أمثالهم ممن كانوا على مستوى أيامهم قمما شامخة فى فروع تخصصهم .

وهم وحدهم عرف الغرب — الذى يصاب رجاله أحيانا بفقد الذاكرة — كيف يكون العلم وتكون الإضافة الحضارية الفذة إلى تاريخ الإنسان .

وليس الإسلام هو الذى يحمل أتباعه على استدبار الحياة والفرار منها إلى الأديرة والصوامع أو الذى يقر الرهبانية منهجا من مناهج الحياة .

---

(١) الأنعام ١٣٥ (٢) المؤمنون ٥١

(٣) النساء ١٢٤

ولكنه الدين الذى يقول رسوله ﷺ بما معناه : «لو أن بيدى فسيلة نخل وعلمت أن القيامة تقوم الساعة ما ترددت أن أغرسها».

فالإسلام يعلم أتباعه حب الحياة كأنهم يعيشونها أبدا ولا يدعوهم إلى الترهب أو التصوف الفارغ أو البقاء خارج هامش الدنيا — كما يزعم الآخرون — لكن الفارق بين الإسلام وغيره أنه يعلم أتباعه فى موقفهم من الدنيا أن يمتلكوها ولا يكونوا عبيداً لها وأن يأخذوا مما فيها الطيب والحلال الذى يرتقى بروح الإنسان وسلوكه ولا يهبط به .

وإذا كانت النهضة العلمية والحضارية متخلفة فى الجانب المادى منها عند المسلمين اليوم فلا صلة لهذا الأمر بالإسلام ولكنه الحصاد الطبيعى لحالة الجزر التى سقطت فيها أمتنا المسلمة منذ ضياع بغداد وسقوط الأندلس فقد بدأ الأعداء من حيث انتهينا وواصلوا التقدم ونحن نتخلف حتى كانت الفجوة(١) .

وحين يسترجع المسلمون مواقعهم فسيصبحون قادرين على الإبداع كغيرهم بدليل أن مئات الألوف من العقول ومن الأيدى المسلمة تسهم اليوم فى نهضة الغرب المعاصر وأن كثيرين لايكادون يحصون من الخبراء والعلماء المسلمين قد امتازوا وتفوقوا على نظرائهم من غير المسلمين على الرغم من الفوارق الضخمة والملحوظة فى الإمكانيات ووسائل العمل .

---

(١) انظر فضل العرب على أوربا أو شمس الله تطلع على الغرب لسيجمون هونكة .

إهمال الدور الحضارى فى التاريخ الإسلامى :

(ا) فى النظرة العامة للتاريخ الإسلامى :

إن (بكر) يقول : إن كتابات العرب عن الفتوحات الإسلامية مفعمة بالأكاذيب والأغلاط خصوصاً فى مسألة التاريخ وترتيب زمن الحوادث ويعضدة (جين) بقوله : إن النبوغ فى التاريخ مفقود عند الشعوب الآسيوية لأنهم يجهلون قوانين النقد والفلسفة(١) .

(ب) العلوم والفنون العربية الإسلامية :

يقول « رينان » الفلسفة العربية هى الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية (ونحن لا ننكر أن يكون العرب قد بنوا فلسفتهم على أساس ما قدمه اليونان للعالم . . إن العرب قد زادوا فى الفلسفة وناقشوا ونقحوا وصححوا وشرحوا وأدوا رسالة قل إن أدت مثلها أمة فى التاريخ .

ويزداد اضطراب بعض المستشرقين فى دور العرب العلمى فيتابع رينان قوله : (وفعلا إن العرب كانوا أساتذتنا فيهما (الفلسفة والعلم) طيلة قرن أو قرنين من العصر الوسيط ولكننا ما لجأنا إلى ذلك إلا ريثما نحصل على الأصل اليونانى . . فهذا العلم العربى وهذه الفلسفة العربية لم يكونا إلا نقلا حقيراً للعلم والفلسفة اليونانيين . . هذا إلى إننا إذا (تمعنا) فى كل هذه الآثار نجد أن العلم العربى لا شيء عربى فيه . . وأن صفحة من روجر —

---

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين د . نزيه حمدان صـ ١٧٨ ط ٢

بيكون لتحوى من التفكير العلمى الحق إضعاف ما فى هذا العلم غير الأصيل بأكمله(١) .

ويلاحظ الإضطراب فى تردده عن تلمذة الأوربيين قرناً أو قرنين ثم حصولهم على الأصل اليونانى (والنقل الحقير) للعلم والفلسفة وتمثيله بروجر بيكون المفكر العالم وهو (حامل التراث العلمى الإسلامى) .

أما سيريل القود ومثله براون فيشرقان فى الجحود العلمى للمسلمين .

ويقول الأول : إن ما عرف بالعلم العربى ما هو إلا إنتاج الفرس .

ويستشهد بقول براون فى كتابه عن الفرس : إذا حذفنا من علوم العرب ما كان من إنتاج الفرس حذفنا منها أجل ما حوت من مادة(٢) .

ويرى (اندرى مرفى) أن العنصر العربى (لم يساهم إلا بمقدار هزيل يكاد لا يذكر . . فالكندى مثلا وقد كان له صيت عظيم فى القرون الوسطى . . لم يكن سوى يهودى من الشام اعتنق الإسلام وما كتبه فى الرياضيات والهندسيات والطبية والفلسفية وغيرها إلا مجرد نقل واقتباس من أرسطو وشراحه وكثيراً ما نسب إستنباط الجبر إلى العرب والواقع أنهم لم يكونوا إلا نسخة عملوا على نقل رسائل (ديوفانطس) الاسكندرى الذى كان حيا فى القرن الرابع للميلاد . .) .

ويقول مقدما ومعمما : إن ما يدعى بالحضارة العربية لا وجود له البتة كظاهرة مميزة للعبقرية العربية فهذه الحضارة إنما أنشأتها شعوب أخرى كانت لهم مدنيات قائمة قبل أن تستعبد قهراً من قبـــل الإسلام

---

(١) مناهج المستشرقين جـ ٢ ص ٢٤ عن محاضرة رينان فى السوربون ٢٩ مارس ١٨٨٣ م بعنوان الإسلام والعلم .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٦

فاستمرت خصالها القومية في نمو برغم ما صب عليها الفاتح من ألوان الإضطهاد(١) .

ويتجه سيمونت إتجاه التعميم ذاته في المشرق والمغـــرب المسلمين فيقول : إذا كان العرب الذين أخضعوا الشام ومصر وغيرهما من بلاد الشرق لم يستطيعوا أن يدخلوا أية ثقافة ذات قيمة بحكم كون نصارى هذه البلاد كانوا أرقى منهم في المستوى الحضارى فإنهم من باب أولى لم يكونوا قادرين على أن يقدموا شيئا لنصارى بلاد المغرب ورثة الحضارة الرومانية(٢) .

ونحن إذا تأملنا قليلا في طرح شبهاتهم وطعونهم فإننا نلاحظ وبشكل قوى أنهم يخصون بها العرب أو المسلمين العرب فهل يقصدون معها النيل من محمد ﷺ لأنه عربى وحملة الإسلام الأولين العرب لأنهم عرب وبالتالى فالطعن بالعروبة طعن في الإسلام ؟

ثم إذا كان غرضهم التقليل من الإسلام (حضارة عالمية) دينية ودنيوية فهل بعث الحضارات القديمة وصانعيها ومعطياتها يحقق لهم غرضهم فلا يكترث بسواها وبالتالى فهل يقنع المسلمون بصراع حضارى يدفع إلى العصبية الفكرية في قاعدة العرب وغير العرب وعلى أساس قومى وإقليمى مما يؤدى إلى تنازع العصبيات والإقليميات في العالم الإسلامى الذى نفترض أنه تحت مظلة وحدة فكرية جامعة ؟

إن أحدهما أو كلاهما يؤدى إلى التهافت الحضارى وتحكم البأس الشديد بين العرب وغير العرب المسلمين من جهة وبينهم وبين سائر العرب غير المسلمين من جهة أخرى وذلك بسبب قناعات وهمية وتخاذل نفسى .

---

(١) مناهج المستشرقين ج ٢ ص ٢٢٣

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٣

وهذا يعنى أن إثارة العصبية الصليبية بالإلحاح على النزعة العربيـــة وحدها فى الوسط الحضارى لا يبعث على الريبة فى إثارة العنصريات الفكرية وحدها وإنما يوجه إلى تناول الحضارة الثقافية من زوايا ضيقة ومحددة تعجز عن التعبير الإنسانى للعربية فى رسالتها الإسلامية وبالتحديد فإنه يلبى غرضا إستشراقيا هاماً وهو حصر النشاط الثقافى فى مجال عنصرى ضيق بعد طمس النشاط الثقافى الاسلامى المتسع وإهمال مجالاته الفسيحة .

تشويه شخص الرسول ﷺ

وهى محاولات قديمة حديثة مستمرة يمارسها أعداء الإسلام برغبة وشوق ويرون فى التهجم على المعصوم ﷺ والنيل منه جزءاً من خطة كبيرة تستهدف تشويه الإسلام وعزله عن حياة المسلمين بخاصة والناس بعامة لتحل محله الفكر الغربى والحضارة الغربية ذات الشهرة عندهم ولذلك كرس الغزاة من مبشرين ومستشرقين واستعماريين جهودهم لاختراع التهم واصطناع الأباطيل يلصقونها بالإسلام وبمحمد المعصوم ﷺ وأهم ما هاجموا به رسول الله ﷺ وهو تكذيبه فى الوحى الذى أوحاه الله إليه وترتب على هذا التكذيب دعواهم الباطلة بأن محمداً ﷺ قد ألف القرآن الكريم من عند نفسه .

ولقد تخبط هؤلاء الأعداء فى الحديث عن الوحى إلى الحد الذى يدعو إلى الدهشة ويثير الحيرة والتساؤل فهذا جولد زهير (ت ١٩٢١ م) فى كتابه العقيدة والشريعة يقول (فى مكة كان محمد يشعر أنه نبى يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة وأنه لهذا عليه مثل أولئك الرسل بإنذار أمثاله فى الإنسانية وإنقاذهم من الضلال فى العصر المكى جاءت المواعظ التى قدم فيها محمد الصور التى أوحتها إليه حميته الملتهبة فى شكل وحى خيالى حاد تلقائى ذاتى)(١) .

ويتضح من عبارة جولد زهير الموجزة فى الأسلوب التقريرى لحقائق تعتبر عنده بدهيات لا تحتاج إلى مؤيدات نفسية ولا إلى براهين توثيقية مع أنها أخطر مايتصل بالعقيدة الإسلامية عموما ونبوة الرسول عليه السلام خصوصاً .

---

(١) العقيدة والشريعة ص ١٩ — ٢١

فهل يجدى تقرير قضايا هكذا على أنها حقائق عقدية وتاريخية من وجهه نظره وحدها كانها مسلمات ؟ وإذا لم تؤيد مثل هذه القضايا بأدلتها — وهى موضع نزاع عند المستشرقين — فكيف يعرضها جولدزهير ، بمثل التفاهة السابقة ؟ وواضح من عبارته الافتراءات التالية :

(أ) شعور الرسول بالنبوة وهى حالة نفسية داخليــة لا تعرف إلا بتصريح من الرسول نفسه فيما بعد أو بتطابق الظاهر على الحالة النفسية الباطنة وهذا لم يحدث فى كلا الموقفين .

(ب) اليهودية واضحة فى كلامه حين قال .. يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة .. فهل يعـد محمد من الرسل اليهود ؟ وإذا لم يحدث فهل أنبياء الله جميعا من اليهود ؟

(ج) الوهمية الخيالية فى الشعور النبوى : وهو افتراء وقح مقترن بأقبح منه فى وصفه الرسول بالحمية الملتهبه فقد سبق إليه مشركو الجاهلية ومن سبقه من المستشرقين . وهل القرآن والسنة جميعهما أثر هذه الوهمية الخالية ؟ وهل حكومة الرسول ومن بعده وما نشأ عنها من روائع العدالة ومدنية العلاقات نتيجة الوهم والخيال ؟ وإذا توسعنــا قليلا فاننا نقول عن رأيه : هل أن الصرح الحضارى الاسلامى فى صورة الثقافة والمدنية عبر التاريخ الانسانى هو امتداد للاوهام والخيالات أو هو قائم عليها !!

أن السخف الذى يقرره كحقيقة والنظرة التلمودية إلى نبوة الرسول وهما وخيالا لا تستحق مزيدا من التنبه والاشارة .

وهذا هو نولدكه يقول عن الوحى : إن سبب الوحى النازل على محمد ﷺ والدعوة التى قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع[1] .

(١) لوثروب ستو وارد : حاضر العالم الإسلامى حـ ١ صـ ٣٤ ترجمة عجاج نويهض

وهذا هو كارل بروكلمان يقول عن محمد ﷺ « واستخدم محمد فى دعوته أساليب الكاهن كما عز اعلى فراره — أحوال غيبوبته وما يصدر فى هذه الأحوال من تصريحاته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل — واعتقد أنه رسول الله إليه (١) .

ثم يقول فى موضوع آخر من كتابه : تاريخ الأدب العربى « كان النبى ﷺ فى أقدم مراحل دعوته الدينية يطلق ما يدور بخلده وهو صادق الاستقرار والغيبوبة فى جمل مؤثرة يغلب عليها التقطع والايجاز وتأخذ طابع سجع الكهان واحتفظ النبى ﷺ أيضا بهذا القالب الكلامى بعد حينما أخذ ينتقل باطراد من طبيعة الغائب المستغرق إلى طبيعة الداعية الواعظ فكان يتلو فى جمل أطول من الأولى تحذيراته وتعليماته التى حفلت كثيرا بالقصص من العهد القديم(٢) .

وأما مرجليوث وهو أخبث المستشرقين وأشدهم بغضا لمحمد وهو الذى اعتمد عليه طه حسين فى النظرية الساقطة بأن شعر الجاهلية موضوع بعد الاسلام فانه يقول :

(إن محمدا ﷺ كان يمارس الشعوذة وكانت له مجالس سرية أشبه بالمحافل الماسونية وعلامات يتعارف بها مع أصحابه وكانوا يرخون عذبة العمامة فوق مناكبهم(٣) .

---

(١) كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربى جـ ١ ص ١٣٤ ترجمة عبد الحليم النجار

(٢) المرجع السابق

(٣) لوثروب ستودارد حاضر العالم الإسلامى : ترجمة عجاج نويهض وتعليق المرحوم شكيب أرسلان

ومما هاجم به : ه . ج . ويلز : الرسول الكريم ﷺ قوله : « بيد أن من الضروى أن نذكر حادثة واحدة محيرة فى حياته النبى الجديد ، يقول عنها السير ماكيس سيكس : (أنها تقبت أنه كان عربيا صميا ، فإنه بعد كل إصراره على وحدانية الله قد داخله التردد فأتى ساحة الكعبة وأعلن أن أرباب وربات مكة قد تكون قبل كل شيء حقيقة وقد تكون فصيلة من القديسين ممن لهم قوة الشفاعة فلقى تراجعه حمية وحماسة ولكنه لم يكد يتم قوله حتى أخذه الندم وذلك يدل على أن الخوف من الله كان ولا جرم يملأ قلبه فما بدر منه فى الامانة دليل على أنه أمين ومن ثم فعل كل ما فى وسعه لا صلاح ما ورط منه فقال : أن الشيطان تلبس لسانه أخذ يسب عبادة الأصنام بقوة وعزم مجددين وبذلك تجدد الكفاح ضد الالهه العتيقه بعد فترة سلام وجيزة على صورة أشد وأعنف ودون أى أمل آخر فى الصلح[1] .

وهذا لامنس اليسوعى يقول عن الرسول ﷺ : « أن محمدا كان كثير الطعام والشره مسترسلا فى اللذات البدنية » وزعم أن النبى ﷺ مات بالبطنة ولا أحد أروع فى فضح لا منس واظهار نواياه الخبيثه واحقاده الدفينة من قول مستشرق آخر فيه — وهو المستشرق « رينيه » : « أن اليسوعى فى أول كتابه عن محمد صاح متأوها من كـون القرآن جاء وصرف العرب عن حلاوة الانجيل التى كانوا بدأوا يذوقونها ولم يقدر أن يغفر للقرآن ذنب أدخاله فى الإسلام ثلاثمائه مليون نسمه من جميع أجناس البشر واستتبابه إلى يوم الناس هذا ينمو وينتشر فى أفريقية وآسيه بمرأى ومسمع من المبشرين المسيحين فذلك عزم لامنس أن يشنها على الاسلام غارة شعواء ويحمل عليه حملة صليبيـة يكون هو بطرسها

---

(١) ه . ج ويلز : معالم تاريخ الإنسانية حـ ٣ ص ٦٢٩ — ٦٣٠

الناسك على أمل أن يصرع الإسلام إلا أن حالة عقليه كهذه — كما يقول رينيه لا تلتئم مع بحث علمى مبنى على تجرد محض من الهوى ومنزه عن البغض(١) .

هكذا يكتبون عن النبى ﷺ وكم لهم من طعون على شخصه وعلى سلوكه وعل دعوته العامه لقد أدعوا إنه ليس بنبى بل هو شخص عادى أن كان له امتياز فهو بعبقريته وبطولته ويتهمون الوحى السماوى بأنه أفكار منبعثة من نفسه أو خيالات منامية أو أشياء أخرى من هذا القبيل ليس لها علاقة باتصال سماوى وبالتالى لا قدسية لكتاب المسلمين وهو القرآن الذى صنعه محمد وأودع فيه افكاره ومنهاج ثورتة وهذا منفذ للطعن فيه مادامت قداسته مسلوبة عنه .

كما اتهموا رسول الله ﷺ بالشهوانية لتعدد زوجاته أكثر مما حدده لبقيه المسلمين وهكذا يحاولون تشويه شخصيته باتهامه بهذه التهم الحاقدة الكاذبه وكل ما يقولون باطل باطل ولا نحتاج هنا إلى أن نرد عليه .

فقد توفر على الرد عليـــه بعض علماء المسلمين وبعض المستشرقين أنفسهم .

ومن أعجب ما نسبه مرجليوث إلى النبى ﷺ أنه عرف خداع الحواه وحيل الروحانيين ومارسها فى دقة ولباقة وقد كان يعقد فى دار الارقم ابن أبى الارقم جلسات روحانيه وكان المحيطيون به يؤلفون جمعيه سريه أشبه بالماسونيه ولهم علامات يتعارف بها أصحابه مثل : السلام عليكم وارخاء عذبة العمامه فوق المنكبين(٢) .

---

(١) المرجع السابق ج١ ص٣٦

(٢) انظر مقدمه د . عبد الحليم محمود لكتاب محمد رسول الله ص٤٣

ومن أفذع ما وجهه مرجليوث[1] من تهم إلى النبي ﷺ قوله: (عاش محمد ﷺ هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك على أي حال سبب ما — حقيقياً كان أم مصطنعاً — يدعوا إلى إنتقامه منهم إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حق أتباعه خطأ يعتبر تعدياً منهم جميعاً لأن قتل أحدهم رسول محمد ﷺ لا يصح أن يكون ذريعة للإنتقام .

وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسة محمد : ففي أيامه الأولى في المدينة أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين لكنه الآن بعد هذه السنوات الست أصبح يخالف تماماً موقفه ذاك فقد أصبح مجرد القول بأن جماعة ما غير مسلمة يعتبر كافياً لشن الغارة عليها .

وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي سيطرت على نفس محمد والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد . .

إن استيلاء محمد ﷺ على خيبر يبين لنا إلى أي حد قد أصبح الإسلام خطراً على العالم[3] .

ولا تسمح طبيعة هذا البحث أن يتحدث المرء باستفاضة عن سيرة

---

(١) محمد وقيام الإسلام ص ٢٦٢ — ٢٦٣ انظر أيضاً محمد فتحي عثمان أضواء على التاريخ الإسلامي.

(٣) مقدمة عبد الحليم محمود كتاب محمد رسول الله ﷺ ص ٢٣ ص ١٦٩ — ١٧٠

الرسول الكريم وبيان وجه الحقيقة بصدد الأمور التي تحدث عنها مرجليوث في كلامه المذكور وإن كان هذا لا يمنع من أن نشير — في إيجاز — إلى أن مشركي مكة قد أذاقوا المسلمين العذاب ألوانا طوال ثلاثة عشرة سنة أرغموهم خلالها على الهجرة إلى الحبشة ثم إلى يثرب ومن الثابت أنهم استحوذوا على أموال كثير من المهاجرين وحين لجأ المسلمون إلى رصد قوافل قريش التجارية المارة بيثرب كان ذلك انطلاقا من حقهم الدفاعي المشروع في استرداد بعض مالهم قبل العدو ويجب أن نضع في الإعتبار أن الحرب كانت معلنة بين الطرفين أعلنتها قريش بتعذيبها كثيرا من المسلمين وبطردهم من وطنهم وبمحاولة قتل النبي ﷺ ليلة الهجرة من مكة لولا أن انجاه الله .

وفي هذه الحالة يكون من حق النبي ﷺ أن يلجأ إلى مايسمى بالحصار الإقتصادي للعدو ولا يخفى ما في ذلك من تحذير لقريش من مغبة استمرارها في العدوان عليها ترتدع حين تجد طريق قوافلها إلى بلاد الشام أصبح مهدداً .

ومن الجدير بالذكر أن ميثاق الأمم المتحدة حاليا يبيح مبدأ الحصار الإقتصادي لدفع العدوان وعلى الأخص حين تقع الحرب بين طرفين أو يكونان في حالة حرب وهو ما ينطبق تماما على الوضع وقتذاك بين النبي ﷺ وقريش ومرجليوث يعترف بهذه الظروف ضمنا ومع ذلك يتهم النبي ﷺ افتراءوظلما — بالتلصص والنهب والسلب .

وبالنسبة ليهود يثرب من الثابت أن النبي ﷺ شرط عليهم وشرط لهم طبقاً لما جاء في الوثيقة التاريخية المعرفة باسم « الصحيفة » ولكنهم لم يحترموا العهود والمواثيق التي ابرمها الرسول معهم لحاق بهم سوء صنيعهم ولم يقدم مرجليوث دليلا على بطلان مانسب إليهم واكتفى بالتشكيك فقط في صحة ذلك ومن الطبيعي أن يقــلم النبي ﷺ أظافر يهود خيبر

وما جاورها من القرى اليهودية لأن بعض يهود يثرب الذين سمح لهم بالجلاء إلى تلك البقاع واتخذوا منها منطلقا للتآمر على المسلمين وتخريب الأحزاب ضدهم مستغلين الإمكانات الإقتصادية الهائلة لهذه القرى اليهودية التى كانت على مقربة من يثرب ومن الثابت تاريخياً أن وفداً يهودياً من خيبر ضم بعض يهود يثرب الذين سبق أن تآمروا على النبى ﷺ وسمح لهم بمغادرتها — هذا الوفد ذهب إلى قريش أولا ثم إلى قبيلة غطفان ثانياً لتحريضهم على القيام بغزوة الأحزاب المشهورة ضد المسلمين فى العام الهجرى الخامس وانضمت خلالها قبيلة بنى قريظة اليهودية إلى الأحزاب ضاربة عرض الحائط بما بينها وبين النبى ﷺ من مواثيق .

والمعروف أن غطفان قدمت فى الغزوة المذكورة نحو ستة آلاف مقاتل من مجموع الأحزاب البالغ عددهم عشرة آلاف وأن هذه القبيلة كانت وقتذاك من المرتزقة تحارب مع من يدفع أكثر وكانوا على استعداد ينسحبوا من المعركة حين ساومهم النبى بدفع شىء من ثمار يثرب لولا أن أن اعتبر الأنصار ذلك ضربا من الذلة فى الوقت الذى أصبحوا فيه أعزة بالإسلام ولقد تعرض المسلمون خلال الغزوة المذكورة لأهوال جسام تخلصوا منها بشق الأنفس وما كان لهم أن يسكتوا على الوكر الذى يحاك منه ضدهم التحريض والتآمر لذلك فمن الأنصاف أن يعتبر هجوم المسلمين على خيبر من قبيل الدفاع الوقائى المشروع .

ومن أعجب العجائب ماذهب إليه مرجليوث من أن الآيات التى تحكى مجىء ابراهيم إلى مكة واسيطان ذريته بجوار البيت بعدما بناه هو وأبنه إسماعيل — هذه الآيات مفتعلة دعت إلى إفتعالها رغبة الرسول فى تآلف اليهود وإثبات صلة قرابة بينهم وبين العرب على اعتبار أن العرب من نسل اسماعيل إبراهيم واليهود من ذرية اسحق من إبراهيم لذلك جاء فى سورة البقرة وهى مدنية : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من

الثمرات(١) وكذلك قوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم(٢) .

ويعلق الشيخ محمد الغزالى على الكلام المذكور بقوله « والمستشرق الذى يوجه هذا الإتهام إلى القرآن ينس فى غمرة حماسه أمرين :

أولهما : أن الحديث عن ابراهيم وزيارته مكة واتصاله بالعرب لم يبدأ فى المدينة تألفا ليهودها وإنما بدأ فى مكة حيث لا يهود ولا زلفى ففى القرآن المكى سورة أسمها « إبراهيم » جاء فيها : وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا البلد آمنا وأجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام(٣) .

والثانى : أن العهد القديم — الذى يرى هذا المستشرق «مرجليوث» أنه كتاب مقدس — أثبت قدوم إبراهيم وأبنه إلى بلاد العرب فكيف يقول مستشرق متزن الفكر : إن آيات سورة البقرة غير صحيحة وأنها قيلت استرضاء اليهود وإنها تخالف القرآن المكى(٤) .

ويقول المستشرق الألمانى هوبرت جريمى فى كتابه محمد لم يكن محمد فى بادىء الأمر يبشر بدين جديد بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية فالاسلام فى صورته الأولى الأصلية لم يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه ذلك لأننا أذا نظرنا إليه عن كثب نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية بل كمحاولة للاصلاح الإجتماعى تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسده وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخه بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين . . لذلك نراه يفرض ضريبة معينه لمساعدة المحتاجين وهو إنما يستخدم فكرة الحساب فى اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوى وتأييد دعوته(٦) ،

(١) آيه ١٣٦ (٢) البقرة آيه ٣٥ (٣) آيه ٣٥

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعه ص ٣٩ — محمد الغزالى .

(٥) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربيه ح ١ ص ٢٧ (٦) محمد كامل عياد مجلة مجمع اللغه العربيه بدمشق ح ٤ م ٤٤ أكتوبر ١٩٦٩ م ص ٧٩٤

أليس من السخف أن ينفى النبوة عن محمد ﷺ بهذه السذاجة ليجعل منه مصلحا إجتماعيا يدعو إلى الاشتراكية ؟

ويقول المستشرق الإنجليزى جيب فى كتابه المذهب المحمدى :

إن محمداً كـكل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جـــديداً بين الأفكار والعقائد السائدة فى زمانه والدائرة فى المكان الذى نشأ فيه . . . وإنطباع هذا الدور المتاز لمكة يمكن أن نقف على أثره واضحا فى كل أدوار حياة محمد وبتعبير إنسانى أن محمداً نجح لأنه كان واحداً من المكيين ثم يقول :

« ... ويبدو أن معارضة المكيين له لم تكن من أجل تمسكهم بالقديم أو بسبب عدم رغبتهم فى الإيمان ... بل ترجع أكثر ما ترجع إلى أسباب سياسية واقتصادية » .

ولا شك أن من يخالف ما أجمعت عليه كتب التاريخ والسير ولا يقدم حججا مقنعة لا يستطيع أن يتخلص من ميوله وأهوائه .

ونستخلص من كل هذه الأقوال أن أصحابها لا يفهمون حقيقة الوحى والنبوة ومن لم يعرف العلاقة التى تربط بينهما أو حاول أن يطبق مقاييس العلوم التجريبية أو النظرية عليهما فقد ضل سواء السبيل .

ومنشأ الخلاف بين المؤمنين بالرسالات السماوية وغير المؤمنين ترجع أساساً إلى مفهوم الوحى عندهم .

وقد بحث علماء الدين والفلاسفة قديما وحديثا هذه القضية فأثبتوها وأقاموا الأدلة على إمكان الوحى بمفهومه الشرعى ودحضوا ما أثير حوله

من إدعاءات وشبهات حتى تجد نصوص الوحى السماوى الطريق ممهداً لدراساتها على أساس أنها مقدسة وأنها حق لا يشوبه باطل .

فوصف ظاهرة الوحى الإلهى وما كان يعترى النبى عند تلقيه من حالة خاصة ناشئة عن إنسلاخه من البشرية الجسمانية وإتصاله بالملكية الروحانية بالهوس أو الصراع أو نحــــو ذلك من الإنحرافات النفسية على ضوء التحليل النفسى جهل خطير بحقيقة النبوة وهل يكفى لصنف من العلوم أن يصل إلى حد من الدقــــة والتطور بحيث تفرض طريقته فى البحث على الميادين الأخرى وينتصب معيارا ؟ إن تطور منهج من المناهج العلمية لا يعطى كمعيار خارج ميدانه .

والعالم الدينى لا يقبل مثل هذا القول من المفكر الفرنسى جوستاف لوبون برغم ما فى جل أحكامه على الإسلام وعلى شخصية نبيه وعلى القرآن من إعتدال : « قيل أن محمداً كان مصابا بالصرع ولم أجد فى تاريخ العرب ما يجيز القطع بذلك وكل ما فى الأمر ما رواه معاصروه وعائشة : إنه كان إذا نزل الوحى عليه اعتراه إحتقان فغطيط فغشيان وإذا عدوت هوس محمد ككل مفتون وجدته حصيفا سليم الفكر » ثم يقول : « ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأبر مؤسس الديانات ولا أهمية لذلك فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر ولو كان العقل لا الهوس الذى يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر »[1] .

أليس من مجازفة القول أن يعد (لوبون) محمداً ﷺ من المتهوسين

---

(١) جوستاف لوبون حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ١٤١– ١٤٥ ط بيروت سنة ١٣٩٩ ﻫ

ولم يثبت تاريخيا قبل البعثة ولا بعدها أنه كان من ذوى الوساوس أو السلوك الشاذ والتصرف الغريب أو نحو ذلك من الإنحرافات النفسية التى لابد لها من إنعكاسات وردود فعل .

ألم تشهد خديجة وتعرفه بحقيقته لما جاءه الحق وهو فى غار حراء لتدفع عنه الخوف مما رأى وسمع ؟

كلا والله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق[١] .

فما أبعد هذا الكمال الإنسانى عن الهوس الذى قد يملى على صاحبه مواقف غريبة وأفعالا ينبو عنها الذوق السليم[٢] .

ولكنه الجهل بحقيقة الدين واستعمال منهج النقد العلمى فى موضوعه .

إن الحركات الاختيارية كما صنفها الغزالى[٣] ثلاثة أصناف يهمنا منها صنفان :

حركة فكرية يدخلها الحق والباطل .

وحركة قولية يدخلها الصدق والكذب .

فإذا ثبتت الصفات الأولى من هذه الحركات الثلاث وهى الحق والصدق والخير لمن بعثه الله برسالة سماويه وانتفت عنه الصفات الثانيه بالتأمل والاستقراء والبحث مع تواتر النقل والأخبار المستفيضه لم يبق أى مسوغ لإنكار نزول الوحى عليه أو تأويل هذا الوحى بالإلهام الباطنى!

---

(١) رواه البخارى .

(٢) التهامى نقرة سيكولوجيه القصه فى القرآن ٥٥ ط تونس ١٩٧٤ م

(٣) راجع المنقذ من الضلال حيث تحدث الغزالى بإسهاب بشأن الوحى والنبوة .

ومتى اعتبر المنكرون لنبوته أنه فى طليعة الزعماء والقادة والحكماء والمصلحين والمشرعين وبناة الدول ومؤسسى الحضارات فقد أوشكوا أن يؤلهوه كما ألهوا عيسى عليه السلام لأن ذلك كله لا يجوز أن يجتمع فى عبقرى[1] .

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك أن اتبع إلا ما يوحى إلى[2] .

فلو ادعى أحد أنه طبيب أو مهندس أو حلاق فالواقع هو الذى يؤيد دعواه أو يكذبها وهل الذين آمنوا به منذ أربعة عشر قرنا واتبعوا الذى جاء به من قادة الفكر على إمتداد العصور — كلهم أغبياء مغرورون لم يميزوا بين الحق والباطل والصدق والكذب ؟

والعلم وحده لا يستطيع أن يقدم تفسيراً مقنعاً لهذا التحول الجذرى ببعثه محمد ﷺ إلا على ضوء الإيمان بما تضمنه هذا الوحى السماوى الذى ظل يقودها ما يزيد على عشرين عاما ولم يخلف ما وعده ولا كذبه فيما أخبره به من أنبـاء الغيب وأى فرق بين تقولات المشركين فى الجاهلية وتفسيرهم لظاهرة الوحى عندما ينزل على الرسول وما يناله عند التلقى من جهد وعناء بالجنون أو السحر تارة وبالشعر أو الكهانة تارة أخرى وبين تفسير المستشرقين الأكاديميين للوحى من الوجهه النفسية أو العقل الباطن أو نحو ذلك مما اخترعوه وانتحلوه كالهوس الاساء ما يفترون .

أن نبوغ الإنسان وتفوقه وآثاره الفكرية ونتاجه الذهنى المتساميين لا يمكن أن يتدفقا من نفسية مريضة بالصرع أو الغشيان كما لا يمكن تتشابه حالات الوحى وصفاته إمع الحالات العصبية المرضية وقد فصل

(١) القرآن والمستشرقون د . التهامى نقرة ص ٣٠
(٢) سورة الأنعام ٥٠

الدكتور هيكل الحديث عن هذه النقطة بقوله أن مباحث المستشرقين دلتهم على ان النبي كان يصاب بالصرع وأن أعراضه كانت تبدو عليه إذ كان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات وتخرج من فمه الرغوة حتى إذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين ما يقول : إنه وحي الله إليه في حين إنه لم يكن هذا الوحي إلا أثراً من نوبات الصرع ويرد «هيكل» ذلك بقوله : وتصور ما كان يبدو على محمد ﷺ في ساعات الوحي على هذا النحو خاطىء من الناحية العلمية أفحش الخطأ فنوبة الصرع لا تذر عنه من تصيبه أي ذكر كما مر به أثناءها بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد أفاقته من نوبته نسيانا تاما ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به خلالها ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم ولم يكن ذلك يصيب النبي العربي أثناء الوحي بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الاثناء تنبها لا عهد للناس به وكان يذكر بدقة غاية الدقه ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه هذا ثم أن نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الجسيمة مع تنبه الأدراك الروحي غايه التنبه بل كان كثيراً ما يحدث والنبي في تمام يقظته العادية وحسبنا أن نشير إلى ما أوردنا في هذا الكتاب من نزول سورة الفتح عند قفول المسلمين من مكة إلى يثرب بعد عهد ما أوردنا في هذا الكتاب من نزول سورة الفتح عند قفول المسلمين من مكة إلى يثرب بعد عهد الحديبية . . ثم ينهى كلامه مؤكدا المعنى السابق فالصرع يعطل الادراك الإنساني وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثناءها الشعور والحس إما الوحي فسمو روحي أختص الله به أنبياءه ليلقى إليهم بحقائق الكون اليقينة العليا كي يبلغوها للناس[1] . يقول : كارليل : هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه

---

(١) د. محمد حسين هيكل حياة محمد

الا كومة من أخلاط هذه المواد فما بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة ويسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟ وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلا كاذبا متصنعاً متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول .. وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع وذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(١) .

محاوله تشويه القرآن الكريم :

ليست محاولات تشويه القرآن الكريم حديثة وإنما هى ممتدة فى التاريخ الإسلامى منذ بعث محمد ﷺ حمل لواءها أعداء الإسلام من اليهود ومن الوثنين والنصارى أجيالا بعد أجيال إلى يومنا هذا .

ومن أخطر من عبثوا بالقرآن الكريم وتعمدوا تشويهه كتاب « دائرة المعارف الإسلامية » وبخاصة من كتب منهم فى التعريف بكلمة « الله » سبحانه وتعالى وهو المستشرق الحاقد « ما كدونالد » حيث أساء هذا المستشرق وأخطأ وتخبط وأضر بنفسه وبالحقيقة العلمية أكثر مما أضر بالإسلام أو بالقرآن الكريم أو بالرسول ﷺ .

وأن المتتبع لمقاله ذاك فى « دائرة المعارف الإسلامية » ج ٢ ص ٢٤٤ ط دار الشعب بالقاهرة يستطيع أن يرى ما تخبط فيه الكاتب وما قال فيه عن غير علم أو تعقل فلا عارف بتاريخ العقائد عند الجاهليين ولا هو فاهم أصول التعبير العربى الصحيح ولا هو مدرك إنه بذلك الخطأ والتخبط يفضح نفسه عند كل قارىء وعند كل منصف ويكشف عن تعصبه الذى أعماه عن الحق

---

(١) نقلا عن كتاب أوربا والإسلام ص ٤٦، ٤٧ ترجمة د عبدالحليم محمود

ولقد تجرد للرد عليه فى هذه الأباطيل مستشرق آخر هو «كارديه» فرده عن بعض الخطأ فبدأ «كارديه» أكثر تعقلا وحكمة غير أن ردود «كارديه» فيها خلل كبير وكان ينقصه التحرى والدقة وأن أعجب بعض النقاد ولنضرب الآن مثلا واحداً عن تخبط «ماكدونالد» فى حديثه عن القرآن الكريم وهو يتحدث عن عقيدة الجاهلين فى الله سبحانه ذلك أن «ماكدونالد» يتهم القرآن — وذلك هو بيت القصد — بأنه من عند محمد ﷺ وليس من عند الله وتلك هى الطعنة التى يوجهونها للقرآن ويلحون فى إثباتها يقول «ماكدونالد» فى حديثه ذاك :

«كما إنه من المحقق أن أهل مكة جعلوا بينه وبين الجنه نسبا . وجعلوهم شركاء لله .. وقدموا لهم القرابين وكانوا يعوذون بهم ولسنا نعلم علم اليقين هل كانت قد وجدت لديهم فكرة عن الملائكة أو أنهم جعلوهم شركاء لله وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد[1] .

والذى يعنينا من هذه العبارة أدعاؤه أن القرآن الكريم تفسير من عند محمد ﷺ والعجيب أنه بينما يدعى هذه الدعوى نجده يعتمد فى كلامه أحيانا على آيات قرآنية .

ثم يلح فى موضع آخر على أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ وإنه يزيد فيه أو ينقص منه حسب ضرورات السجع فى الكلام فيقول: «وقد عرف محمد الله بأنه الملك المنتقم الغيور وإنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم فى اليوم الآخر وبذا تحولت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لها خطر عظيم وينبغى لنا أن نتبسط فى الكلام على هذه الذات كما تصورها محمد ﷺ ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها كثيراً فى القرآن . . وتبين شغف محمد ﷺ بهذه الصفات وشدة تمسكه بها وكانت الفطرة السليمة هى التى

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٢٤٥ ط دار الشعب القاهرة

دفعت المسلمين بعد محمد ﷺ إلى جمع هذه الصفات وتقديسها وهـــذه الصفات تعبر عن حقيقة إله محمد ﷺ، أحسن مما تعبر عنها الصفات التى ذكرها علماء الكلام فى القرون الوسطى وهى تعيننا كثيراً فى فهم وتحديد عبارات محمد ﷺ المبعثرة المتناقضة(١) .

ثم يعاود «ماكدونالد» محاولاته فى تأكيد وهمه بأن القرآن الكريم ليس من عند الله فيوهم قارئه بأن هـذا القرآن من صنع محمد ﷺ وإنه كان من السهل عليه أن يزيد أو ينقص منه فيقول : «وكان شعراء العرب من قبل قد أظهروا مقدرة فائقة فى إستعمال الصفات ولكن صفة «الواجد» لم يرد ذكرها فى القرآن ولو أنه كان من السهل أن ترد فيه .. »(٢) .

ثم يلح على الصاق تهمة صنع القرآن بمحمد ﷺ فيزداد تخبطا حيث يقول : «... ومن أسمائه — يعنى الله سبحانه — السلام ، وهـذه الصفة لم ترد إلا فى الآية ٢٣ من سورة الحشر ومعناها شديد الغموض ونكاد نقطع بأنها لا تعنى السلم ويرى المفسرون أن معناها السلامة أى البراءة من النقائص والعيوب وهو تفسير محتمل وقد تكون هذه الصفة كلها بقيت فى ذاكرة محمد من العبارات التى تتلى فى صلوات النصارى(٣) .

ولست أدرى بماذا أرد على باطل «ماكدونالد» ومزاعمه ؟ وليس فيما زعمه شيء يستند إلى دليل أو هى دليل وبحسبه أن يفند مزاعمه مستشرق آخر هو كارديه ، ويلاحظ تماثل أو تقارب الأكاذيب والافتراءات بين الجاهلين والمستشرقين فنولدكه يقطع صلة الرسول بالوحى الالهى وأنه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ جـ ١
(٢) المرجع السابق ص ٢٤٧ جـ ٤
(٣) المرجع السابق جـ ٤ صـ ٢٤٧

راو للأساطير ويعتمد فى ذلك على التوراة والانجيل مثل مافعل الوثنيون والكتابيون فى عهد النبوة وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .

والوثنيون يقولونها بدافع العصبية والتمسك بعبادة الآباء والأجداد والعواطف الهوجاء والآخرون يصفونها فى إطار بحثى وينصبون لها المقدمات ويأتون لها باخبار باطلة وأحياناً يقدمونها هـكذا تشفيا لأحقادهم وتطرفهم الاستشراقى من غير أى دليل أو خبر حتى ملأوا كتبهم بالمطاعن القبيحة والسباب المقذع .

ولو ذهبت استقصى المستشرقين فى تشويه القرآن الكريم لما كفتنا المجلدات ، ولكنى سوف أكتفى من هذا العدد الكثير بمستشرقين آخرين هما :

المستشرق « جب » والمستشرق « ج ويلز » .

فالمستشرق « جب » يتحدث عن محمد ﷺ وعن تأليفه للقرآن الكريم فيقول :

[إن محمدا كـكل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديدا بين الأفكار والعقائد السائدة فى زمانه والدائرة فى المكان الذى نشأ فيه(١)

ثم يواصل « جب حديثه عن محمد والقرآن فيقول : إن مكة كانت زاخرة بالتجارة والسياسة والدين وإنه وجدت فيها زعامة وزعماء وأنه وجد ظلم اجتماعى بين سكانها وأن الرسول محمدا انطبعت فى نفسه كل هذه

---

(١) « جب المذهب المحمدى ص٢٥ ، ٢٦ ، المرجع السابق ص ٢٦ ، المرجع السابق ص ٣٨

الجوانب وكان على وعى تام بها ترى آثارها فى حياته وفى قرآنه وفى كفاحه إلى أن مات(١) .

وافتراءات « جب » واضحة البطلان بينة التهافت تفقد المنطق وتجانب الصواب .

ثم يواصل « جب » افتراءاته فيقول :

[ومحمد فى البداية لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعـــوة إلى دين جديد بل كانت معارضة المكيين له وخصومتهم له من مرحلة إلى أخرى هى التى قادته أخيراً وهو بالمدينة بعد أن هاجر إليها إلى اعلان الإسلام كجماعة دينية جديدة بإيمانها الخاص بنشأتها الخاصه .

ويبدو أن معارضة المكين له لم تكن محافظتهم وتمسكهم بالقديم أو بسبب عدم رغبتهم فى الإيمان بل ترجع إلى أسباب سياسية واقتصادية لقد تملكهم الخوف من آثار دعوته التى تؤثر على ازدهارهم الاقتصادى وبالأخص تلك الآثار التى يجوز أن تلحق ضرراً بالقيم الاقتصاديه لمقدساتهم

وبالاضافة إلى ذلك فإن المكيين قد تصوروا — أسرع مما تصور محمد نفسه — أن قبولهم لتعاليمه ربما يمهد لنوع معقد من السلطة السياسة داخل جماعتهم التى كانت تحكمها فئة قليلة حتى ذلك الوقت(٢) .

وخلاصة ما يرى جب أن محمدا ﷺ قد تأثر بالبيئة التى عاش فيها وشق طريقه بين الأفكار والعقائد الشائعة فى بيئته فالقرآن كما يرى جب

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٨

من صنع محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن ملاءمات هذه البيئة التى عاش فيها .

ومن سقط ماقاله « جب » إن أهل مكة عارضوا محمد ﷺ لا لمخالفة عقائدهم ووثنيتهم وزيفهم وصدودهم وإنما المعارضة قامت عنده ونمت ووصلت إلى الحد الذى وصلت إليه بسبب التنافس على الزعامة وعلى المصالح الاقتصادية .

وقمة الباطل عنده ادعاؤه بأن القرآن الكريم كان أثراً من آثار إحساس الرسول ﷺ بالظلم الاجتماعى الذى ساد أهل مكة وأن أثر هذا الاحساس وهو القرآن الكريم بدأ واضحا فى حياة الرسول ﷺ وفى كفاحه إلى أن مات(١) .

وأما المستشرق : « ج ويلز فإنه يردد نفس التهم التى تستهدف تشويه القرآن الكريم وتشويه الإسلام نفسه فهو يردد أن محمدا — ﷺ هو الذى صنع القرآن الكريم ونحن ننقل عن ويلز من كتابه « معالم تاريخ الإنسانية الذى ترجم إلى العربية وطوف آفاق العالم الإسلامى وحظى بالقبول من الباحثين .

يقول « ج ويلز عن الرسول ﷺ : « وجدت فى مكة قرابة (٥٧١م) ميلادية ان ولد جد (ﷺ) مؤسس الإسلام وولد له أطفال عديدون كان اسم أحدهم (عبد مناف) أى خادم الرب المكى — مناف — وذا يدل على أن محمدا (ﷺ) لم يكن قد توصل فى ذلك الوقت إلى آية

(١) الغزو الفكرى د على عبد الحليم من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامى بجامعة بن سعود عام ١٣٩٦ هـ — ص ٢٩ ، ٣٠ إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام بن سعود .

اكتشافات دينية ويحتمل أنه رأى كنائس مسيحية فى سوريا ويكاد يكون محققا أنه كان يعرف الكثير عن اليهود ودياناتهم وأنه استمع إلى سخريتهم من ذلك الحجر الأسود فى الكعبه الذى كانت له السيادة على الأرباب القبلية الثلاثمائة ببلاد العرب ورأى جماهير الحجيج ولحظ أمارات الختل وعدم الاخلاص والخرافات المتجلية فى وثنية البلدة فضاق بذلك ذرعا وربما كان اليهود قد هدوه إلى الاعتقاد فى الرب الواحد الحق دون أن يدرك ما حدث له — وجاء بآيات معينة أعلن أنها قد أوحيت إليه عن طريق ملك من السماء (١) .

ثم يقول ويلز فى موضوع آخر من كتابه السابق تحت عنوان « محمد يصبح نبيا مناضلا » لقد ظلت شخصية نبى الاسلام حتى الهجرة أى حتى أتم الحادية والخمسين من عمره موضوع تجاذب وتنازع بين أهل الرأى فبات من بعدها يسطع عليه ضياء التاريخ وأنا لنستبين فيه رجلا ذا قوة تصورية هائلة وإن كانت عرجونية على طريقة العرب ولها أغلب مزايا البدوى وأهم نقائصه » .

ثم يصل المؤلف إلى قمة ما يريد قوله حيث يقول « لم يكن محمد ﷺ دجالا بأى حال وأن كان أعتداده بنفسه يدعوه فى بعض الأحيان أن يتصرف كأنما كان الله رهن أشارته وكأنما أفكاره بالضروره أفكار الله ..(٢) .

وفى موضوع آخر من كتابه معالم تاريخ الإنسانية يقول » :

---

(١) ويلز ـ معالم تاريخ الإنسانية جـ٣ ص ٦٢٦ ، ٦٢٧

(٢) السابق جـ٣ ص ٦٢٦ ـ ص ٦٤٠

فلما انتشرت التعاليم الجديدة وتكيفت فى قالبها الخاص اضطرت أن تعمل على أسس ظلت على الدوام أبعد ما تكون عن المجانسة لطبيعتها والتزمت أن تنمو فى تربة أخرجتها عن سبيلها السوى وحولتها عن طريقها القويم وكان مرجعها الوحيد هو القرآن .

وهذا الكتاب كان يبدو للعقول التى لم تتـــذوق نغمات اللغة العربية أعنى كما يبدو لكثير من العقول الأوربية اليوم خليطا من البلاغة الرائعة يمازجها — ولنقلهـــا بصراحة — مقنعة غامضة لا كيف لها وقد غاب مغزاه الحق عن عدد لا يحصى من المسلمين الجدد غيابا تاما (١) .

وبعد : فهذا مجمل لآراء عدد قليل من المستشرقين فى القرآن الكريم وهو صورة دقيقة الدلالة على ما يتهمون به القرآن الكريم أنه كتاب محلى أقليمى أو أنه كتاب يتأسى ديانة اليهود أو النصارى أو أنه من صنع محمد ﷺ) !!!

وهذه الأباطيل والترهات البهتان فيها أوضح من أن يحتاج إلى مناقشة أورد أو حوار فضلا عن أن ما كتبه كثير من علماء المسلمين وقليل من المنصفين من الباحثين الغربيين فيه مقنع وغناء .

ولم يجد واحد من هؤلاء الحاقدين على الإسلام والراغبين فى تشويهه حجة أو دليلا يؤيدون به ما أذاعوه من باطل ولا أختلقوه من بهتان ويحسبنا أن التاريخ نفسه يقف من هولاء الحاقدين وقفة المعارض المكذب لكل ما أفتاتوا به على الإسلام

غير أنى لا أستطيع أن أترك هـــذا المجال دون أن أطرح بعض

---

(١) المرجع السابق ح ٣ ص ٦٥٧

التساؤلات وأثير بعض النقاط فأقول : لست أدرى كيف يتساءل « ماكدونالد » .

فيقول : هل كانت قد وجدت لديهم — يقصد الجاهليين — فكرة عن الملائكة أو أنهم جعلوهم شركاء لله ثم يعطف على ذلك قوله وربما كان هذا تفسيرا من عند محمد .. أى أن محمدا قد ألف القرآن وتحدث فيه عن الملائكة الذين لم تكن لدى العرب عنهم فكرة سابقة .

ولو كان « ماكدونالد » الذى يبيح لنفسه أن يكتب عن القرآن والإسلام يعرف قدرا يمكنه من الفهم الصحيح لما يقول لما قال . فلفظ ملائكة لفظ عربى أصيل قال أبو عبيدة : ملك فعل من لاك أى أرسل والألوكة والمألكة الرسالة قال لبيد :

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل

وقال عدى بن زيد :

أبلغ النعمان عنى مألكا
أننى قد طال حبسى وانتظارى

وأشتقاق الملك من الألوكة وارد لا سيما وأن هذا المعنى يستأنس عليه ببعض آيات القرآن الكريم وهى حجة لغوية قاطعة قال تعالى : الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (١).

فهذه الآية القرآنية وغيرها تدل على أن الملائكة مرسلون من عندالله مما يؤيد أشتقاق الكلمة من الألوكة وهى الرسالة .. أم أن « ماكدونالد » يحتاج إلى دليل يؤكد أن القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية ؟

---

(١) سورة الحج آية ٥٨

كذلك ما كان «لما كدونالد» أن يتساءل أن كان العرب قبل الإسلام عندهم فكرة عن الملائكة لو أنه أتعب نفسه قليلا فى التعرف على تاريخ الجاهليين وتاريخ الأديان فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ذلك التاريخ الذى اعترف وسجله مستشرقون مثل «ماكدونالد» فأكدوا أن العرب فى الجاهلية كان بعضهم يعتقدان الملائكة بنات الله حيث تصوروا أن الله أصهر إلى الجن وأن الملائكة هم بناته منهم وأن من العرب من كان يتقربون إلى الله بالملائكة استشفاعا بهم لأنهم بناته ولهن لديه حظوة وبعض العرب كانوا يعتقدون أن اللات والعزى ومناة «رموز وهيا كل مادية من الأرض للملائكة الذين هم فى السماء فيعظمونها ويقومون بواجبات العبادة نحوها ويذبحون لها على هذا الاعتبار .

والآيات القرآنية التى تؤكد معـــرفة العرب للملائكة وإعتقادهم بوجودهم وبأنهم رسل من عند الله آيات كثيرة نسوق منها قوله تعالى : «وقالوا لولا نزل عليه ملك»(١) .

وقال سبحانه «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً»(٢) .

والآيات القرآنية الداله على إعتقاد العرب بأن الملائكة بنات الله وأن بعضهم كانوا يستشفعون بالملائكة عند الله وإن بعضهم كان يعبد الملائكة عبادة كاملة كثيرة ومن هذه الآيات قوله تعالى : «فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون»(٣) .

---

(١) سورة الأنعام آية ٨
(٢) سورة الفرقان آيه ٧
(٣) سورة الصافات ١٤٩ — ١٥٠

لعل هذه الآيات تقنع «ماكدونالد» وأمثاله بأن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ولعل ذلك يقنعه بأن الرسول ﷺ عندما تحدث عن الملائكة لم يكن يفسر من عنده وإنما هى وحى أوحاه الله إليه هذا إن كان «ماكدونالد» وأمثاله يقتنعون أو يرجعون إلى الحق والصواب .

كذلك ضل «ماكدونالد» حين زعم أن لوازم السجع حملت الرسول ﷺ على وصف الله سبحانه بعدة صفات يتردد ذكرها فى القرآن فإن لهذا الزعم معنى واحداً عندى هو أن «ماكدونالد» لا يعرف السجع ولا لوازمه ولا يفرق فى الأساليب العربية بين مسجوعها وغير مسجوعها .

ولو ذهبت أرد كل فرية مما زعم «ماكدونالد» لتحدثت فى بسائط وبدائه لا تغيب عن عاقل أو عارف بأوليات الإسلام وأوليات اللغة العربية فضلا عن متعالم مغرور يتصدى للحديث عما لا يعرف .

أما جيب فإن دعاواه الباطلة فى تأثر محمد ﷺ بضرورات الظروف الخارجية عنه المحيطة به أو زعمه بأن الرسول ﷺ قد استجاب لهذه المؤثرات استجابة ظهرت آثارها فى حياته وفى قرآنه وفى كفاحه مثل هذه الدعاوى ليس إلا أن تتهاوى غير قادرة عن النهوض لعجزها عن الاستناد إلى دليل أو هى دليل وليس الرد على مثل هذه المزاعم التافهة بمجد ولا مغن أمام هذا الانغلاق الفكرى والتعصب المقيت المعمى عن الحق وعن مجريات التاريخ .

كذلك فإن ما هذى به «جب» من أن معارضة أهل مكة للرسول ﷺ لم تكن من أجل دينه وإنما عارضوه من أجل التنافس على الزعامة السياسية ولو كان «لجب» أدنى علم بالمتواتر من تاريخ الرسول ﷺ وهو فى مكة لعلم أن أهل مكة أنفسهم عرضوا عليه ﷺ فى زمن باكر من دعوته

الناس إلى الإسلام أن يكف عن دعوته وأن يجمعوا له المال ويهيئوا له أسباب الزعامة والرياسة فرفض قائلا كلمته المشهورة « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته ...) .

أما كلام المستشرق : هج . ويلز : فإن مافيه من الخطأ والتجنى ما لم يسغ حتى فى عقول غير المسلمين من المستشرقين والحاقدين على الإسلام . فلا ندرى من أين جاء « ويلز » بأن النبى ﷺ كان له ولد أسمه عبد مناف أى خادم الرب المكى مناف ، مع أن أسماء أولاده الذكور معروف مشهور لا يحتاج من (هـ ج ويلز) إلى بحوث وتحقيقات وموضوعات — كما يزعم أكثر المستشرقين فيما يكتبون وهم : عبدالله والقاسم وإبراهيم إلا إذا أراد (هـ ج ويلز) أن يغير اسم عبد الله فيجعله عبد مناف هذا شىء يخصه وحده ولكنه فى الوقت نفسه لن يغير من التاريخ المعروف قليلا ولا كثيراً .

كذلك زعمه بأن الرسول ﷺ رأى الكنائس المسيحية فى سوريا . إن لنا أن نقول : متى ذهب الرسول ﷺ إلى سوريا ؟ وكم كان عمره آنذاك ؟ أهى رحلته مع عمه أبى طالب تلك الرحلة التجارية التى ماتجاوزت بصرى ؟

إن إتهامات هـــذا المستشرق لتدل على حرصه الشديد على التضليل والخداع خداع من يقرأون له من أبناء جنسه — أما القراء المسلمون فليس منهم واحد لا يعرف أن الرسول ﷺ لا يقول الشعر ولا ينبغى له حينما يسمعون كلام هـ ج ويلز : حينما يصف الرسول ﷺ بأنه شاعر غير مجيد ؟ أما أدعاؤه بأن الرسول ﷺ له قوة تصورية هائلة وإن كانت عرجونية على طريقة العرب ولها أغلب مزايا البدوى وأهم نقائصه فهى كلمات تقطر حقداً ومرارة ولا تستحق مجرد التعليق عليها ويكفيه من دلمه أنه يصدر حكما عاما على العرب أجمعين وعلى البدو أجمعين مع التسليم لدى الجميع بأن

تلك الأحكام العامة الشاملة لها من الدلالات على عقلية صاحبها وتصوراته ما يخرجه عن دائرة العقلاء أصلا .

ونحب أن نطرح تساؤلا على هؤلاء المجحفين القائلين بغير علم الزاعمين الواهمين بغير دليل أو برهان نحب أن نتساءل قائلين : لماذا نال القرآن الكريم كل هذا التحامل وكل هذه الأباطيل ؟

الهذا التحامل صلة بما حققه المسلمون من إنتصارات — بتمسكهم بهذا القرآن وعملهم بمقتضاه على فترات غير قليلة من التاريخ ؟

أبعد وصول جيوش المسلمين إلى أوربا حاملة راية : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ترفرف بالعدل والتسامح على ربوع الأندلس كله ؟ أيعد ذلك من الأسباب التى حملت المستشرقين على التهجم على القرآن الكريم صانع الرجال والأبطال ؟ .

أم تعد النظرة الفاحصة التى قارن بها بعض المنصفين من غير المسلمين بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل التى بأيديهم هى المحرك لهذه الأحقاد والمثيرة لهذه التهجمات والمحركة لكل هذه التشويهات ؟

أم أن روح الحروب الصليبية المقيتة لا تزال تسيطر على عقول هؤلاء وتطمس قلوبهم فينفثوا سموم أحقادهم تهجمات وإتهامات ؟

أم أن الخوف من أن يعود المسلمون إلى كتابهم الكريم يستلهمونه حلول قضاياهم ومشكلاتهم بعد هذه اليقظة النسبية التى تطوف بكثير من بلدان العالم الاسلامى الآن قد ابتعدوا عن الحق والصواب فأخذوا يقلبون الحق باطلا ويشوهون القرآن ما وسعهم التشويه خشية أن يكون المصباح الذى يضىء للمسلمين طريق صحوتهم ورشادهم ؟ أم هو هو مخطط سياسى على مستوى عالمى تتحالف فيه القوى العسكرية مع القوى الفكرية والثقافية لتهيد الغزو الفكرى الاسلامى فى صميمه وهو القرآن الكريم ؟

أم أن الصهيونية العالمية المدمرة لكل قوى الخير فى البشر المعادية للإسلام والقرآن منذ فجر التاريخ الإسلامى قد استطاعت أن تجند من هؤلاء المستشرقين من ينفثون سمومهم ويروجون باطلهم وينشرون افتراءاتهم على أقدس ما لدى المسلين وهو القرآن الكريم ؟

فالاستشراق وقف من القرآن الكريم كما رأينا موقف الانكار والخصومة وهذا طبيعى بالنسبة للاستشراق المسيحى الغربى وبالنسبة للاستشراق اليهودى ذلك أن القرآن وقف من التوراة والإنجيل الموجودين فى أيدى الناس موقفا واضحا : هو أنهما مما كتب البشر وليس مما نزل من عند الله كذلك فان القرآن هو الذى قدم تلك الحقائق المغايرة لما جاءت به التوراة المكتوبة بأيدى الأحبار والإنجيل المكتوب بأيدى الرهبان وخاصة فى شأن التوحيد الذى هو طبيعة دين الله الحق دون التعدد والتثليث وفى شأن عيسى عليه السلام رسول الله وإنكار ألوهيته فى شأن رفع عيسى دون قتله أو صلبه وإنكار قضية الخطيئة والفداء وإنكار قضية شعب الله المختار إلى غير ذلك من القضايا .

وعندما نراجع ما كتبه الاستشراق نجد أن هناك إجماعا على الوقوف فى وجه القرآن وإنكار مصـــدره الربانى والقول بأنه من عمل محمد ﷺ ويجىء هذا الرأى لا عن إسناد واضح أو دليل صريح ولكنه يجىء تعصبا ضد القرآن ونبيه أو عجزاً عن فهم الوحى فى تقدير الباحثين أو فى التشابه مع موقف الفكر المسيحى الذى يرى أن الإنجيل ليس كتاباً من السماء وإنما هو من عمل الرسل .

والشك فى إلهية القرآن هو ما ردده المستشرقون وتأثر به كثير من الكتاب والباحثين العرب أمثال طه حسين وزكى مبارك وغيرهما .

ثم هم يذهبون إلى القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم استقى القرآن

ولا سيما قصصه من الأحبار والرهبان الذين كان يلقاهم أو يتصل بهم فى مكة(١) .

وسأورد من أقوال بعض المستشرقين فى القرآن ومصدره ما يوضح جهلهم بحقيقة الوحى خارج الطرق الكسبية للعلم وفوق الالهامات النفسية .

(فويلز) يتخيل محمداً رجلا دفعته طموحاته ووساوسه فى سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعد فى زمرة القديسين فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية وقام بنشرها فى قومه فاتبعها رجال منهم(٢) .

وجولدتزيهر ينسب المعرفة الدينية التى تلقاها محمد ﷺ إلى عنصرين: خارجى وداخلى فيقول :

« فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجـــا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل إتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التى تأثر بها تأثراً عميقاً والتى رآها جديرة بأن توقظ فى بنى وطنه عاطفة دينية صادقة وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت فى وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة فى إتجاه يريده الله .

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا)(٣) .

---

(١) الأستاذ أنور الجندى المستشرقون والقرآن ص ٢٠.

(٢) الإسلام والثقافة فى مواجهة الاستعمار ص ٢٣٩ مطبعة الرسالة بمصر .

(٣) جولد تزيهر العقيدة والشريعة فى الإسلام ترجمة د. محمد يوسف موسى وزميله ص ١٢ ط مصر سنة ١٩٤٨ م .

وبلاشير — يتحدث فى كتابه (معضلة محمد) عن مصدر القصص القرآنى ذاكرا بالخصوص إن مما لفت إنتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين هذا القصص اليهودى المسيحى وقد كان التأثير المسيحى واضحا فى السور المكية الأولى إذ كثيراً ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذى كان سائداً فى ذلك العهد عن شبه قوى ويعرض فى هذا الصدد آراء بعض الباحثين مبينا رأيه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التى كانت تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة(١) .

وورد فى كتاب تاريخ الأديان «كان أسلوب النبى فى القرآن أول عهده بالدعوة مفعما بالعواطف قصير العبارات فخم الصورة يقدم أوصاف العقاب والثواب فى ألوان صارخة وكثيراً ما يكرر الآيات تكراراً مملا حتى تنقلب معانيها إلى الضد فلما تقدم الزمن بالنبى فقد الأسلوب منهجه الأول وأخذ يقص فى نغمات هادئة بديعة قصص الأنبياء مثلما تراه فى قصة حب يوسف وزوجته (بوتيفار) وكانت هذه الصورة مثيرة لخيال كثير من شعراء الفرس والترك .

وفى آخر عهد النبى فقد الأسلوب كل حرارة وكل فن واغرم بالجدل الدينى مع اليهود والنصارى(٢) .

وهكذا فان أكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن ولا عن الوحى الذى أنزل عليه فانساق الكتاب الغربيون فى إتجاههم يرددون الفكرة نفسها من غير بينة بل إن المتعصبين

---

(١) القرآن والمستشرقون التهامى نقرة صـ ٣١

(٢) عن القرآن لمحمد صبيح صـ ١٤٤ ط مصر سنة ١٩٣٩ م .

منهم عندما يتحدثون عن الرسول والقرآن والإسلام فتتحول ألسنتهم إلى معاول هدم نذكر على سبيل المثال مقالا كتبه فيليب ابرلنجى فى مجلة تصدر بباريس نسب فيه إلى الرسول — بقصد النيل من شخصيته الشريفة ما يتبرأ منه كل باحث نزيه وما لا يصـــدر مثله إلا عن أغلق فكره التعصب والحقد وما كان مما إدعاه فى مقاله كثرة إتصال محمد باليهود فى مكة — والمعروف أن جل اليهود آنذاك كانوا بالمدينة لا بمكة — وإنه كان يسأل خادمة زيداً وهو مملوك للمسيحيين عن الديانتين المسيحية واليهودية ليأخذ منهما وكان حاذقا فطنا أحد ذكاء وأدق فهما من خادمه ثم يقول :

« لقد كان محمد فى المدينه تلميذا لليهود وهم الذين كونوه ثم بدأ جبريل يمده ببعض الأساطير التى يعرفها اليهود والمسيحيون فهـــذا التناقض الصارخ فى أقواله التى يقذف بها بلا سند من تاريخ أو حجة من عقل تغنى عن البيان والرد .

يقول العلامة أنور الجندى رداً على هذه الشبهات جميعاً لو كانت التوراة والإنجيل مصادر للقرآن كما يزعمون لكان اليهود أعرف الناس بهذا وهم من هم خبثا وحقداً على كل نبى ورسول ولقد كانت صداقتهم للمشركين فرصة لمساعدتهم على الطعن بوحى القرآن وبيان مشابهته للتوراة لو كان ذلك به أدنى ذرة من الصحة بل لقد شهد به بعض كتاب الغرب بفساد رأى الاستشراق .

يقول العالم أرنست فى كتابه (الإسلام والمسيحية الحقيقية) إن العقيدة والنظام الدينى الذى جاء فى الأناجيل ليس الذى دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله ان مرد النزاع القائم بين المسيحية اليوم وبين المسلمين ليس

إلى المسيح بل إلى دهاء بولس ذلك المارق اليهودى المسيحى وشرحه للصحف المقدسة على طريقة التجسيم وأن بولس هو واضع ذلك المزيج من القصص والأحاديث المتعارضة ومن هنا فإن هناك اختلافاً أساسياً من حيث الأسلوب لأن لكل إنجيل كاتبا (لوقا ، متى ، يوحنا ، مرقص ، برنابا) .

ومن هنا جاء القرآن مخالفاً لهذه الأناجيل وللتوراة مادة وأسلوبا . أما الذين يدعون بأن للقرآن مصدراً من الإنجيل فإنهم يجهلون ما أورده القرآن من أصول عديدة لم ترد فى الكتابين ومن تفصيلات فى بعض الأحداث لم يعرفها اليهود والنصارى فقد أخبر القرآن بأشياء ما كان يعلمها أحد من أهل الكتاب أنفسهم مع أنها تتعلق بصميم مسائل دينهم فهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن كفالة زكريا للسيدة مريم بعد ولادتها كذلك فقد أخبر القرآن بأشياء كثيرة تحققت تحققاً تاماً بعد الإخبار بها منها إخباره عن انتصار الروم بعد انخذالهم وكان الفرس قد غلبوا الروم عام ٦١٠ م وإن دولة الروم كانت مختلة مضطربة بحيث لم يكن أحد يرجو أن تعود لها الكرة والغلبة ومع ذلك فقد أخبر القرآن بانتصار الروم فى بضع سنين والبضع مابين الثلاث والتسع كذلك فإن القرآن أخبر بأمور ماعرفت إلا فى هذا العصر الحديث وما كان أحد يعرفها أو يؤمن بها إلا المسلمون ولم يرد بها أى إثارة من علم فى التوراة أو الإنجيل ومن ذلك إخباره بانخفاض الضغط الجوى فى أعالى الجو « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء » .

وكذلك الإخبار عن اهتزاز الأرض عند نزول المطر عليها « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » فصلت .

وفى القرآن أمور لا يمكن أن تنسب إلى الرسول ﷺ لأنها تحوى

معاتبته على تصرف من التصرفات مثل قوله تعالى ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (الأنفال ٦٧—٦٧) .

إن ما عوتب عليه رسول الله من قبول الفداء من أسرى بدر هو أقرب إلى طبعه الرحيم لذلك اختاره أملا فى هداية قومه وتأليف خصمه فنبهه الله إلى ما هو حق فى ميزان الحكمة الإلهية وشتان بين مقام الربوبية ومقام العبودية .

كما عوتب ﷺ لما أذن للمنافقين الذين استأذنوه للتخلف من غزوة تبوك فقال الله له : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) (سورة التوبة : ٤٣) .

أما الزعم بأن النبى أخذ من الإنجيل والتوراة وتأثر بأسلوبهما فأبسط الرد عليه أن ما فى القرآن مخالف للتوراة والإنجيل مخالفة تامة وهناك أمور فيها مخالفة جوهرية .

وذلك شأن مريم وعيسى ومعارضته القرآن للتثليث والصلب والخطيئة .

إن الزعم بأن النبوة أمر كان يتوقعه الرسول ويرغب فيه وبأن النبى كان له صديق يكلمه فإن الإخبار الثابتة الصحيحة لم ترد مطلقا بأن النبى كان يرجو أن يكون النبى المنتظر ولو كان لدونه المحدثون والمؤرخون كما دونوا عن أمية بن الصلت بل لقد صرح القرآن (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب الا رحمة من ربك) وقد شهد أعداؤه جميعاً له بالصدق وخاصة أبا جهل ولو كان شىء من ذلك صحيحاً لكان كفار قريش أدرى به من

(بروكلمان) ومن شايعه وكان يكون من أكبر الحجج بين يدى المستشرقين والمنافقين واليهود .

كذلك فقد برأ القرآن الرسول من أن يكون له من يعلمه (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) .

إن مايدعيه المستشرقون من إفادة الرسول من حاشيته اليهودية والمسيحية الذين أسلموا وكانوا فى صحبته هو محض افتراض لأن إسلامهم حجة قائمة على صدق ماجاء به من الوحى الإلهى ولو تبين لهم إنه كان يتتلمذ لهم فى خفاء ليتلقى عنهم ماكان يدعو إليه لانفضوا من حوله ولعادوا إلى دينهم ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة فى الدعوة إلى الإسلام والذود عنه والإخلاص للرسول فإن ثباته فى الشدائد والمحن ومثابرته على مغالبة الكبر والعناد أول برهان قدمه للإنسانية على مدار التاريخ يشهد بصحة نبوته وصدق رسالته وهل سادت دعوات الكذابين والمشعوذين والدجالين الذين ادعوا النبوة وهل نجحوا فى حمل الناس على الإذعان لهم والعمل بتعاليمهم إن الذى يطلب الدليل على صدق نبوة محمد ﷺ بعد ما أتى بما أتى به يكون كمن يطلب ورقة من البانى المظيم تنص على علمه ومعرفته بعد أن انتهى من إقامة الصروح .

وقد عارض المستشرق السويدى تورأندريه صاحب كتاب (محمد : حياته وعقيدته) هذه الطريقة العقيمة التى سلكها بعض المستشرقين فى البحث مبينا أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية ومهمة الباحث فى رأيه أن يدرك فى نظرة موضوعية : كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة أصيلة تنبض بالحياة فالإسلام لاينكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقيدة الحنيفية

وتقاليد العرب ولكن ذلك لايعنى أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر(١) .

وفى القرآن من الإعجاز الغيبى والعلمى ما ينفى أن يكون بشرياً كما شهد بذلك كل الذين درسوا إشاراته إلى الحقائق العلمية والكونية دراسة موضوعية من المسلمين وغير المسلمين .

فهذا الدكتور بوريس بوكاى الطبيب الفرنسى الباحث يقول فى دراسة علمية كتبها بعنوان : (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) :

لقد أثارت دهشتى هذه الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن والتى كانت مطابقة تماما للمعارف الحديثة ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق وبموضوعية تامة بيد أنى لا أنكر تأثير التعاليم التى تلقيتها فى شبابى حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل وبالتالى فهو ليس بدين سماوى فلا قيمة له عند الله وكان يمكن أن أظل محتفظاً كالكثير بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام وهى شديدة الانتشار .

ولما تحدثت مع بعض المستنيرين من غير المتخصصين عرفت أنى كنت جاهلا قبل أن تعطى لى عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التى تلقيتها فى الغرب وكان هدفى الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه آية آية مستعينا بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية وانتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية ومطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها والتى لم يكن لأى إنسان فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون عنها أدنى فكرة ثم قرأت أثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية فى القرآن

---

(١) محمد كامل عياد مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٤ — م ٤٤ سنة ١٩٦٩م ص٧٩٧ .

وعلى حين نجد فى التوراة أخطاء علمية فادحة فإنا لانجد فى القرآن أى خطأ وقد دفعنى ذلك إلى أن أتساءل : لو كان مؤلف القرآن إنسانا فكيف استطاع فى القرن السابع من العصر المسيحى أن يكتب مااتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة ؟ ليس هناك مجالا للشك : فنص القرآن الذى نملك اليوم هو النص الأول نفسه ومن ذا الذى كان فى عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالى عشر قرون ثقافتنا العلمية ؟

حقا إن فى إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علميه تثير الدهشة وفى القضايا التى تخضع للملاحظة مثل تطور الجنين يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة فى القرآن مع معطيات علم الأجنة الحديثة لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية مع العلم »(١)

إن لهذه الشهادة وزنها واعتبارها من عالم محق وباحث مدقق مثل الدكتور بوكاى الذى درس القرآن آية آية كما قال ونظر إليه من زاوية تخصصه فاكتسى بحثه طابعاً علمياً أكاديميا نخرج بنتيجة تشرف أهل دون أن يكون فى حاجة إلى القول بأن القرآن كتاب مسيحى يهودى نسخه محمد أو نحو من الأقوال التى ألفناها من المستشرقين .

---

(١) موريس بوكاى : القرآن والتوراة والعلم ص ١٤٤ - ١٤٨ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م

محاولة تشويه السنة النبوية :

وهى محاولات ضاربة عميقة الجذور فى تاريخ حربهم للاسلام وهى محاولات تستهدف ماتستهدفه حرب القرآن الكريم من عزل المسلمين عن دينهم بتشويه مصدريه الأساسيين القرآن والسنة .

وهى حرب تدخل حديثاً فى الغزو الفكرى للمسلمين وقد جند أعداء الإسلام لتشويه سنة النبي ﷺ ماجندوا من أقلام وكتب ومجلات وبحوث وملأوا بهذا التشويه كثيراً من الكتب والمجلات ودوائر المعارف التى تتحدث عن الإسلام وتعتبر مراجع لفكره وثقافته فى نظر كثير من الباحثين والدارسين الذين لا يستطيعون قراءة الكتب العربية بل أن كثيرا من هذه المراجع ترجم إلى اللغة العربية واعتبره كثير من أبناء العربية مراجع هامة عن الإسلام فكره وتاريخه وثقافته

ويبدو أن تطاول المستشرق « ماكدنالد» على الحديث النبوى الشريف واتهامه يجبرنا على أن نعود إلى الاستشهاد بما قال فى دائرة المعارف الإسلامية فإنه يقول « يجدر بنا الآن أن نتكلم على الآراء التى أسندها الحديث إلى محمد ﷺ على أننا إذا حاولنا أن نجد فى الحديث مانستطيع أن نقطع بصحة نسبه إليه من الوجهة التاريخية فإن عملنا هذا يكون لاغناء فيه على الإطلاق .

فمن الواضح أن هناك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه كما أننا لن نستطيع أن نعرف الأحاديث التى صدرت عنه حقا[1]

ثم يستشهدون « بجولدزيهر » على هذا الخلط والتشكيك فيقول :

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ٢٥٥ ط دار الشعب القاهرة

وقد بين لنا جولد زيهر أن الأحاديث ليست فى الواقع إلا سجلا للجدل الدينى فى القرون الأولى ومن ثم كانت قيمتها التاريخية لكن هذا السجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية وفيه معلومات مضللة لم تؤخذ من مصادرها الأولى حتى أنه أصبح لا يصلح إلا لتكملة المصادر الأولى الأخرى وتوضيحها ، ولهذا ينبغى أن نوجز الكلام فى الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن آراء محمد ﷺ أو آراء المسلمين فى صدر الإسلام ولا يقتصر الأمر على هذا فإن الأحاديث التى تجد فيها مشابهة لما ورد فى القرآن مشكوك فيها كذلك(١)

ثم يواصل « ماكدونالد » فيقول عن الحديث النبوى : « ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة .

وأول هذه الزيادات ما كان خاصا بالأساطير ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحا وفصلت الكلام فى صلته بالملائكة والجن وقد نما الاعتقاد فى الجن وأصبح الكلام فى فعل الله معقدا .

نجد هذا كثيراً فى صحيح البخارى وبخاصة فى كتاب التوحيد وبدء الخلق ونجد فيه كذلك الكلام عن وجـــه الله وعن عرشه وعن خلق السموات والأرض.

وجاء فيـه أيضـاً أن الله يتنزل إلى السماء الدنيا فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ كتاب التوحيد من صحيح البخارى ط القاهره ١٣٢١ هـ ج ٤ ص ١٧٩) .

وترد كذلك قصة آخر من يدخل الجنة من أهل النار وكيف يضحك منه (نفس المصدر ج ٤ ص ١٧٢ - ١٧٣) وفى الآخرة يمسك الله الأرض

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٥ ج ٤

على اصبع والسموات على أصبع ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض (نفس المصدر حـ٤ صـ١٦٧ – ١٧٥) وورد الكلام عن عينيه فى القرآن تارة بالمفرد سورة الفرقان الآية ٤٠) وتارة بالجمع وجاء فى الحديث انه ليس كالمسيح الدجال .

وكان من جراء الزيادة فى الحديث أيضا ان اشتد التناقض فى صفات الله ولهذا نجد حديثنا يكثر وروده وهو : ان رحمتى تغلب غضبى أو تسبقه البخارى حـ٤ صـ١٦٩ – ١٧٥) ونجد من جهة أخرى ذلك الحديث المخيف : هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى (احياء علوم الدين للغزالى حـ٧ صـ٣٠٨) .

ومما تجدر ملاحظته ان الاحاديث التى تتكلم عن مسائل الغفران بالذات يبدو فيها التناقض واضحا جليا فمن ناحية نجد أن النطق بالشهادتين وقليلا من العمل الصالح يكفل للعبد الغفران ونجد من ناحية أخرى ان تسعا وتسعين وتسعمائة والف سيذهبون إلى النار وقد انتهى الامر فى هذا المزاح فقيل : ان التسعه وتسعين وتسعمائة سيكونون من يأجوح ومأجوج (البخارى حـ٣ صـ١٤٣) .

ومن الواضح اننا نلمح هنا أثر الجدل الذى ثار بين الفرق فى وقت متأخر ويبدو لنا هذا الأثر أشد وضوحا فى القول بان الأمة الناجية ستكون ممن يقاتلون الشام (البخارى حـ٤ صـ٧٦) ولا شك فى ان المقصود بهذا بنو أمية . . ثم يختم « ما كدونال » كلامه عن الاحاديث النبوية بقوله : « ونستخلص مما تقدم انه لا شك فى أن الأحاديث فى ذاتها لا تعتبر اساساً يمكننا أن نبنى عليه الحقائق التاريخية(١) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية حـ٤ صـ٢٥٦ – ٢٥٧

وليس « ما كدونالد » و « جولدزيهر » وحدهما فى هذا التهجم على السنة النبوية بقصد تشويهها والتشكيك وإنما يشاركهما فى ذلك كثير من اعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين والصهيونيين .

وهو تهجم لا يقوم على دليل ولا يستند إلى حجه — الا اذا اعتبرت الاوهام والظنون من الحجج والبراهين ومن الممكن أن نجمل الاتهامات التى وجهت إلى السنة النبوية فى ما يأتى .

الادعاء بان هناك أحاديث كثيرة لا يمكن ان تكون قد صورت عن النبى ﷺ والادعاء بان محاولة وجود شيء فى الحديث النبوى يمكن القطع بصحة نسبته الى النبى ﷺ تاريخيا محاولة فاشلة .

الادعاء بان الفرق الإسلامية عندما اختلفت فى الآراء أخذ كل منها يضع لنفسه الاحاديث التى يؤيد بها رأيه .

الادعاء بان الاحاديث النبوية ليست الا سجلا للجدل الدينى فى القرون الأولى الأمر الذى يجعل لها من هذه الزاوية قيمة تاريخية على الرغم من ان هذا السجل مضطرب كثير الاغلاط التاريخية ملىء بالمعلومات المضللة التى لم تؤخذ من مصادرها الأولى .

ويحسبها انها جميعا ادعاءات لم تستند إلى ما يقنع من دليل او برهان ويحسب الأمة الإسلامية أنها الوحيدة من بين الامم التى عاشت على الارض فى ماضى البشر وحاضرهم باذلة من العناية فى حفظ اسانيدها ما لم تبذله أمة أخرى يشهد بذلك التاريخ نفسه والمنصفون من المؤرخين .

ونكتفى فى الرد على ما ذكره « ما كدنالد » فى دائرة المعـــارف ما علق به أحد العلماء المسلمين على هذه المادة التى هذى بهـا « ما كدونالد » يقول : « وقد عنى المسلمون بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب والسنة بما

لم تعن به أمة قبلهم فحفظوا القرآن ورووه عن رسول الله ﷺ تواترا آية آية وكلمة كلمة وحرفا حرفا حفظا فى الصدور واثباتا بالكتابة فى المصاحف حتى رووا أوجه نطقه بلهجات القبائل ورووا طرق رسمه فى المصحف والفوا فى ذلك كتبا مطولة وافيه وحفظ المسلمون أيضا عن نبيهم كل أقواله وافعاله واحواله وهو المبلغ عن ربه والمبين لشرعه والمأمور باقامة دينه وكل اقواله وافعاله بيان للقرآن وهو الرسول المعصوم والاسوة الحسنة قال تعالى :« وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى(١) .

وقال تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »(٢) .

وقال أيضا : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة(٣) .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله ﷺ فنهته قريشى فذكر للرسول ﷺ فقال : اكتب فو الذى نفسى بيده ما خرج منى الاحق) ففهم المسلمون من كل هذا انه يجب عليهم ان يحفظوا عن رسولهم كل شيء وقدفعلوا وأدوا الأمانة على وجهها — ورووا الإحاديث عنـــه بعضها متواتر اما لفظا ومعنى واما معنى فقط وبعضها يعرف بالاحاديث الصحيحة الثابتة مما يسمى الحديث الصحيح والحديث الحسن ولم يحتجوا فى دينهم بغير هذه الانواع التى لا يعارض فيها الاجاحد او مكابر(٤) .

ولعل فى بعض ذلك رد على « جولدزيهر » و« ماكدونالد » وامثالهما

---

(١) سورة النجم آية ٣ ، ٤
(٢) سورة النحل آية ٤٤
(٣) الاحزاب آية ٢١
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ح ٤ ص ٢٧٤

من الحاقدين على الإسلام الراغبين فى تشويه مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية وإن السنة النبويه المطهرة لهى المفتاح الحقيقى الوحيد لفهم القرآن الكريم بل هى مفتاح الحضارة الإسلامية منذ أرسى رسول الله ﷺ أسس هذه الحضارة وإلى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وإن العمل بمقتضى السنة النبويه هو المحافظة الحقيقية على كيان الإسلام نفسه وهو فى الوقت نفسه احياء لحضارة الإسلام التى شملت كل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية الراشدة وعالجت كل مشكلة تعترض سير الإنسانية نحو رشدها وهداها .

وإن اهمال العمل بالسنة النبويه أو التساهل فى شىء منها زلزلة لكيان الإسلام وتقويض لصرح حضارته وليس لاعداء الإسلام فى الحاضر من هدف أهم ولا أكبر من تشويه هذه السنة النبويه وتشكيك المسلمين فيها أو فى جدوى التمسك بها عن طريق تكذيبها أو رميها بالتناقض والتعارض أو التهوين من شأن العمل بها .

وان آفة هذا العصور الذى نعيشه أن بعض الناس فيه يتعالمون بأن ينكروا صحة الإحاديث النبوية أكثرها جريا — غير واع ولا مدرك للنتائج — وراء ما رواه اعدل الإسلام وما زوروه ويتسع ذلك أن بعض الناس يسوغون لأنفسهم الا يعملوا بمقتضى هذه السنة بحجج واهية وتعللات هى المرض والضعف والتبعية .

وإن أصابع اعداء الاسلام من مستشرقين وأذناب لهم ومن مبشرين وضالين بضلالهم ومن قوى أخرى خفيه تتحرك بتحرك هذه القوى أن اصابع هؤلاء جميعا تعبث وتزور وتفسد وتملأ نفوس السذج والتفهاء بالشك والانكار .

وما نحب أن نقوله لهؤلاء الأتباع ومتبوعيهم أولئك الذين لا يحسنون غير الإنكار والتكذيب والتشكيك هو أن يأتوا على ما يدعون بدليل على منطق ينفون به السنة النبوية المطهرة فإن عجزوا — ولابد عاجزون — قلنا لهم : إن أجيالا من هؤلاء المنكرين جاءت وراء أجيال ومجموعات من الحاقدين تلتها مجموعات ما استطاعوا مجتمعين ولا متفرقين، أن يأتوا فى مجال إنكار السنة النبوية بشىء يستحق المناقشة فى فترة من فترات تاريخ حقدهم الطويل .

وإذا كان الجامعون لسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الزمن الباكر .

والجامعون لكتب الحديث النبوى الأولى مثل الإمامين البخارى ومسلم قد قاموا فى هذا المجال — مجال الدقة والتحرى والتثبت من كل حديث ، ومن كل راو — بما يعد صورة فريدة من نوعها فى تاريخ الإنسانية كله لم تعرف له أمة من الأمم نظيراً فى حفظها لتراثها — فإن فى ذلك ما يخرس ألسنة المتقولين وما يرد كيدهم .

ويكفى للدلالة على ضخامة الجهود التى بذلت فى هذا السبيل أن نشأ علم ذو قواعد وأصول هدفه الوحيد أن يبحث فى متن الأحاديث وسندها وفى أحوال الرواة وشروطهم وما يوصفون به من صفات الجرح والتعديل .

وإن نظرة عابرة إلى تلك المواصفات التى اشترطت فى رواة الأحاديث لتقنع الجاحد قبل غيره بأن الثقة فى السنة النبوية ثقة بغير حدود .

وإذا كانت الحجج قد قامت على صحة الأحاديث النبوية فإن هؤلاء المنكرين المبطلين مطالبون بأن ينقضوا هذه الحجج أولا ، ثم يؤكدوا مزاعمهم بأدلة وبراهين وما هم بمستطيعين هذا ولا هم بقادرين على ذلك وقد

غيروا فى هذه المحاولات السنين وراء السنين وتطاول زمن الحقد بهم فعجزوا وراحوا يتخبطون فى غير هدى .

لكنها الرغبة الملحة فى تشويه مصدر كبير من مصدرى الإسلام هو السنة النبوية المطهرة كى لا يواجهوا من جديد بأجيال من المسلمين تحسن التمسك بسنة الرسول — ﷺ فتحسن بها الحياة وتحسن الانتصار فى المعارك وتحسن إقامة الحق والميزان وزرع العدل والإحسان فى البشرية كلها، وهذا أخوف ما يخافه أعداء البشرية أعداء الإسلام إذ به تذهب ريحهم وتضيع أرباحهم .

أن موقف الاستشراق من السنة هو موقفها من القرآن وسيرة الرسول فان السنة هى جزء من حياة الرسول وهى تبيان للقرآن ، فلا بد أن تنالها الشبهات وتصل إليها السموم وعوامل التزييف[1] .

ويرى المستشرقون أن تأخر تدوين الحديث الذى بدأ فى المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا فى الحديث ، ومتى وضع أحاديث لخدمة أغراضهم يردد هذا جولدزيهر ودوزى وشبرنجر وقد شك جولدزيهر فى صحة وجود صحف كثيرة فى عهد الرسول ويرمى من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها فى الصدور وهو يرمى أيضا إلى وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على السنة المدونين ، وهو يزعم أن هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم .

ويرى شبرنجر فى كتابه (الحديث عند العرب) .

إن الشروع فى التدوين وقع فى القرن الهجرى الثانى وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة إما دوزى فهو ينكر نسبة هذه (التركة المجهـــولة) من

---

(١) الأستاذ أنور الجندى ص ٢١٩ المستشرقون والسنة .

الأحاديث إلى الرسول وقد رد عليهم و كشف زيفهم الدكتور مصطفى السباعى قال «حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله ونقله وحرص التابعون وتابعوا التابعين من بعدهم على نقل هذا الحديث وجمعه وتنقيته من شوائب التحريف والتزيد وما قام به علماء السنة من جهود جبارة فى تتبع الكذابين والوضاعين وفضح نواياهم ودخائلهم وبيان ما زادوه فى السنة من أحاديث مكذوبة حتى جمعت السنة فى كتب صحيحة وأشبعها النقاد بحثا وتمحيصاً ثم خرجوا من ذلك الاعتراف بصحتها والتسليم بها يتخبطون فى أودية الأوهام ومتأثرين بأوهامهم ، ونقصهم فى الحكم على حقائق يعتبر البحث بها فى نظر المحقق المنصف إسفافاً وتلاعبا بالعلم ، وإخضاعا لمكانة التاريخ إلى نظريات الهوى والبغض .

ومما سلكه أعداء الإسلام فى سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو إثارة الشبهات حول أكابر رواتها وحملتها ومدونيها كما أثاروا الشبهات حول الصحابى الجليل أبى هريرة — رضى الله عنه — وهو أكثر الصحابة رواية للحديث وكما أثاروا الشبهات حول الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وهو — الإمام الثبت الحجة الذى دون السنة فى عهد عمر بن العزيز بأمر منه(١) .

وقد أجمع كل الذين عاصروه وعاشروه بأنه كان من أذكى الناس وأشدهم حفظاً كما أجمعوا على أنه من أتقى الناس وأصدقهم لهجة — والإمام الزهرى لا يضره حقد الحاقدين فهو قطب السنة ويكفيه فخراً ما قال فيه الذهبى «هو أعلم الحفاظ الإمام الحجة» .

وقال مكحول : (ما بقى على ظهرها أعلم بسنة ماضية من الزهرى) .

---

(١) راجع كتاب السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى الشيخ مصطفى السباعى .

وقال عمر بن دينار (ما رأيت أنص وأبصر بالحديث من الزهرى)(١).

وهكذا تواترت روايات الحفاظ وعلماء الجرح والتعديل على توثيقه وأمانته ، ولا نعلم أن أحداً اتهمه بأمانته وصدقه فى الحديث قبل هـــذا المستشرق اليهودى المتعصب جولدتسيهر .

وقد نقل الشيخ مصطفى السباعى هذه الرواية من الزهرى فقال : لقد روى الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق بسنده المتصل إلى الشافعى رحمه الله ثم إلى الزهرى إن هشام بن عبد الملك سأل بعض جلسائه من أهل العلم من الذى تولى كبره منهم أى كبر الإفك على أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها ! قالوا : هو عبد الله بن أبى بن سلول المنافق فقال هشام : كذبتم إنما هو على بن أبى طالب — ويظهر أن هشاماً كان يختبر شدة جلسائه من العلم فى قول الحق — فقالوا : أمير المؤمنين أعلم بما نقول ثم دخل الزهرى وسأله ذات السؤال فأجابه بمــــا أجابوه فقال له هشام كذبت ، فوقف الزهرى غاضباً وقال للخليفة أنا أكذب لا أبالك والله لو أن منادياً نادانى من السماء بأن الله أحل الكذب ما كذبت ثم خرج وذكر ابن عساكر بقية القصة وكيف استرضاه الخليفة بإسقاط مائتى ألف درهم من دين كان عليه ثم قال الشيخ مصطفى السباعى رحمه الله فهذا الإمام العظيم الذى رأيتم موقفه من الخليفة حين اتهمه بالكذب لم يتورع شيخ المستشرقين فى القرن الماضى جولد تسيهر من أن يتهمه بأنه كان يضع الأحاديث إرضاء للأمويين وأنه أى الزهرى الذى وضع لعبد الملك بن مروان حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى ليصرف الشاميين عن الحج لبيت الله الحرام إلى بيت المقدس أيام حكم بن الزبير مع العلم بأن هذا الحديث من أشهر الأحاديث وأصحها .

---

(١) السنة فى مواجهة الأباطيل — محمد طاهر حليم — دعوة الحق — سلسلة شهرية (ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ) عدد ١٢ ص ٤٨، ٤٩

وقد رواه غير الزهرى وخرجته كتب السنة الصحيحة حتى قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هـــذا الحديث أجمع المسلمون على صحته[1] أن الوقاحة التى حملت هذا المستشرق اليهودى على اتهام الزهرى بالوضع والكذب ما حمله عليها إلا محاولته التشويه والتشكيك بالسنة وبرجال السنة إن سنة الرسول ﷺ درع حصين للإسلام واتباعها يقى المسلمين اخطار الفوضى والضلال والانحلال والضياع وأن أعداء الإسلام وهم حريصون على ضياع المسلمين وتضليلهم وانحلالهم يعملون اليوم فى مختلف دوائرهم واتجاهاتهم إلى هـدم السنة المطهرة عن طريق التشكيك رواتها فى نحورهم وسيحفظها كما حفظ كتابه الكريم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

محاولة تشويه الشريعة الإسلامية :

أن التهم التى وجهت إلى نظام الحياة الاسلامية كثيرة وأنها حملات تشويهيه منظمة فلقد نقدوا كثيرا من أحكام الشريعة فى عباداتها ومعاملاتها فى المجالات المختلفة وكان النقـد حسب مقاييسهم هم وحسب فـكرتهم الدينية الخاصة بهم كنقد تعدد الزوجات الذى قال بعض كتابهم عنه أنه تعدد للازواج وإباحة الطلاق وتشريع القصاص والحدود التى اتهموها بالوحشية فى عصر المدنية.

وكذلك الطعن فى النظام الاقتصادى وربطه بالدين ومحاولة عزوه بنظمهم ومعاملاتهم الربوية والاستغلالية كما نقدوا حجاب المرأة كمظهر من مظاهر ظلمها وعدم مساواتها بالرجل وحملوا حملة شعواء على الرق المنافى

---

(١) المرجع نفسه ص ١١٥

الحرية والمساواة وكذلك نقدوا مشروعية الجهاد واتهموا سرعة انتشار الإسلام بانها كانت بسبب السيف والقهر لا بسبب صلاحيته.

كما اتهموا الشريعة بقصورها عن الوفاء بحاجات الحياة البشرية المتكاثرة المتطورة .

وكل هذه اتهامات باطلة مردودة .

لقد روج هذه السموم كثيرون من كتابهم فى القرون الثلاثة الأخيرة بالذات مثل باسكال ، ومالبرنش ومونتكيو وفولتير وريفان وكازانوفا ودير منجم .

وكان من أخطر المستشرقين ، الأب لامانس ، الذى ألف كتابا عن الإسلام كله مفتريات وهو يعد حجة عند المستشرقين فيما يكتبونه عن الدين الإسلامى وكذلك المؤرخون للسيرة التى حشوها بكثير من شبههم الضالة عن شخص الرسول وشريعته كما فعل وليام موير ودير منجهم وغيرها

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين وشاركهم فى اطلاقها بعض المسلمين .

الفصل الرابع

الاستعمار

ونعنى بالاستعمار : استعمار دول الغرب لدول الشرق أو للعالم الإسلامى بقصد الاستيلاء على خيراته وأهله وتوجيه كل ذلك لخدمة مصالح المستعمرين .

وليس الإستعمار حديث الميلاد — كما يتوهم بعض الناس وليس وليد رغبة دول الغرب فى القضاء على دولة الخلافة العثمانية منذ قرنين من الزمان أو يزيد كما يحلو لبعضهم ان يصوره — ليس هذا بصحيح ولا ذاك .

وإنما للاستعمار أبعاد وجذور امتدت فى ماضى الأمة الإسلامية ما يقرب من تسعة قرون من الزمان أى منذ الحملة الصليبية على العالم الإسلامى بقيادة بطرس الراهب سنة ٤٨٩هـ — ١٠٩٥م والتى كانت من مراحلها حملة لويس التاسع ٦٤٧هـ — ١٢٤٩م ، الذى وقع أسيرا فى دار ابن لقمان بمصر والتى ما تزال دول الغرب حريصة على شب نارها حتى الآن كما أوضح ذلك القائد البريطانى أدموند هنرى اللنبى الذى قاد الحملة البريطانية من مصر تغزو فلسطين سنة ١٩١٧م حيث استولى على بيت المقدس وقال كلمته المشهورة «الآن انتهت الحروب الصليبية» ، وقد كوفىء من دولته بمنحة رتبة «فيلد مارشال» ولقب فيسكونت ، فلا يبالغ حين نقول : أن الاستعمار امتداد للحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين وأن أهداف الحروب الصليبية قد أودعت فى ثقة وأمانة فى أيدى المستعمرين ليحققوا اغراضهم .

ولقد اعترف بذلك بعض الكتاب الأجانب فهذا رشتز يقول « جهد

الصليبيون طول قرنين لإستعادة الأرض المقـــدسة من أيدى المسلمين المتعصبين فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود فى العصور الوسطى ولـكن ذلك الجهد قد خاب وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عتيدة من التعصب الإسلامى)(١).

وهذا جاردنر « Gardner » يبدو أكثر صراحة من سابقه حيث يقول : لقـــد خاب الصليبيون فى انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العـالم الإسلامى . . والحروب الصليبية لم تكن لإنقـاذ هـذه المدينة (القـــدس) بقدر ما كانت لتدمير الإسلام »(٢) .

والإستعمار هو السند القوى للمبشرين والمستشرقين وبهذا التحالف كان خطر الغزو جسيما ذلك أن التسلط المـادى إذا أنضم إلى التســلط الفكرى كان التأثير شديداً والإستعمار لا يخشى من المسلمين كثرة عددهم بقدر ما يخشى أفكارهم المتسلطة عليهم فهو يستعين بكل من يضعف هذه الأفكار ويبطـــل أثرها أنه لا يخشى من العرب قوميتهم بقدر ما يخشى دينهم ذلك أن الإسلام لهرسالة يخشاها الغرب كل الخشية وهم لهذا يحاولون فصل الدين عن القومية العربية وقد وجدوا لهم أنصاراً من المسلمين يعملون ذلك ويدعون إليه .

يقول « ولفرد كانتويل سميث فى كتابه » الإسلام والتاريخ(٣) .

---

(١) عمر فروخ ومصطفى الخالدى التبشير والإستعمار فى البلاد العربية ص ١١٥

(٢) المرجع السابق ص ١١٥

(٣) الإسلام والتاريخ « والفرد كانتويل سميث ص ١٠٣

فالغربيون الداعون للدنيوية يودون لويرون المسلمين مرتدين عن دينهم ولن لم يكن ذلك فيودون لورأوهم يبعدون عن هذا الدين ويودعونه زاوية من حياتهم لايقربونها وأن يبنوا مجتمعاتهم كما يبغيها المتحررون ولكن ليس ثمة احتمال لأن يتنازل العالم الإسلامى عن صفته الإسلامية وإلا كان ذلك كارثة له وللدنيا بأمرها »(١) .

إن هدف الإستعمار هو تغيير الإيديولوجية الإسلامية كما قلنا .

وأخطر المستعمرين فى هذا المجال من لا يدينون بدين سماوى أنهم يحاولون زرع العلمانية المادية الملحدة فى نفوس الناس عامة وفى نفوس المسلمين بوجه خاص .

والعلمانية الحديثة بصرف النظر عن اشتقاقها وعن معناها الذى يختلف تفسيره من بلد إلى بلد هى امتداد لفكرة النهضة الأوروبية الحديثة التى ناصب فيها الدين العداء حيث كان المجتمع الأوربى يخضع لسلطة ذات ثلاث ركائز الكنيسة والملكية والنبلاء وكانت الكنيسة أوسعها نفوذاً وسيطرة ولما تقدمت العلوم زاد بعد الناس عن الدين و كان فصل الدين عن الدولة مظهر من مظاهر العلمانية الملحدة التى وجهت النقد المر لتعاليم الكنيسة بمضادتها ومسايرتها لحاجات العصر .

وقد ورد ذلك فى كتابات لوك ١٦٣٢ — ١٧٠٤ م) وليبنتز ١٦٤٦م) —١٧١٦ م) وروسو « ١٧١٢ — ١٧٧٨م وغيرهم وتطرفت العلمانية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بل والقرن العشرين فالغت الدين

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ نقلا عن عطية صقر ص ٢٥ الإسلام فى مراجهة التحديات .

كما يتضح ذلك فى كتاب فـــيرباخ ١٨٠٤ م – ١٨٧٢ م ولينين فى تطبيق المـاركسية ١٨٧٠ م – ١٩٢٤ م التى أنتهت بالغاء المسيحية كدين واستبدال البلشفية بها .

والمستعمرون فى هذه العلمانية متفاوتون فى تطبيقها وأخطر من طبقها الشيوعيون الذين لا يؤمنون بدين ولا يعـــترفون بالملكية الخاصة ويستعملون القوة فى نيل « البروليتاريا » حقهم من الأغنياء يقول « لينين » مؤسس الثورة البلشفية وفيلسوفها الأكبر فى مؤتمر الشباب الشيوعى الذى انعقد فى اكتوبر سنة ١٩٣٠ م « أننا معشر الشيوعين لا نستمد قوانين الأخلاق والسلوك الإجتماعى من أوامر الله لأننا نخرج على جميع الأخلاق والآداب التى تنفصـل عن المجتمع البشرى ونرى أنهـا خداع وتضليل ، أننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخطبوننا باسم الله إلا استغلالا] .

ولم يعمل الإستعمار الحديث ضد العالم الإسلامى منفرداً وإنما أعتمد على الإستشراق من جانب آخر وقام هو بجهوده الخاصة من جانب ثالث فكانت للإستعمار مؤتمراته وندواته وأجهزته ورجاله وأعوانه .

ولننظر الآن فى محتوى مؤتمر استعمارى ألمانى تحدث فيه وسجل عنه كاتب يسمى م ، ك اكسنفلد وهو صـاحب التقدير المختص بالإسلام فى هـذا المؤتمر وهو فى الوقت نفســه سـكرتير جمعيـــة التبشير فى برلين .

قال ذلك الكاتب عن المؤتمر الإستعمارى فى برلين : أن المؤتمر الإستعمارى أمتاز بميزتين :

الأولى : أنه بحث فى الشئون الصناعية والإقتصادية.

والثانية : اجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والإقتصادية إلى الأعمال الإخلاقية والدينيه فى سياسة الإستعمار الألمانى واستشهد بقول رئيس غرفة التجارة فى همبورج : أن نمو ثروة الإستعمار يتوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية وحض السامعين على تقدير عمل المبشرين وأحلاله فى محله اللائق به وبحث أعضاء المؤتمر الإستعمارى فى شـــئون تتعلق بالتبشير فكفوا المبشرين مؤونة الكلام عن أعمالهم ولم يشترك هؤلاء المبشرون فى المداولات إلا عندما أخذ المؤتمر يبحث فى اعمال فرعه الرابع — الخاص بالمسألة الإسلامية — فأفاض المبشرون وتوسعوا فى القول حتى خيل للجميع أن المؤتمر الإستعمارى تحول إلى مؤتمر تبشير[1] .

وتحدث بعده مبشر مستعمر آخر هو : بكر عضو مجلس المستعمرات فى همبورج فأوضح موقف الحكومة وسياستها وعلاقتها بالتبشير من المسألة الإسلامية فقال أن الحكومة لابد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية مادام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم من اعتقادنا بأن المدارس العلمانية تزيد الإسلام نموا وارتقاء وإذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مقاصدنا ومصالحنا فيجب علينا بداهة أن ندرك أهمية هذه المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها أيضاً[2] .

---

(١) أل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ص ١٣٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٦

ومن أهم قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى الألمانى ما يأتى :

١ — أن إرتقاء الإسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ولذلك فإن المؤتمر الاستعمارى ينصح للحكومة زيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة .

٢ — المؤتمر الاستعمارى — مع إعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما فى الشئون الدينية .

٣ — يشير المؤتمر — على الذين فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام وأن يزيلوا العراقيل من طريق إنتشار النصرانية وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير التى تبث مبادىء المدنية التهذيبية والطبية .

٤ — من رأى المؤتمر أن الخطر الإسلامى يدعوا إلى ضرورة إنتباه المسيحية الألمانية لإتخاذ التدابير — من غير تسويف — فى كل الأرجاء التى لم يصل إليها الإسلام بعد(١) .

وقد استطاع الإستعمار أن يخرب فى البلدان الإسلاميـــة ما وسعه التخريب ولجأ فى ذلك إلى حيل وأساليب عديدة .

فتدخل الإستعمار بنفوذه وسلطانه لحماية المبشرين وتبرير إفسادهم لعقائد الناس وكأنه بذلك يرد لهم اليد التى سلفت لهم عنده .

واستطاع الإستعمار أن يشجع كثيرين من المسلمين على إعتناق الدين المسيحى وعلى حمل الجنسية الأجنبيـة ورتبت على ذلك كثيراً من الإمتيازات وأعان الاستعمار الطوائف التبشيريه اليسوعيين والجزويت

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ ، ١٣٨

وغيرهما من الطوائف على أن يقوموا بما قاموا به من إفساد وتشويه — مهما غلفوا ذلك بأغلفة من المساعدات والخدمات .

واستطاع الاستعمار أن يصطنع الأسباب لإثارة الفتن والحروب والقلاقل فى البلدان الاسلامية وبخاصة البلاد التى يحس المستعمرون أن تجمع المسلمين فيها — يثير سخطهم مثل تركيا ومصر والمغرب العربى ومنطقة الشام فقضى الاستعمار بأساليبه الخبيثة على الاستقرار فى هذه الأماكن وجعلها بركانا يغلى .

واستطاع الاستعمار فى سبيل إضعاف المسلمين وحصرهم وحصارهم أن يقصيهم عن الشواطىء والثغور كما صرح بذلك (شعيابومان) مؤلف كتاب الجغرافية السياسية للعالم الاسلامى ،

واستطاع الاستعمار أن يقضى على معنويات المسلمين وأن يشعرهم بأنهم غـــرباء فى بلادهم بما منحه من إمتيازات للأجانب جعلتهم كأنهم أصحاب البلاد الأصليين .

واستطاع الاستعمار أن يقيم من الادارات السياسية فى داخل بلاد المسلمين ما يطبق عن طريقه سياسته الرامية إلى القضاء على كل نزعة إسلامية أو دعوة إلى توعية المسلمين أو حركة استقلالية .

واستطاع الاستعمار أن يصبغ حياة المسلمين بصبغة الحضارة الغربية فيحول كثيرا من المسلمين إلى أعوان وأتباع لهذه الحضارة وأهلها .

لقد استخدم الاستعمار كل الوسائل لتوجيه الضربات العنيفة للإسلام بالذات واستخدم فى سبيل ذلك وسائل شتى لتحقيق غرضه منها :

١ — توسيع التبادل الثقافى بين المسلمين وغيرهم من الدول الأجنبية وذلك بطرق منها :

(ا) تخصيص منح للطلاب .

(ب) إستقدام أساتذة وخبراء إلى المستعمرات .
(ح) تبادل الأفلام والفرق الفنية المختلفة .
(د) تشجيع الرحلات وبخاصة للشباب والشابات .
(ه) التوسع فى توزيع الكتب والصحف والمجلات بأسعار زهيدة .

٢ — إنشاء جمعيات بعناوين براقة وعمل مؤتمرات ومنظمات تحت أسماء خادعة وذلك لايجاد مجال لاحتكاك الأجانب بالمسلمين والنفوذ إلى أفكارهم بطرق خفية ومن الجمعيات المشبوهة : نادى الروترى والتسلح الخلقى وأصدقاء الشرق الأوسط واليونسكو العربية وقد بين المختصون صلة الروتارى بالصهيونية والماسونية وكذلك جمعيـــة التسلح الخلقى وهدفها تجريد الناس من أديانهم وتهيئة أذهانهم لقبول فكرة جديدة وهذه الفكرة وراءها يهود أمريكا بالذات ، فمؤسس الروتارى هو المحامى الأمريكى بول هاريس .

تاريخ نوادى الروتارى :

يرجع تاريخ هذه النوادى إلى سنة ١٩٠٥ م حيث أنشأ أحد الماسونيين المدعو بول هاريس أول نادى الروتارى وقد جاء أصل هذه التسمية من إستعمال عبارة Inrotation ومعناها بالتناوب فقد كان أعضاءها يعقدون إجتماعاتهم فى مكاتبهم الخاصة بالتناوب وقد أنشىء هذا النادى فى مدينة شيكاغو وظل هو الوحيد لمدة ثلاث سنوات إلى أن انضم إليه رجل يدعى « سيرلى برى » فعمل على إنتشار هذه النوادى فامتدت إلى مايقرب من ثمانين دولة وأصبح لها ما يقرب من (٦٨٠٠) ناديا يضم (٣٢٧٫٠٠٠) عضوا حتى عام ١٩٤٧ م .

وكان أول إمتداد لهذه النوادى خارج أمريكا فى إيرلندا حيث أنشىء نادى الروتارى فى (دبلن) سنة ١٩١١ م ثم تتابع بعد ذلك تأسيس فروع

لها فى مختلف مدن بريطانيا بسبب نشاط شخص يدعى (مورو) الذى كان يتقاضى من اليهود عمولة مالية على كل عضو جديد ينضم لهذه النوادى .

وقد إنتشرت هذه النوادى فى أكثر من (١٤٧) دولة حتى عام ١٩٦٨[١]

طبيعة نوادى الروتارى وأهدافها :

تقوم العضوية فى نوادى الروتارى على أساس الاختيار المحض فلا يمكن لأى شخص أن ينضم إلى هذه النوادى برغبته الخاصة ولكن القائمين على أمرها هم الذين يقومون باختيار نوعيات خاصة لابدان تتوافر فيهم شروط معينة منها :

١ — أن يكون العضو من علية القوم وأصحاب المراكز المرموقة أو من أصحاب الأموال والسلطان فلا مكان للفقراء بين هذه النوادى .

٢ — عدم الارتباط بالدين .

٣ — فقدان الولاء للوطن[٢] .

ويلاحظ أن هذا المنهج هو نفس المنهج الذى اتبعته الماسونية فى اختيار أعضائها وأما عن أهداف الروتارى ، فهى هى أهداف الماسونية حيث ترفع شعارات الحرية والاخاء والمساواة والتعاون وخدمة البيئة بينما تخفى الأهداف الحقيقة وهى خدمة المخططات اليهودية .

---

(١) حقيقة نوادى الروتارى وخطرها على الاسلام ص ١٢ نشر إتحاد طلاب جامعة المنصورة .

(٢) د . أحمد شلبى اليهودية ص ٣٤١

موقف نوادي الروتاري من الدين :

لاتهتم هذه النوادي بالاديان وتدعو دائماً إلى التحلل منها ولكنها قبل أن تفاجيء العضو بهذه الحقيقة تعلن أن كل الديانات الموجودة ديانات معترف بها وأنها لا تفرق بين الأديان السماوية ومن هنا تلقن أعضاءها قائمة بالأديان المعترف بها وإليك هذه القائمة حسب الترتيب الذي وضعته هذه النوادي : البوذية — المسيحية بكنائسها المختلفة — الكونفشيوسية — الهندوكية — اليهودية — المحمدية — .

ويلاحظ على هذا الترتيب عدة أمور منها :

١ — الخلط بين الأديان السماوية وبين المذاهب الفكرية والفلسفات الأنسانية فالكونفشيوسية فلسفة بشرية وليست دينا سماويا وكذلك البوذية والهندوكية مذاهب وثنية لا أديان سماوية ولكنهم يهدفون من ذلك إلى أسقاط تاج القداسة عن الأديان السماوية بخلطها بالمذاهب البشرية .

يلاحظ أيضا أنهم لا يعبرون عن الإسلام بأسمه ، وإنما يحاولون ربطه بشخص النبي ﷺ مع وضعه في قائمة الفلسفات البشرية التي تنسب لأصحابها حتى يوهموا الناس بأن الاسلام ليس دينا سماويا ويلاحظ أن هذا الأسم (المحمدية) هو الأسم الذي اتخذه المستشرقون للتهوين من شأن الاسلام[1].

٣ — ومن وسائل الاستعمار في الغزو الفكري تشجيع تأليف كتب وعمل أفلام دينية وتاريخية لتشويه محاسن الاسلام وتاريخه ونزع قدسيته من النفوس خصوصا عند تمثيل الرسول وأصحابه .

---

(١) أنظر ص ٢٤ من حقيقة نوادي الروتاري .

٤ — العناية بالغزو الحضاري والعمراني كمقدمة لاعجاب المسلمين بالفكر الغربي وزهدهم في دينهم وحضارتهم التي يجهلون منها الكثير .

٥ — بعث القوميات والعنصريات ومحاولة لفت الأنظار إلى الحضارات واللغات المحلية القديمة حتى يميل الناس إلى ماضيهم الأول .

ويقل أتصالهم بالاسلام الوافد عليهم ويزهدون في لغة الاسلام التي وحدتهم كأمة وهـــذه النزعة وسيلة التفرقة الذي يسعى إليه المستعمر « فرق تسد » يقول « أمري ريفر » في كتابه « قضية السلام إن الوحدة التي أحتفظ بها القرآن قرونا بين الشعوب الاسلامية المختلفه الأصول قد ذهبت وصار الشعب الاسلامي قوميات شتى فدعاة الجامعة التركية يرمون إلى توحيد فروع معينة من الجنس التركي ودعاة الجامعة العربية يشيرون باتحاد الشعوب العربية .

ويقول المسلمون في الهنـد : أننا هنود أولا ومسلمون بعد ذلك وقد نسى الجميع الصيغة العالميه التي كانت أساس الدين الاسلامي .

٦ — تشجيع النحل والمذاهب الهدامه كالبابيه والقاديانية والبهائية وتشجيع الطرق الصوفية ذات الأفكار المشبوهة والسلوك المتخاذل المتواكل وهذا يتيح الفرصة لتسلسل أفكار جديدة إلى الفكر الاسلامي الأول ويمكن لسلوكهم أن يتطور بعد الاقتناع بها .

٧ — تشجيع الثورات والحركات التحرريه التقدميـــه التي لا تعنى بالأديان كمنطلق لحركاتهم بل تعنى بتحسين الأوضاع الأقتصاديه بالذات واللحاق بركب المدنيه الغربية في نهضتها المادية .

وتشجيع هـــذه الحركات شوهد أخيرا وكان وسيلة لبث الأفكار

المسمومه وتكوين الأحزاب المضادة للفكرة الدينيه وقد صرح المستعمرون بأن الدين هو العقبه فى طريق الأزدهار ويوازنون فى ذلك بين تركيا العلمانية حيث تطورت وتقدمت وبين باكستان الحريصة على دينها حيث بقيت كما هى .

٨ — التركيز على مبدأ الحريه وتوسيع مفهومها ومجالات تطبيقها فى الفكر والتربيه والسلوك وفى ظل هذه الحريه يمكن أعلان الألحاد والتحلل من الآداب ورفض القيم الأدبيه المتوارثه فيعصى الولد والده وترفض الزوجة وصاية زوجها عليها وتخرج على الآداب الاجتماعية فتسفر وتصادق وتسهر .

كذلك تمجيد المساواة ومبادىء الثورة الفرنسية بعامه لتطالب المرأة بمساواتها للرجل فى الميراث والمناصب وسائر الحقوق وليطعن فى ولايه الرجل على المرأة فى الزواج وغير ذلك .

وبتمجيد الحريه والمساواة كانت الوجوديه المستهترة وكانت دور اللهو والعبث والمجون .

٩ — هدم كل مراكز القوى التى تناوىء مخطط الغزو الفكرى فوضعوا فى رأس القائمه السوداء كل الجامعات الدينيه فى العالم الاسلامى وكل معاهد التعليم القائم على أساس الدين وفرضوا عليها قيودا تحد من نشاطها وتحط من قدر من ينتسبون إليها والتقليل من أهميته ثم السماح أخيرا فى بعض البلاد التى كانت مستعمرة ومازال نفوذ الاستعمار متسلطا عليها بتدريس الأديان الأخرى لتلاميذ المدارس ونحن لاننسى فى هذا المقام قول « جلادستون » فى مجلس العموم البريطانى لن يقر لنا قرار بين المسلمين ما دام فيهم هذا الكتاب « القرآن » والأزهر » ولا شك أن ضرب هذه المراكز يفسح المجال لمدارس الغرب وأفكاره أن تغزو المجتمع الاسلامى وذلك بعامل قوة الدفع وضعف المقاومة .

رابعا : العملاء : إن الاستعمار على خبثه وقوته ودهائه فهو لا يشن هجوما علينا من الخارج ولا يواجهنا بالعداوة وجها لوجه بل جرت عادته فى كل مكان حل فيه أن يهاجمنا من داخل حصوننا ومن داخل بلادنا أنه يعمد إلى تربيه فئة من مواطنينا أو شراء ضمائرهم بالمال وهم من جلدتنا وممن يتكلمون بلغتنا أنهم العملاء الانتهازيون الوصوليون وهم قوة لا يستهان بها لوجودها فى داخل المجتمع وعلى مقربة من مراكز التأثير فيه وسلوكهم بوجه عام هو سلوك الجواسيس الخونة هؤلاء تشبعوا بفكر الأجنبي أو تظاهروا بالاقتناع به لحاجه فى نفوسهم وكثير منهم يملك مناصب تربويه وقيادة عالية وخطيرة ومنهم الرؤساء والقواد والاساتذة والمؤلفون والصحفيون والفنانون .

لقد احتضن العدو هؤلاء وولوهم مناصب كبيرة وأغدقوا عليهم الأموال والامتيازات الكثيرة المنظور منها وغير المنظور وقد سبق قول أحد أقطابهم :

أن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أصحابها لقد جعل العدو هؤلاء فى الواجهة والمقدمة ووقف هو يتفرج بل قد يظهر بمظهر البرىء مما ينسب إلى هؤلاء من تخريب والمتعاطف مع الشاكين من هذا النشاط وسيظهر أثر هؤلاء العملاء فى معرض الحديث عن الآثار الناجمه عن الغزو .

نمــــاذج

من العملاء الذين يهدفون إلى النيل من ديننا دون أن يكون معهم حجة مقنعة[1] يحاولون بكل الوسائل إثارة ركام الفكر الوثني القديم الذي يوقظ افتراءات المجوس والباطنية والفلسفات الوثنية والدعوات المتحللة، ويعرضون لفلسفات — الماركسية والوجودية والوضعية — دون بيان باطلها ويعملون على إبراز الحضارة الغربية على حساب الحضارة الإسلامية.

يذكر د. زكى نجيب بأن وسيلة المعرفة هى العقل ودونه يكون الدين والخرافات وتوضيح ذلك أن المؤلف ذكر فى صفحة ١٤ من كتاب الفلسفة تحت عنوان نشأة الفلسفة. بأن الفلسفة نشأة فى بلاد اليونان قبل غيرها وعلل ذلك بأن اليونانيين كانوا يستخدمون العقل كوسيلة للمعرفة فى حين كانت بلاد الشرق تستخدم الخرافات والدين بدلا من استخدام العقل.

وواضح أنه يزيف الحقيقة والتاريخ فى عبارته لأنه افترى على الدين حيث وضعه مع الخرافات وحرره من العقل ولا أدرى ماذا يقصد من الدين هل الدين الموحى به من السماء أم دين الكنيسة الذى يخضع للارهاب الفكرى والإسلام منه براء ودعواه بأن الفلسفة نشأت فى بلاد اليونان عار عن الصحة والواقع لأن الفلسفة فى الشرق كانت أسبق ولقد استفاد أعلام الفلسفة اليونانية من تراث الشرق فأفلاطون تتلمذ على أيدى المصريين؟.

---

(١) د. زكى نجيب محمود وآخرين فى مؤلفه الفلسفة والمنطق اللذان يدرسان لطلاب الثانوية.

الاتجاه العلمى أو العقـلانية فى الإسلام أمر واضح وثابت ، ومن الممكن تفنيد ماذكره الدكتور زكى نجيب بشأن الدين وزعمه له بأنه مع الخرافات فنقول بأن الخاصة المميزة للاسلام عما سواه بأنه دين العقل ، وقد اعترف بذلك كل منصف ممن أطلع على شىء من تعاليم الإسلام الأصيله فى مصادرها النقية ولو من غير المسلمين بل من بعض ممن اتخذوا موقفا ضد الإسلام فهذا الكاتب الماركسى مسكيم رودنسون يقول فى حديثه عن العقيدة القرآنية[1].

القرآن كتاب مقدس تحتل فيه العقلانية مكانا جد كبير فالله لاينفك فيه يناقش ويقيم البراهين بل إن أكثر مايلفت النظر هو أن الوحى نفسه — هذه الظاهرة الأقل اتساما بالعقلانية فى أى دين الوحى الذى أنزله الله على مختلف الرسل عبر العصور وعلى خاتمهم محمد يعتبره القرآن هو نفسه أداه للبرهان فهو فى مناسبات عديدة يكرر لنا أن الرسل قد جاءوا بالبينات ، وهو لايألو يتحدى معارضيه أن يأتوا بمثله .

والقرآن ماينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتوالد الحيوان ودوران الكواكب والافلاك وتنوع خيرات الحياة الحيوانية والنباتية تنوعا رائع التطابق مع حاجات البشر آيات لأولى الألباب[2].

ويستمر الكاتب فى بيان عقلانية الإسلام مقارنا هذه بما جاء فى العهدين القديم والجديد لليهود والمسيحيين إلى أن يقول فى مقابلة هذا

---

(١) ص ١٣٤ — ١٣٥ من كتاب الإسلام والرأسمالية ترجمة نزيه الحكيم — نشر دار الطليعة العامة .

(٢) سورة آل عمران ١٨٠

تبدو العقلانية القرآنية صلبة كأنها الصخر](١) . ويقول المؤرخ جوستاف لوبون : [إن العرب هم الذين علموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين](١) .

الدكتور زكى يبشر بظهور أفكار بديلة عن الإسلام :

يبرز الدكتور زكى العقائد الفاسدة من أول مؤلفه حتى آخره مادحا لها ويزينها للعقول دون أن يذكر لها سيئة واحدة ومما ذكره فى صـ ١٠٨ من كتابه قوله : إن وظيفة العقل فى الفلسفة البراجماتية هى البحث عن حل لمشكلات الحياة اليومية وليس الانشغال بالمشكلات النظرية الميتافيزيقية (أى يقصد الغيبية) وهكذا يجعل الإنسان لا هم له إلا البحث عن مأكله ومشربه شأنه فى ذلك شأن العجماوات . أما أمور الدين ومصير الإنسان وأمور البعث والحشر والغيبيات فإنها فى رأى الدكتور أمور خرافية فى حين أن الإسلام يرتفع بغاياتنا العملية المحسوسة إلى طلب الآخرة ومرضاة الله تعالى ذلك العون الذى يستمده المسلم من ربه ليكون خير زاد ليعينه على أمور دنياه وأخراه فما الذى منع الدكتور زكى من إبراز كل عقيدة فاسدة إنهم عملاء ماوظيفتهم إنهم أدوات لمحاربة الدين وإن كانوا يتسترون وراء عبارات وشعارات براقة زائفة مثل قولهم بأنهم رسل التجديد والابتكار والتقدمية إلخ . وقد وصفهم المرحوم الدكتور محمد البهى بقوله : هناك تيارات فكرية تستتر وراء عناوين خادعة وهى فى جـــوهرها محاولات عنيفة لفصل المسلمين عن دينهم ووضعهم فى مجال التبعية لغيرهم وإذ يحسن كل تيار منها إتجاهه الخاص به فى نظر الشباب المسلم يحاول فى الوقت نفسه أن يشوه رسالة الإسلام أو يصفها على الأقل بأن دورها للبشرية قد انتهت ولم تعد صالحة اليوم لحل .

---

(١) نقلا عن د/ يوسف القرضاوى الإسلام والعلمانية ص ٦٩ .

مشاكل المجتمعات الإنسانية . وهذه الاتجاهات المغربية التى تنادى بتجديد الفكر الإسلامى تسير فى طريق خدمة الاستعمار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ولكن من غير قصد مباشرة حيث تدعو إلى الفكر الالحادى المادى المتمثل فى التيار الوضعى أو الماركسى فى مواجهة الإسلام وتعمل على فصل الدين عن الدولة والاستعاضة بالنظام الغربى عن الشريعة الاسلامية وتقلل من شأن الروحية الدينية أو تستخف بها وهذا هو مايسمى بالاتجاه المادى العلمى الذى يقوم أساساً على الغاء الاعتقاد فيما وراء الوجود المشاهد واعتبار الايمان بالله والدين القائم على هذا الايمان ضرباً من العبث أو الخداع [١] .

ومن الأمثلة التى استشهد بها الدكتور محمد البهى ماورد فى كتاب . خرافة الميتافيزيقا) والذى حاول فيه مؤلفه زكى نجيب أن ينال من فكرة الألوهية ماسنفصله فى ما يأتى .

المؤلف يتهجم على لفظ الجلالة « الله » ويسخر من المؤمنين بالغيبيات .

فرض المؤلف على طلاب الآداب دراسة كتابه « خرافة الميتافيزيقا » رغم مافيه من السخرية بالعقيدة والدين وقد قام استاذنا الدكتور محمد البهى بنقده بقوله . « فى بعض كليات الآداب يدرس كتاب » خرافة المتيافيزيقا وهو كتاب منقول من الفكر الأوربى المادى ويهدف إلى بيان أن العبارات الميتافيزيقية — أى التى تخبرنا عن أشياء غير محسنة عبارات فارغة من المعنى يقصد عالم الغيب — دون أن يستثنى من ذلك الدين أو يراعى قدسيته ودون أن يصرف اسم الله جل جلاله فيبعد به عن هذا النقاش [٢] .

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهى ص ٥

(٢) كتاب الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى ص ٢٤٠ عن خرافة الميتافيزيقا للدكتور زكى نجيب محمود ص ١١

وينقل الدكتور محمد البهى عن كتاب خرافة الميتافيزيقا أقوالا للدكتور زكى نجيب فيها الكثير من الايهام والتعمية مثل قوله : (إن الميتافيزيقى يصف الكائنات غير المحسة والتى يزعم وجودها بصفات معينة فإذا طلبت إليه أن يدلك على الخبرة الحسية التى من شأنها أن تطلعك على الكائنات حتى ترى بنفسك إن كانت حقا موصوفة بالصفات التى زعمها أو لم تكن أجابك بأنها ليست مما يحس وإذن هو موقف عجيب . . وكلام الميتافيزيقى فارغ لا يحمل معنى والميتافيزيقى رجل متحكم لا يدلنا بالخبرة الحسية عن موجوداته التى يدعيها وسلوكه فى المعرفة يخالف عرف الناس لأنه لا يبتدىء فيها بشهادة الحواس)[1] .

ثم يستطرد زكى نجيب فيقول : (إذا كانت العبارات الميتافيزيقية رموزا فارغة خالية من الدلالة والمعنى وأنها كلام لا ينفع السامع شيئاً لأنها لا تدل على شىء فكيف وقع هذا الوهم العجيب ؟ وكيف نمت تلك الأسطورة الكبرى ؟) .

ويرد زكى نجيب على نفسه (نشأت الميتافيزيقا من غلطة أساسية . ، وهى الظن بأنه مادامت هناك كلمة فى اللغة فلابد أن لها مدلولا ومعنى وكثرة تداولها فى اللغة ووجودها فى القواميس يزيد الناس إيمانا بأنها يستحيل أن تكون مجرد ترقيم أو مجرد صوت بغير دلالة لكن التحليل يبين لك أن مئات الألفاظ المتداولة والمسجلة فى القواميس هى ألفاظ زائفة أو هى أشباه ألفاظ وما أشبه الأمر هنا بظرف يتداوله الناس فى الأسواق مدة طويلة على أنه يحتوى على ورقة من ذوات الجنيه حتى يكتسب الظرف قيمة الجنيه فى المعاملات وبعدئذ يجىء متشكك ويفض الظرف ليستوف

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤١

من مكنونة ومحتواه وإذا هو فارغ وكان ينبغى أن يبطل البيع به والشراء لو تنبه الناس إلى زيفه من أول الأمر[١] .

ويتساءل الدكتور محمد البهى قائلا « ترى أى كلمة تلك التى تتداول فى كثرة وهى أشبه بالظرف الذى يحتوى على ورقة من ذوات الجنيه ؟) يقول د. البهى (من السهل تحديد هذه الكلمة المتداولة فى كثرة والتى ظن الناس منذ مدة طويلة أن لها قيمة كبيرة وهى زيف لا قيمة له فى التعامل لو تنبه الناس إلى ذلك إنها « الله » ، وهكذا يكون لفظ الجلالة « الله » عنده فارغا لا مدلول له وأنه خرافة[٢] ! !

الوضعية تتشابه مع الوثنية :

فكفار مكة خدعتهم حواسهم فاعتقدوا أن أصنامهم (أى الأحجار المحسة) لها تأثير إيجابى أو سلبى فى حياتهم وأنها آلهة تعبد وطاوع عقلهم ما إنخدع به الحس فكان العقل هو أيضاً ظنا وهوى لا علما وحقيقة واقعة والإنسان قد يدفعه طغيانه إلى إنكار عقله وإنكار خالقه وأصل وجوده مع الإيمان فقط بما يتصل بشهوة بطنه وفرجه وغيرها مما يحس وذلك هو الإنسان صاحب الفلسفه الحسية فن عقله يحدد خصائص الوجود ومن عقله أو نفسه أو حسه يلون العالم الذى يعيش فيه .

فحسن الظن بالحواس أو الثقة فى العقل قد تحملنا على أن نخدع بأحداها أو بكليهما وهو نفس الأساس الذى قامت عليه الفلسفة الوضعية حيث

---

(١) المرجع السابق ص٢٤٢ عن كتاب خرافة الميتافيزيقا د. زكى نجيب ص ١٠٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٣ .

تجعل الطبيعة أو الحس هما مصدر المعرفة والحقيقة وبناء على ذلك فهم يرون أن الدين والوحى الذى من عند الله خداع وباطل كما يعتبرون أن المثل العقلية هى أيضاً وهم لأنها لم تستلهم من الطبيعة المحسة(١) .

ومع تقدير الإسلام للعقل الإنسانى إلا أن لهذا العقل دوراً محدوداً فكما أن العين لا ترى إلا إذا ظهر النـــور فكذلك العقل لا يهتدى إلا بالرسالة وخطأ الفكر الفلسفى أنه يلجأ إلى العقل فى مسائل العلم الإلهى ولا يلجأ إلى الوحى أى يضع العقل فى موضع الأصل والعكس هو الصحيح فما دام الإنسان مخلوقاً مربوباً مصنوعاً فإنه ينبغى الرجوع إلى خالقه وفاطره وصانعه طالبا العلم والعمل لأن هـــذا هو الترتيب الموافق للحقيقة(٢) .

حقيقة مذهب زكى نجيب من خلال أقوال كبار المتخصصين :

يقول الدكتور محمد البهى (أن كتاب خرافة الميتافيزيقا) للدكتور زكى نجيب يقصد به التعمية وهو فى الواقع يهدف إلى إنكار الدين والحقائق الإيمانية(٣) .

ويقول د. محمد عبد الهادى أبو ريدة « إن الوضعية المنطقية تعد محاولة جديدة لهدم الفلسفية المثالية وهدم الميتافيزيقا بقصد غير صريح وهو محاربة الإيمان بوجود الله وكل ما يتجاوز عالم الحس ويجـزم أبو ريدة بأن

(١) المرجع السابق ص ٦٢٦ - ٦٢٧

(٢) الإسلام والمذاهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص ١٨٤ ط دار الدعوة بالاسكندرية ١٩٨٥ م

(٣) الفكر المادى الحديث د. محمد عثمان ص ٤٧١

إستخدام التحليل المنطقى على يد الوضعيين المناطقة يؤدى إلى زعزعة الإيمان وإن موقفهم هذا فاسد إلى حد السخف وأنهم يضيقون نطاق المعرفة إلى أقصى حد)[١] .

يقول : د. محمد ثابت الفندى ، الوضعية المنطقية مدرسة مريضة حقودة لأن تحليلهم يستند إلى التجربة الحسية وحدها ولا يستند إلى كل قوى الإنسان العارفة كالعقل والذوق والحدس والضمير والروح كما يرى أن تمسك الوضعية بالجانب الحسى وحده من الحياة إنما يهدف إلى استبعاد الفلسفة التى تؤكد وجود الله سبحانه وخلود النفس وحرية الإرادة وحدوث العالم وغيرها من القيم التى من أجلها عاش الإنسان وجاهد وإنتهى إلى إعتبار الوضعية مرضاً لغوياً فى العقل[٢] .

ويقول د. ماجد فخرى : وإن فئة من الجامعيين زعمت أن الدين خرافة وقد استند البعض منها فى ذلك على الوضعية المنطقية وذلك لأن زكى نجيب كان قد عالج فى كتابه (خرافة الميتافيزيقا) المسائل الغيبية على أسس قد يلزم عنها إنكار وجود الله[٣] .

وينقد الدكتور محمود أمين العالم الوضعية المنطقية بقوله : أن زكى نجيب هو الصوت الوحيد الذى يعبر عن الفلسفة الوضعية فى شرق العربى[٤] :

---

(١) مبادىء الفلسفة والأخلاق د. محمد أبو ريدة ص ١٧٧ — ١٧٨

(٢) الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر ص ١٩١ د. أحمد ماضى

(٣) مبادىء الفلسفة والأخلاق د. محمد أبو ريده ص ١٩٤

(٤) نقد العقل الوضعى (دراسة فى الأزمة المنهجية لفكر زكى نجيب تأليف عاطف أحمد ص ١٨

الدكتور زكى نجيب اعترف بخطئه ولكنه عاد فانتكس يقول د. كمال عبد اللطيف فى مقاله « التبعية العمياء » : ان الفلسفة الوضعية كما نقلها وبشر بها زكى نجيب تشكل نموذجا للتيار الفلسفى التابع حيث كان وفيا لها ولم يكن وفيا لمتطلبات مجتمعه لأن هذه الفلسفة لم تقدم حلا نظريا لمشاكل هذا المجتمع بقدر ما عبرت عن شغف صاحبها بتراث الغرب ولذلك انعدم تأثير هذه الفلسفة فى الفكر والواقع مما جعل صاحبها يزعم انه تراجع عن مبادئه فى نغمة صحفية حزينة فى كتابه « تجديد الفكر العربى ص٥ ، ٦ ط دار الشروق سنة ١٩٧١م حيث يقول : (لم تمكن قد اتيحت لكاتب هذه الصفحات فرصة طويلة تمكنه من مطالعة صحائف تراثنا العربى على مهل لأن الفكر الأوربى كان دراسته وهو طالب والفكر الأوربى كان تدريسه وهو استاذ ثم أخذته فى اعوامه الأخيرة صحوة قلقة استيقظ بعد ان فات أوانه أو أوشك فطفق يزدرد تراث آبائه) (١) .

ويعترف زكى نجيب نفسه فى كتابه الفلسفة وفن ، ص ٢٤٨ بأنه النصير الوحيد فى الوطن العربى للمنطقية الوضعيه وانه يكاد يكون فى الميدان وحيدا يتكلم لغير سامع ويكتب لغير قارىء(٢) .

أدلة انتكاسه :

بعد أن سلم د. زكى نجيب بسيطرة الفكر الأوربى عليه وانه النصير الوحيد الفلسفة الوضعية الملحدة فى بلدنا وبعدان اظهر ندمه وتوبته عن ذلك واكد عزمه على تصحيح موقفه بالنسبة الى تراث الآباء نجده بعده

(١) الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر ص ٢١١ د. كمال عبد اللطيف جامعة الرباط كلية الآداب

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٢

ذلك كله يعود الى سابق حاله من السخرية والتهكم على كل ماله صلة بدين الإسلام وتراثة ودليل ذلك ما يلى :

١ — كتاب الفلسفة والمنطق للشهادة الثانوية اللذين نحن بصددها الآن.

٢ — قوله فى مجلة « آخر ساعة » ان من أسباب انتشار الزى الإسلامى للمرأة أخيرا هو رغبتها فى توفير أجرة « الكوافير » ، فانظر كيف أرجع أسباب الصحوة الإسلامية إلى علل مادية تتفق مع مذهبه الحسى(١) .

٣ — هجومه ثانية على حجاب المرأة المسلمة فى جريدة الأهالى ٢٥/٦/١٩٨٦م حيث قال : ان ظاهرة الحجاب دليل على اننا نمر بحالة مزريه من التخلف وانه لا يعقل ان تنهض المرأة المصرية فى الجيلين الماضيين ثم تأتى اليوم وتتخلف مرة أخرى بوضعها تلك العمامة على رأسها) .

٤ — سخريته من المرأة المسلمة المحجبة فى اهرام ٩/٤/ ١٩٨٤م حيث قال : (ان المرأة المصرية فى الاعوام الخمسين التى امتدت من أول هذا القرن حطمت قيود الحريم واستردت كرامتها المفقودة وانسانيتها الضائعة أما اليوم فقد ضحك عليها من ضحك وخدعها من خدع وكانت مأساتها ان جازت عليها الحيلة فصدقت ان دنياها ليست هى دنيا الناس من علم وعمل وفن وادب وفكر ورأى) .

ويرد عليه الدكتور / حلمى القاعد فى جريدة الشعب ١٢ /٦/١٩٨٤م قائلا ان هذا الكلام فيه من الضلال والاضلال الكثير لأن المرأة المسلمة المحجبة تشارك فى الحياة العامة العلمية بخطوات واثقة ونشيطة فى اطار ما يريده الإسلام من المرأة فهل ارتدت المرأة المسلمه الى عصر الحريم كما يسميه د. زكى نجيب) ثم يقول : ونود أن نسأل د. زكى نجيب : من

---

(١) الغزو الفكرى فى المناهج الدراسية ص ٢٢ على ابن

الذى ضحك على المرأة المصرية لتستعيد هويتها الإسلاميه؟ ولم لم يتحدث بشجاعة عن هؤلاء الذين ضحكوا عليها إن كان يحترم الخلق العلمى ؟ .

وتستمر سخريه د . زكى من حجاب المرأى المسلمة فيقول :(المرأة اليوم تتبرع سلفا بحجاب نفسها قبل ان يأمرها بالحجاب والد أو زوج) .

ثم يدعى زكى بان حجاب الوجه هذا يتحول الى حجاب للفكر ايضا ويدعى أيضا بان الحجاب يحول المرأة الى سلعة من عهود الحريم تباع وتشترى .

٥ — امتداحه ما فعلته هدى شعراوى باهرام ٧/٥/٨٤ حيث يقول : (انها عقب ثورة ١٩١٩م ألقت ببرقعها فى البحر ايذانا بدخول المرأة المصرية عصر النور) وهو بذلك يسخر من الحجاب باعتباره قطعة قماش ترمز الى معنى تحتمه الشريعة الإسلامية .

ومهما يكن من أمر فان د. زكى نجيب رغم طعناته الجارحة قد أحسن الينا من حيث لا يدرى فقد حرك الافئدة والعقول للدفاع عن الحمى المستباح الذى هو الدين الإسلامى[1] .

٦ — زرايته بفكر الأمة — سلفه وخلفه — حيث زعم فى اهرام ١٣ / ١/ ١٩٨٧م بان الحملة الفرنسية على مصر قسمتنا فكريا الى فريقين . فريق السلف : ومثل لهم بمن يقول بانه من « أهل الخطوة » وانه بامكانه ان يكون هنا وهناك فى وقت واحد وفريق آخر : أقبل على كل جديد

---

(١) من مقال حلمى القاعون بجريدة الشعب ١٣/٦/١٩٨٤م

اتت به الحملة الفرنسية ولكن يعيبهم انهم كالفريق الأول فى اعتمادهم على الحفظ والتكرار دون ابداع أو تجديد .

وهو بهذا التقسيم يشوه تراث الأمة الذى اعترف بقيمته من قبل كما يشوه نهضتها الحاضرة فى شتى المجالات والتى جاءت من منطلق العقيدة، لا من منطلق التقليد الاعمى لحضارة الغرب[1] .

---

(١) الغزو الفكرى فى المناهج الدراسية على لبن ص٢٣

الفصل الخامس

النظريات والمبادىء المعادية للاسلام

أعنى بهذه النظريات والمبادىء ما أصبح شغل الناس اليوم وموضع جدلهم وخصامهم مما يسمونه الديموقراطية والرأسمالية والشيوعيـــة والاشتراكية وما يتفرع عن ذلك من نظم وما كان كالأصل لهذه المبادىء من فلسفات .

فهذه المبادىء والنظريات التى ذكرت تعادى الإسلام بما تشتمل عليه من نظم لا يعترف بها الإسلام وبما يرتكز عليه من أسس يحرمها لما تجلبه للناس من مضرة ولما تحرمهم به من منفعة .

فاغلب ما فى هذه النظريات والمبادىء من نظم يستهدف تحقيق مصلحة فريق من الناس على حساب فريق ولا يقيم وزنا للقيم الخلقية ولا للآداب التى يجب أن يتحلى بها الإنسان الراشد المستنير وكل ما يؤدى إلى ذلك فهو فى الإسلام محرم وخبيث .

فلا النظام الرأسمالى أو الحر — كما يقولون — وما يعيش فى ظله من ديموقراطيات ولا النظام الشيوعى أو الاشتراكى وما يعايشه من حتميات وصراعات ولا الفلسفات القائمة على أساس المبالغة فى تقدير قيمة الإنسان وتفضيله على الدولة ولا نظيرتها التى تبالغ فى سحق الإنسان واهـــدار حقوقه باسم الدولة لا هذه الأنظمة ولا تلك يمكن أن تتفق مع الإسلام ومنهجه العادل الحكيم فى تحقيق مصلحة الناس أجمعين وغرس الفضائل والآداب فى نفوسهم ووضع الإنسان والدولة كل منهما فى حجمه الصحيح

ووضعه السليم ومن هنا يكون العداء والصراع بين هذه النظم والنظريات وبين الإسلام .

وليس لهذه النظريات والمبادىء من هدف أكبر ولا أجل أن تجد لها من الأعوان والأنصار من يطبقونها على أبناء الأمة الإسلامية فيباعد بها بين المسلمين ودينهم ويقارب بها بينهم وبين النظريات والمبادىء المعادية لهم وهم بذلك يحققون كسبا فى اتجاهين خطيرين :

الأول : إقصاء المسلمين عن دينهم ومنهجه ونظامه .

والثانى : تحويل ولاء المسلمين عن دينهم إلى تلك النظريات والأنظمة والمبادىء .

ولقد كان — وما يزال — الهدف الأول من هذين الاتجاهين هو شغل أعدائنا الشاغل لأنه بالضرورة يؤدى إلى الوصول إلى تحقيق الهدف الثانى لذلك يبالغون فى أغراق العالم الإسلامى فى خضم هائل من النظريات والمبادىء والنظم والقوانين الوضعية .

(ا) الديموقراطية :

فى ظل النظام الديموقراطى الذى يتغنى به كثير من الناس عارفين وغير عارفين والذى يراه بعضهم أمل الإنسانية المنشود وفردوسها الأرضى — كما يقولون — فى ظل هذا النظام ومع تطبيق مبادئه وقوانينه ينظر المسلم الواعى الفاهم لدينه ومنهج هذا الدين فى الحياة فيجد فى الديموقراطية عيوبا صارخة تعود بالضر على الفرد حينا وعلى المجتمع حينا آخر وهى عيوب نعد منها — فى مجال هذا البحث — ولا نعددها فمن ذلك افتراض الديموقراطيين أن الجماهير هى مصدر السلطات وان الشعب له السلطة الكلية والسيادة المطلقة هذا الافتراض عاجز قصير النظر سقيم الإدراك لا يعدوا أن يكون

خداعا للجماهير وتمويها على الشعوب فادام الإنسان فى ذاته — بحكم خلقته وفطرته — غير مستقل بأمره كله فى هذه الحياة التى يحياها بل يستحيل عليه بحكم سنن الكون ونواميسه أن يستقل بكل أمره فكيف بمجموعة متألفة من هؤلاء الأفراد يمكن أن تكون أهلا للسلطة الكاملة والسيادة المطلقة .

ومن أجل هذا التناقض فان الديمقراطية بعد تطبيقها وتهليل الغافلين لها تنتج واحدا من شكلين اثنين لحكم هذه الجماهير كلاهما أسوأ من أخيه فاما أن يؤدى نظامها إلى تركيز السلطة فى أيدى قلة من الواعين المدركين أهل الرأى والقدرة فتصبح الدولة حينئذ دولة هؤلاء الممتازين وحدهم واما أن تتركز السلطة فى أيدى أصحاب رؤس الأموال وكلا الأمرين أضر بالانسان من الثانى .

والحصيلة فى كل الأمرين أن الجماهير ليست مصدر السلطات وان الشعوب ليس لها السلطة الكاملة ولا السيادة المطلقة وانما السلطات أو السيادة فى أيدى هذه القلة كما هو مشاهد فى كل الدول التى تطبق النظام الديموقراطى .

وكيف يقبل الإسلام أن تقوم حياة الناس على أن تستغل طبقة منهم سائر الطبقات ، وكيف يقبل الاسلام أن يميز بين الناس ويفاضل بغير التقوى والعمل الصالح .

ومهما حاول الديموقراطيون أن يصوغوا نظما وان يسنوا من قوانينهم الوضعية ما ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم فانها محاولات جديرة بالفشل والتخبط لأنها تقيم أسسها على أرض غير صالحة وتبنى مبادئها على افتراضات غير صحيحة .

أما الاسلام فان قوانينه ونظمه ومنهجه كله من صنع الله سبحانه رب

الناس العالم بما يصلحهم وهى قوانين ونظم لا تفترض فى الانسان أنه هين الشأن ولا تخدعه بأنه صاحب الاستقلال التام بحياته وصاحب السلطة الكاملة والسيادة المطلقة إذ يصرح الاسلام فى هذا المجال بأن الأمر كله لله والسلطة كلها له ومنه يستمد الانسان السلطة والأمر وفق الشرع الذى أوحاه إلى رسوله ووفق القوانين التى فصلها من لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه فالانسان مقيد بهذا الشرع وفى هذا التقيد به كل خير له فى دنياه وآخرته والديموقراطية تقع فى تناقض حاد حين تدعى أنها بنظمها تحقق مصالح الجماهير كلها فما دامت هذه المصالح متضاربة بين فئة وأخرى من فئات هذه الجماهير فهذا هو التضارب الذى تعجز عن حله فلو تجاهلت هذه المصالح المتضاربة فقد تجاهلت مصالح الجميع ولو عنيت بمصالح بعض الناس دون بعض فذلك ظلم اجتماعى ليس له ما يبرره وهو الذى سيؤدى إلى الطبقية والامتيازات كما هو مشاهد الآن .

والديمقراطيون يخدعون أنفسهم ويخدعون الناس عندما يتصورون أن مجالسهم النيابية التى تنتخب لتمثيل طبقات الشعب تعبر فعلا عن مصالح الشعب .

فهؤلاء المنتخبون سياسيون محترفون كل همهم أن يحققوا مصالحهم الشخصية ومصالح ذويهم وطبقاتهم دون بقية المصالح والبارع من هؤلاء السياسيين هو من يخدع هذه الجماهير عن نفسها ويخدرها باعلان البرامج والوعود ولنا على ذلك ألف شاهد فى عالمنا المعاصر .

(ب) الشيوعية والاشتراكية .

كذلك الشأن فى النظريات والمبادىء الشيوعية أو الاشتراكية فهذه النظريات وإن كان أصحابها أكثر كلاماً وضجيجاً وإعلاناً وأكثر قدرة على انتقاء الكلمات الفخمة والعبارات الطنانة الرنانة إلا أنها تقوم فى الواقع على خدمة طبقة بعينها مهما تشدقت بكلمات الشعوب والجماهير والمكاسب والتقدميات والطلائع .

وإذا قرأنا الأفكار الشيوعية وجدنا هذا المذهب يقوم على ثلاث دعائم :

الدعامة الأولى :

تتعلق هذه الدعامة بالأفكار العقائدية حيث تنكر الشيوعية الأديان وتنظر إليها كمخدر يستغله الحكام لأحكام سيطرتهم على الطبقات الشعبية

فيقول كارل ماركس « الدين أفيون الشعوب ، والدين وعى مزور عن العالم فالإنسان هو الذى يصنع الدين لا الدين يصنع الإنسان كما أن العجز والجهل هما المصدر المزدوج للأخلاق والدين فالدين لايتبعه إلا ضعاف العقل[١]

كما أن الشيوعية تسخر من أولئك الذين يعتقدون بوجود إله فهى لاتؤمن إلا بالمحسوس أما فكرة الإله الذى لا يرى ولا يحس ففكرة خرافية يقول كارل ماركس : لا إله والكون مادة وأما لينين فيقول : ليس

---

(١) الإسلام أقوى جهاد قلعجى ص ١٠١

صحيحاً أن الله هو الذى ينظم الأكوان إنما الصحيح أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه .

ويقول ستالين : « إن فكرة الله خرافة وإن الالحاد مذهبنا »(١)

والشيوعيون لاينكرون وجود الله فقط وإنما ينكرون كل ماليس بمحسوس وينكرون الملائكة والجن والبعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار .

ينكرون كل هذا لأن حقيقة العالم تنحصر فى ماديته ، والعقل ماهو إلا مادة تعكس الظواهر الخارجية ، والروح ليست جوهراً مستقلا وإنما هى من نتاج المادة .

ونحن المسلمين نرى أن هذه الأفكار هراء لا تقوم على عقل أو منطق لما يأتى :

(أ) لو أنكرنا وجود الله والملائكة والبعث والحساب والجنة والنار إلخ لمجرد أنها أشياء غير مادية وغير محسوسة لكان معنى هذا انكار الكهرباء لأنها غير محسوسة والذى يحس فقط إنما هو أثرها .

٢ — وهل يمكن للحواس الخمس أن تدرك وتعرف الأحاسيس الداخلية للإنسان ومشاعره الباطنية ؟ إن شعور الإنسان بالحزن والفرح بالشقاء والسعادة أمر لايدرك بالحواس الخمس وإنما يدرك بشىء آخر هذا الشىء الاخر هو الذى به ندرك وجود الله بجانب الحواس الخمس التى بها نعرف الله بآثاره .

٣ — الحواس ليست بالمقياس الدقيق لتفسير وتقييم الاثار الخارجية

---

(١) الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ٣٠

كمقياس الحرارة — الترمومتر — المادى فهذه الحواس ترينا القمر بحجم الرغيف كما ترينا التقاء السماء بالأرض أو بالبحر عند خط الأفق(١)

وإذا كانت الحواس ليست بالمقياس الدقيق إذن فهناك مقياس آخر غير الحواس هو الذى به أدركنا وجود الله .

وهل نعتبر عدم رؤية الكفيف للشمس دليلا على عدم وجودها ؟إن بعض الناس لا يؤمنون بالله لمجرد أنهم لا يستطيعون رؤيته ونسوا بأن عجزهم هذا ليس دليلا على عدم وجوده إذا علمنا أنهم يؤمنون تماماً بالالكترون فنحن فى الوقت الحاضر نؤمن بكيانات لا نعرفها إلا بآثارها كوجود بعض الجزئيات مثل الالكترونات والبروتونات فهذه الجزئيات لا يمكن ملاحظاتها(٢)

ولقد ناقش سيدنا إبراهيم تلك الجماعة التى عبدت الكواكب مبيناً لها الإله الحق فقال فيما حكاه لنا الكتاب العزيز (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)(٣)

---

(١) الاسلام أقوى جهاد قلعجى صـ ١١٢

(٢) المرجع السابق نقلا عن : مصــير البشرية لكونت دى لوى ص ١٣٧

(٢) سورة الأنعام آيات ٧٥-٧٩

الدعامة الثانية :

من الأسس التي تقوم عليها الشيوعية التنكر للأسرة والقضاء عليها وهذا ماعناه كارل ماركس بقوله « حين يقول الوالدان : هذا ابني وتلك ابنتي لاتعني هذه الكلمات وجود أسرة أبوية فحسب بل توحي بأن للأبوين حقا في تربية أولادهما من وجهة نظرهما كما يريدان :

والاشتراكية تأبى الاقرار بهذا الحق للآباء لأن الفرد ليس ملك نفسه ولكنه ملك للجماعة بل هو ملك للبشرية كلها ولهذا يجب أن ينتمى الطفل للمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه والذي جاء إلى الحياة بفضله(١)

وإنكار الشيوعية للأسرة إنما يقصد به نشر البغـــاء والفاحشة في المجتمعات كلها .

ونتج عن استهانة الشيوعية بالاسرة أن أصبحت المرأة مضطرة للعمل كي تعيش لأنه من لايعمل لا يأكل .

وفي ظل هذا النظام أخذت الدولة — أي التي تأخذ بالشيوعة — على عاتقها تربية الأبناء وتنشئتهم في دور خاصة بعيدا عن الكيان الأسري بما يتضمنه من رعاية أبوية وعطف وحنان .

وأصبح الزواج في عرف الشيوعية أمراً استثنائيا لا أهمية له فليس من الواجب أن يتقيد عامة الشعب بالزواج ولا أن يتقيد الرجل بالمرأة بواسطة عقد زواج والشرع(٢) قد أبقى على الزواج القانوني ولكن دون إذن أو شهود وهذا الزواج لايقيد الزوجين بشيء إذ يحق للمرأة المتزوجة

(١) الاسلام في وجه الزحف الأحمر للإمام محمد الغزالي ط اكتوبر سنة ١٩٦٦ ص ٣٣

(٢) لعله يقصد بهذا التشريع الذي وضعته الدولة الشيوعية في الزواج

بشيء إذ يحق للمرأة المتزوجة أن تعلن أن أحد أولادها هو رجل آخر غير زوجها إذا كانت لها علاقة غرامية مع رجل آخر(١) .

وهذه المبادىء الشيوعية تتنافى مع مبادىء الإسلام لأن الإسلام دين يقدس الحياة الزوجية ويحترم الكيان الأسرى ويفرض على كل من الرجل والمرأة والأبناء حقوقاً وواجبات من أجل استقلال الأسرة واستمراريتها كما جعل للآباء حقوقاً على الأبناء وجعل للأبناء حقوقاً على الآباء والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)(٢) .

الدعامة الثالثة :

تنكر الشيوعية الملكية للفردية وكل الشعب يعمل ويسخر فى وسائل الإنتاج وليس لهم إلا ما تحدده الدولة لهم من أجر واحتياجات .

والدولة هى المالكة المتصرفة فى جميع وسائل الإنتاج زراعيا وصناعياً وتجارياً وهى التى تحدد نوع العمل لكل فرد من الشعب ومقدار الأجر الذى تعطيه هذا العمل .

وهى بهذا تنكر حق الفرد فى تملك أى شيء حتى ثمار كده ، ونتاج كفاحه وجهده .

---

(١) الإسلام أقوى جهاد قلعجى ص ٢٣٣ —
(٢) صحيح مسلم حديث رقم ١٢٠١ ط أوقاف الكويت .

والدولة الشيوعية بهذا تفسح المجال للخمول والكسل ، فما دام الأجر محدداً فإن العامل سيحصل على أجره متساوياً مع المجد والمجتهد وفى هذا قتل لملكة الابتكار والاختراع فى النفوس ولا يعمل الناس هناك بدافع من أنفسهم بل بقوة القهر والاضطهاد .

أما الإسلام فإنه لا يتفق مع الشيوعية فى هذه الأفكار ، لأنه يؤمن بالملكية الفردية .

لكنه نظم هذه الملكية فجعل للفقراء حقاً فى مال الأغنيــــاء ففرض الزكاة بجميع أنواعها على الأغنياء ففرض الزكاة بجميع أنواعها على الأغنياء وحبب أتباعه فى الصدقات وجعل من الكفارات طريقا لإنعاش الحالة الاقتصاديه لأكبر قدر من الجماعة الإسلامية .

ثم أنه أحيا روح التنافس فى جمع المال وتحصيله بالطريق الحــــلال حيث سمح للمسلم أن يتملك ما يقدر عليه وفى هذا التنافس إنعاشاً للدولة ورغد للأمة .

كما أن نظام المواريث فى الإسلام وسيلة شرعية لتفتيت الثروات حتى لا تكون فى يد جماعة ويحرم منها بقية الناس(١) .

وأى مكاسب تلك التى تحرم الإنسان من رغبته النظرية فى أن يتملك ثمرة عمله وجهاده أى تقدمية تلك التى تحرم على الإنسان الحرية فى أى شىء .

أن الإنسان فى ظل هذا النظام مسحوق فعلا بين المطرقة والسندان ،

---

(١) دراسات فى الثقافة الإسلامية مكتبة الفلاح تأليف على السالوس و د . محمد متولى وآخرين صـ ٢١٣ – ٢١٤

مطرقة الفئة الحاكمة المختارة من الحزب الواحد وسندان القاعدة الواسعة للحزب والإنسان في ظل هذا النظام لا يستطيع أن يفكر ولا أن يعمل، ولا أن يعبر إلا في الإطار الذي رسم الحزب أبعاده وما ترتئيه الأطر المنبثقة عن الحزب الواحد المتسلط المستغل المهين لكرامة الإنسان هو المجال الوحيد الذي تتحرك فيه الفكرة أو الكلمة أو أي نوع من العمل، ومن فكر غير هذا — اعتبر من الثورة المضادة وسحقته المطرقة على السندان ومئات الضحايا من هؤلاء يعدون معوقات لمكاسب الشعب يجب أن تزول من الطريق لتندفع الطلائع التقدمية نحو مزيد من المكاسب الجماهيرية الشعبية .

وما وقع نظام من النظم في تناقض صارخ كما وقع النظام الشيوعي، أو الاشتراكي .

فالتناقضات التي وقع فيها هذا النظام كافية لمحق مبادئه ونظرياته، وما يدعو إليه .

فلم يحقق الشيوعيون، ولا الاشتراكيون نجاحا في أخص ما يدعون إليه وهو النظام الاقتصادي وملكية الدولة لوسائل الانتاج فإن التخبط في هذا المجال بلغ مداه حتى لتوشك هذه النظرية أن تعلن على الملأ إفلاسها .

ولم يكن فشلهم في الاجتماع والسياسة بأقل من فشلهم في الاقتصاد، وتوجيه رأس المال، وكم قرأنا وسمعنا عن الرغبة في العودة لنظام الأسرة بعد إلغائه وإلى تشجيع العمال بالحوافز الانتاجية ليجيدوا أعمالهم وكم سمعنا عن دولة تبنت النظام الشيوعي أو الاشتراكي ثم انقلبت عليه أو عدلت فيه ووقفت تناهضه وتعاديه ؟ !![1] .

---

(١) الغزو الفكري د . علي عبد الحليم ص ١٥٣ — ١٥٤ المجلس العلمي بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه ط ١٩٨١

هذه هى النظريات والمبادىء الشيوعية والاشتراكية فى كلمات فقط ، وتلك هى مناقضاتها للاسلام وهذه إحربها للإسلام والمسلمين لا يجهلها أحد من الناس الذين يتابعون الأحداث ، ويرقبون أعمال أصحـــاب هذه النظريات .

وإليك أدلة على ما نقول وصفت الموسوعة الروسيه محمد — ﷺ — بأنه إنسان عادى ولكن الخرافات هى التى صنعت شخصيته تقول الموسوعة فى صفحة ٥٩٩ جـ ٨ ط ٢ تحت كلمة « محمد » قد يمكن أن يكون لمحمد وجود تاريخى ولكن الخرافات قد عملت عملها فى تكوين هذه الشخصية وقلب حقيقتها قلباً تاماً(١) .

ويقول أحد الكتاب الروس عن رسول الله — ﷺ — وخرافة محمد بمجموعها هى خرافة الساحر المتأله ، وهى شبيهة بخرافات الشعوب القائلة بوجود الروح فى جسم كل حى(٢) .

وتقول الموسوعة الروسية ص ٥٩٩ جـ ٢ ط ٢ : « لا تزال قضية محمد رتكز فى أساسها على معلومات شبه قصصية خرافية قبلها علماء المسلمين البرجوازيون بلا نقد ولا تمحيص(٣) .

أما رأى الشيوعية فى الاسلام فنراه فى الموسوعة الروسية ص ٥١٦ — ٥١٩ جـ ١٢ ط ٢ حيث جاء فيها تحت كلمة الاسلام .

---

(١) الإسلام فى نظر الشيوعية والشيوعيين ص ١٥٨ للكاتب الروسى كليموفتش ترجمة بن حمدون وهو الذى عنوان الكتاب بهذا العنوان .

(٢) تاريخ الاسلام فى روسية للكاتب : ن أ — سمير نوف نقلا عن كتاب الاسلام فى نظر الشيوعية والشيوعيين ص ١٥٩

(٣) المرجع السابق ص ١٥٠

لقد لعب الإسلام على الدوام كغيره من الأديان الأخرى دورا رجعيا وكان دائما أداه فى أيدى الطبقات الرجعية المستغلة لارهاق الطبقات العاملة وأداة الاستعمار الاجنبى الرامى إلى استعباد شعوب الشرق[1] .

فالشيوعية أخطر المراكز التى تنطلق منها حملات الغزو الفكرى للأسلام والمسلمين تتخذ منها تيارات العداء للإسلام زادها وتستمد منها قوتها ووحشيتها فى تسديد الضربات للفكر الإسلامى وللمجتمعات الإسلامية فى كل مكان تناله أيديهم .

نماذج من الفلسفات الهدامة

هذه الفلسفات تقف من الإسلام موقفا واحدا هو العداء والرغبة الشديدة فى صرف الناس عنه بما تبتدع لهم من أفكار وما تزعمهم فيه من أنماط سلوكية تقتلع من نفوسهم الإيمان بالله والإيمان برسل الله وانبيائه بل تقتلع منهم الاحترام لأى فضيلة نادى بها الإسلام وتزيف عليهم الأمور فتقلب لهم الحق باطلا والفضائل رذائل ومن أبرز هذه الفلسفات الهدامه والمعادية للاسلام والمسلمين فيما أرى — الوجودية — فلنلق عليها بعض الأضواء .

(أ) الوجودية

تنسب كلمة الوجودية إلى الوجود لا الوجود المطلق ولكنها تعنى أن يهتدى الإنسان إلى وجوده بنفسه لا بالتحليل النفسى والمراقبة الباطنية ولا يهتدى بهدى الاخلاق المقررة وأصول الآداب المتواضع عليها لأنها تنشأ قبل نشوء الإفراد وإنما نهتدى إلى وجودنا بثورة فى أعماق هذا

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٣

الوجود : أى بصدمة عاطفية قوية أو بيقظة من يقظات الضمير أو بضربة من ضربات التجارب تفصلنا من المجتمع الذى نعيش فيه أو نتناول مكاننا منه بالتحويل والتبديل(١) .

نشأة الوجودية :

بدأت الوجودية بمؤسس هذا المذهب فى العصر الحديث سورين كركجرد(٢) الذى أشاد بالوجود الفردى مشيرا إلى أن الإنسان يهتدى إلى وجوده بنفسه مستقلا عن الآخرين مؤكدا أن الطريق إلى ذلك الهدى أما الصدمة العاطفية القوية أو يقظة الضمير أو ضربة من ضربات التجارب

بيد أنه يسبق ذلك الكير كجور فيلسوف فرنسى يدعى « بسكال بليز »(٣) الذى راح يردد كل ما أراه فى الطبيعة هو موضوع شك وقلق وإن كنت لا أرى شيئا يدل على وجود خالق لكنت أنكر وجوده ولو شاهدت آيات خالق فى كل شىء لاسترحت بالايمان ولكن ما أراه هو أكبر من أن استطيع انكاره وهو أقل من يقنعنى فأنا فى حالة تستوجب الشفقة(٤) .

ولقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك فيربط الوجودية بالفيلسوف اليونانى سقراط الذى عارض فلاسفة عصره فيما ذهبوا إليه من بحث فى طبيعة الكون أو أصل المادة ليرد الناس إلى حقيقتهم وليناذى ندامة الشهير « اعرف نفسك بنفسك

---

(١) العقاد أفيون الشعوب ص٩٩ ط ١٩٧٥م دار الاعتصام المذاهب الهدامة

(٢) ولد عام ١٨١٣ وهلك عام ١٨٥٥م بالدانمارك راجع على جريشه الاتجاهات الفكرية ص١٦٤

(٣) ولد عام ١٦٢٣ وهلك عام ١٦٦٢ م

(٤) الوجودية المؤمنة الملحدة د. محمد غلاب

ومن بعده « الرواقيون » الذين فرضوا سيادة النفس واعرضوا عما غرق فيه السوفسطائيون من جدل عقيم(١) .

بيد أنه يبقى ارتباط الوجودية بيسكال الذى رسم طريق الوجودية الحديثة ثم كير كجورد الذى عده رحال الفكر الغربى أبا للوجودية(٢)

وانتقلت الوجودية كفكرة إلى العالم الاسلامى من خلال ترجمة الأعمال الفلسفية والأدبية ولكن لم تعرف الوجوديه على الأغلب فى العالم الاسلامى كفلسفه بقدر ما عرفت مما تسرب من آثارها فى الأعمال الأدبية كالقصه والروايه التى عبرت عن حالة الغربة والضياع واللاجدوى لا سيما عقب الحرب العالمية الثانية أو أنها ظهرت بسبب تضاعف الخطر على وجود الفرد بعد ظهور الشيوعية والنازية وما إليها التى تلغى حق الفرد فى جانب حق الدولة أو الجماعة .

عوامل ظهور الوجودية وانتشارها :

يذكر البعض عدة عوامل ساعدت على ظهور الوجودية وذيوعها من أهمها :

١ — تحكيم الكنيسة فى شئون الناس وفرضها آراء تصادم العقل وتصادم من قبله الفطرة ويعبر « كير كجورد » تعبيرا ساخرا عن أثر الكنيسه فى نفسه بقوله «إن الصليب هو الصورة الوحيدة والانفعال الوحيد اللذان كانا عندى عن المنقذ ورغم طفولتى كنت كأنى رجل مسن وقد رافقتنى هذه الصورة كل حياتى ومنذ طفولتى الأولى نفذ سهم الحزن فى قلبى وما دام فيه فاننى وسأظل ساخراً ولو انتزعته لمت

(١) راجع د . عمير المذاهب المعاصرة .
(٢) المرجع السابق

٢ — الحروب العالمية التى أورثت الشعوب الجوع والتشرد والحرمان ومن هـــذا الباب نداء « تو ديف » الذى عاش عصر القيصرية ثم أزمة الشيوعية وما ساقته من مشانق وهلاك ثم شاهد فى برلين دمار الحرب وذاق الاعتقال وشاهد الجاجم والجثث وسنابك الاحتلال تدوس هذا وذاك وكان مع هذا دعوته للجرذان التى عاشت تحت الانقاض سنوات وفى الخنادق اعواما أن هبوا من نومكم وافيقوا من سكرتكم واعيدوا ما فقدتم من أيامكم واطرحوا وراء ظهوركم كل ما يربطـكم بأمور الدين ومبادىء الخلق وقواعد العرف(١) .

٣ — ونضيف إلى هذين عاملا ثالثا هو الميل البشرى إلى الفردى وهو يساعد عليه خفة الوازع الدينى أو اختفاؤه كما يساعد عليه كراهية « رجال الدين » من خلال سلوكهم مع الناس وأمام الناس وقد توافر ذلك كله فى الغرب بل توافرت له ثورة على الدين تمثلت فى قولتهم « اشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس

ارتباط الوجودية الحديثة بسارتر

ارتبطت الوجودية فى الأذهان لدى المثقفين بعامة بسارتر وانتاجه الفلسفى والأدبى وأكثر ما تتمثل آراؤه فى روايات المسرحية وإبطاله المعروضة فى تلك الروايات ومنهم من يستبيح الاجرام أو الشذوذ أو التبذل أو الخيانة(٢) ،

ولذا فسنقتصر على الالمام بآرائه توطئة لنقدها من جهة النظر الاسلامية

---

(١) المرجع السابق

(٢) العقاد بين الـكتب والناس ص٢٦

الأساس الفلسفي للوجودية :

تقوم الوجودية الفلسفية على فكرة رئيسية مؤداها أن وجود الإنسان أسبق من ماهيته أى أن الإنسان يوجد أولا ثم بعد ذلك هو الذى يخلق — فى زعمهم — الشكل الذى يجب أن يكون عليه .

ويعرف سارتر الوجودية بأنها مذهب إنسانى إلا أنه يلح فى تحليل النواحى القذرة البشعة من الإنسان فى قصصه ومسرحياته ويعود موقفه الميتافيزيقى إلى الإدعاء بأنه يجب البدء من الذاتية ، لدراسة الإنسان فينظر إليه كما هو موجود فى بيئة معينة وكل فرد دون اعتبار للمعنى الكلى الذى يقال أنه يمثل الماهية(١) .

وفى هذا الصدد يقول سارتر أن ذلك يعنى أن الإنسان يوجد قبل كل شىء يصادف ويظهر فى الطبيعة والكون ومن ثم يحدد ويعرف(٢) .

فما هى الطريقة التى يقرر بها الفرد وجوده ؟

عند بعضهم أن وجود الفرد يتقرر ويتحقق بإطلاق العنان لرغباته وشهواته يفعل ما يشاء ولا يبالى بالعرف أو الدين وعند فريق آخر من الوجوديين أن الفرد يتحقق وجوده إذا أتصل بالوجود الأعظم وجود الإله أو وجود الكون وعند البعض منهم يتحقق وجود الفرد بمواجهة المخاوف والأخطار والتعرض للقلق والمحنة واستخراج كل قوة

---

(١) يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٣٤

(٢) سارتر : الوجودية مذهب إنسانى ص ٣٧ ترجمة عبد المنعم الحفنى سنة ١٩٧٧ م .

فى أعماق النفس بتجربة الخوف والتغلب عليـــه وقبول الأقدار قبول الإختيار[١] .

وهكذا تتراوح آراء الوجوديين بين المؤمنين والملحدين :

أما أكثرهم تطرفاً — وهو ســـارتر اليهودى الفرنسى فإنه يقرر أن الإنسان كما تتصوره الوجودية ليس له فى البدء أى وجـود حتى يمكن تعريفه وتحديده وأن هذا التعريف وهذا التجريد لا يصح وجودهما إلا بعد أن يكون الإنسان قد وجد على الشكل الذى يوجد نفسه عليه .

وتصور سارتر ناجم عن الحاده وكفره إذ ينكر ماهية الإنسان المخلوق سلفا[٢] .

وبعباره أخرى فإنه مادام الفرد هو الموجود الحقيقى فلا معنى للقول بالطبيعة البشرية والقول بالإخلاق التى تفرضها هذه الطبيعة أو بالإقدار التى رسمت لها طريقها قبل أن تبرز إلى عالم الوجود[٣] .

وإزاء إفتقاد الإنسان لطريق الهداية فإنه لن يجد عونا فى هذه الأرض ولن يجد ما يهديه أو يحدد له معالم سيره ولذلك فعلى عاتق الإنسان وحده تقع عبء تفسير معالم الحياة التى هى أشبه بالطلاسم وما دام الإنسان مدعوا فى كل لحظة لعملية يسميها (اخـــتراع الانسان) فإنه يحتاج إلى تغيير أخلاقه دون التوقف عند مبادىء ثابتة .

وهنا يحس بالمأزق لأن هدم أسس الأخلاق وإنكار القيم الأزلية

---

(١) العقاد أفيون الشعوب ص١٠٨ — ١٠٨

(٢) سارتر الوجودية مذهب إنسانى ص٣٧

(٣) عباس العقاد بين الكتب والناس ص ٢٥

لا يبقى على شيء له أهمية وأعتبار فى الحياة ويصبح الفرد قادراً على التصرف كما يشاء وعاجزاً فى الوقت نفسه عن الحكم على تصرفات غيره وعندئذ نراه مضطراً للإبقاء على حـــد أدنى لثبات الأخلاق فيعترف بأنه مهما كانت الأخلاق متغيرة فإنه لا يعدم منها مظهراً يصح أن يعتبر شاملا(١).

وإذا أعترف بثبات الحد الأدنى فالمانع من أقرار الحد الأعلى فالأخلاق قيم كيفية وليست مقادير كمية كالدينار والدرهم(٢) .

مفاسد الوجودية :

١ — تصورهم أن الوجود يسبق الماهية خطأ عقلا لأننا نلمس بحواسنا أن « النوع الانسانى » يوجد أولا وأن وجوده هذا ليس فرضاً من فروض التصور فى الأذهان بل هو وجود حقيقى وصادق وتلمسه حواسنا كما تلمس الوجود البيولوجى (من اللحم والدم)(٣).

٢ — الفيلسوف الوجودى لا يهتم بوصف المظاهر الخيرة والبهيجة فى الحياة بل يصور فقط الجبان والفاسق والضعيف والمائع وصاحب الخلق المنحل فكأنه ينظر دائماً إلى الذين هم فضلات من جسم البشرية على أنهم هم الممثلون للبشرية فأدى ذلك إلى التشاؤم والقلق والسخط والشك فى القيم فى حين أن الأحاسيس البهيجة فى الحياة كثيرة كحنان الأم وتضحيات الأب ومحبة الأهل والأصدقاء وكابتسامة الطفل وأشراقة الشمس وضوء

---

(١) سارتر الوجودية مذهب إنسانى ص١٠٦

(٢) الاسلام والمذهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص٢٢٣ دار الدعوة للطبع والنشر .

(٣) العقاد بين الكتب والناس ص ٢٦

القمر وغيرها مما لايخلو منها إنسان قط وإلاأصبحت الحياة غير محتملة ، ولأقبلت البشرية كلها على الانتحار .

ولذلك يقول الفيلسوف كارل ياسبرز (أننا فى العصر الحاضر نحتاج إلى فلسفة (العقل والايمان) لاالفلسفة الوجودية أوالوضعية) لأن الوجود العيانى الشخصى الذى يعتد به الوجوديون والوضعيون فوقه وجود آخر هو الله تعالى أما الوجودى فقد غرته نفسة وظن أنه الكائن الوحيد فى الوجود ونسى خالقه عز وجل الذى خلقه فسواه فعدله .

وهنا يقول: ياسبرز إن الطريق الذى يسير فيه (الوجودىأو الوضعى أو الماركسى) طريق موغل فى الظلام إذ أعرضوا عن العقل وكفروا بالله فضلوا ضلالا بعيداً فنضب آمالهم واستبدت بهـــم الهواجس والهموم .

وقال أن المخرج من هذا المأزق يكون فى الثقة بالعقل والايمان بالغيب ويشفق جارودى من تأثير هذه الفلسفات على الشباب فيقول فى حيرة كيف أصف هؤلاء المفكرين أنهم سفاحو الثقافة والفكر(١) .

٣ — الوجودية توهمت أن التاريخ من صنع المشروعات الحرة والفردية فقط .

٤ — يسقط سارتر فى هاوية الألحاد حينما يصور الأنسان بغير عون فى هذه الأرض وأنه لا يجد من يهديه أو يحدد له معالم الطريق ثم يدمر

---

(١) الاسلام والمذاهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص٢٢٦

الفرد والمجتمع معا عندما يصف الأخلاق بأنها متغيرة حيث يقول (كل فرد هو عالم قائم بذاته عما يصنع لنفسه أخلاقه وعقائده فيختار الأباحة أن شاء وهو المسئول عمـــا يصيبه من جراء إباحته أو جراء نسكه وزهده).

وقد كان الغالب عليهم حيـاة الأباحة والفوضى والشذوذ وفى هذا المعنى يقول هيدجر الفيلسوف الوجودى (إننا مهجورون لا نلمح أمامنا أى هدف ننزع إليه ولا نرى فوقنا أية قوة عليـا تعيننا على التحكم فى مصيرنا (١).

إن هذه العبارة فضلا عن أحتوائها على الحاد صريح فإننا نشفق عليه وعلى أمثاله لأنه هو الذى وضع نفسه فى هذا الموضع وبعد ذلك نقول له: أن القلق الدائم يعصف بالنفس الأنسانية ويتهاوى بها إلى حضيض اليأس أنه كالنار تأكل الأخضر واليابس وتحيـل الأنسان إلى ريشه فى مهب الريح تعصف به حيثما تشاء.

ولا ننكر أنه قد يمر بالانسان قلق عابر مصدره الخوف على فقد شيء أو السعى نحو تحقيق هدف أو مواجهه مواقف طارئة غير مألوفة ولـكن كل هـذه الألوان من القلق أقرب إلى التوتر النفسى الذى لابد منه فى الحيـاة اليومية وسرعان مايتغلب عليه بالإقبال والعمل والقلب المؤمن.

وإذا تكلمنا بلغة علم النفس تبين لنا أن أنفعال الخوف من الله تعالى وحده يحقق للإنسان الحيـاة الأفضل مادام مسلحاً بسلاح الإيمان لأن

---

(١) د. زكريا إبراهيم دراسات فى الفلسفة المعاصرة ص ٤٣٤، ٤٣٥ مكتبة مصر ط ١٩٦٨ م.

الخوف الحقيقى الذى يشعر به المؤمن هو الخوف من الله تعالى لأن إيمانه بالله لا يجعله يخاف الموت أو الفقر أو الناس أو أى شيء آخر فى العالم وإنما يخاف فقط من غضب الله وسخطه وعذابه (١).

ويشرح لنا الدكتور محمد عثمان نجاتى وظيفة الخوف من الله تعالى فى حيـــاة المؤمن بقوله (إنه يجنبه أرتكاب المعاصى فيقيه بذلك من غضب الله وعذابه ويحثه على أداء العبادات والقيام بالأعمال الصالحة أبتغاء مرضاة الله فالخوف من الله يؤدى فى نهـاية الأمر إلى تحقيق الأمن إلى تحقيق الأمن النفسى إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء فى عفـــو الله ورضوانه (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (٢).

أن القلق وأحاسيس التشاؤم ليس حالة دائمة ولكنه أحساس نفسى مؤقت ولا ينبغى للانسان لمقاومة أحاسيس القلق والتشاؤم إلا أن يتذكر أنه أوتى من النعم الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى تبعث على الفرح والتفاؤل — بدلا من القلق والتشاؤم الوجودى — وإذا فتش فى حياته اليومية — لا السنوات الماضية فحسب — فسيعثر على جوانب السرور والبهجة التى لا تخلو حياة الأنسان منها قط .

ومع ذلك فإن المسلم يؤمن بأن السعادة فى هـذه الحياة ليست كاملة

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى القرآن وعلم النفس ص ٧١ ط دار الشروق سنة ١٣٠٤ هـ سنه ١٩٨٢

(٢) د . محمد عثمان نجاتى القرآن وعلم النفس ص ٨١ الآية من سورة فصلت آيه رقم ٣٠

ولا تامة بل يشوبها الأكدار وعلى المسلم فى حركته نحو حياة أفضل أن يستزيد من أعمال الخير نحو نفسه — بمحاربة هواها ويحذر من الخطايا لأن المصائب تأتيه بسبب معاصيه — ونحو الغير بالعون وبالجهد والمال كلما أمكنه ذلك وهو فى هذا السعى الدؤوب يأمل فى حياة أفضل حياة أخرى متحققة حتما .

ومن هذه الزاوية ربما نستطيع فهم بعض الحكم من العبادات التى تصاحب المسلم حتى الموت فالصلاة مثلا تؤكد المعنى الذهنى للعبودية لله تعالى وتوحد بين النظر العقلى الإيمانى والحركة الجسمانية فى تثبيت المعنى وترسيخه بأن الإنسان لابد من خضوعه لله تعالى وحده والصيام ليذكر الأنسان بخاصيته الروحيه ويسمو به من غرائزه الحيوانية وتؤدى الزكاة دورها فى تغلب الانسان على شحه وبخله وتعوده على المشاركة والايثار فتنمى فى نفسه عاطفة المشاركة الجماعية .

وتتحقق العبودية الكاملة للأنسان بأداء شعيرة الحج فإنه كما يصفه ابن تيمية مبنى على الذل والعبوديه لله عز وجل وهو عاصم من الأنحراف الفلسفى الجاحد الذى يحول الانسان إلى فرعون أحيانا .

قيمة الإيمـان :

الايمان بالله تعالى ورحمته هو الركيزة التى يستند إليها كل خير فمن هدمها فقد هـدم كل شىء وتصبح الحياة سأما والكون عدما كما يزعم سارتر وهدجر .

ولذلك فإن المسلم يعرف جيـد الغاية من خلقه ويعرف أن الله تعالى أبتلى العباد بالنعم كما أبتلاهم بالمصائب ونبلوكم بالشر والخير فتنة .

وفى هـذا المعنى يقول رسول الله ﷺ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن إصابته ضراء صبر فكان خيرا له (١).

فالأنسان إذن لم يخلق عبثا ولم يات إلى الحياة بغير هدف كما يظن الوجوديون بل إن الحكمة من الحياة الدنيا تتمثل فى الابتلاء أو الأختبار لذلك يقول ابن القيم (أنه لولا إيماننـــا بالقضاء والقدر لقتلنا الحزن ولولا إيماننا برحمة الله لقتلنا اليأس ولولا إيماننا بانتصار المثل العليا لجرفنا التيار ولولا إيماننا بقسمة الرزق لكنا من الجشعين ولولا إيماننا بالمحاسبة عليه لكنا من البخلاء أو المسرفين ولولا رؤيتنا آثار حكمته لكنا من المتحيرين) (٢).

هذه هى الحكمة من خلق الانسان وعلى ضوئها يسير المسلم فى خطوط محددة منطبطه بواسطه الشرع .

ملخص النقاط التى تخالف فيها الوجوديه الاسلام :

١ — الوجوديه لا تؤمن بوجود الخالق وتؤمن فقط بالحياة الحسية للفرد — الطين ، دون الحياة الروحية وهذا مسخ للانسان وتغلب لجانب من شخصيته على الجانب الآخر مما ينتج عنه القلق والفزع الذى يعانى منه الوجودى.

---

(١) رواه مسلم

(٢) ابن القيم شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمه والتعليل ص ١٣٢ ط الخانجى ١٣٢٣ هـ

٢ — الوجودية لاتؤمن بوجود قيم ثابتة وترى أن الإنسان حر فى اختيار قيمه مما أدى إلى وجود إباحية جنسية قذرة فى الغرب وبعيدة كل البعد عن قيم الحب والذوق والجمال والخير .

٣ — الإسلام يرجح مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد دون إهدار لكرامة الفرد أى يشجع الإيثار الاجتماعى على عبادة الذات التى تؤدى إلى تصادم الرغبات والاضطراب .

٤ — الإسلام يشجع على التفاؤل بقوله تعالى [أنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون] بعكس النظرة التشاؤمية للوجودية .

٥ — الوجودية كل إنسان فيها له أهدافه الخاصة دون أن يكون له موجه من كتاب أو سنة ليغير له دروب الحياة المظلمة والوجودية بذلك تدعو إلى الكسل والخمول والكآبة والقلق والجبن والضعف والفسق والشذوذ وغير ذلك من الصفات التى تؤدى إلى تقطع العلاقات التى بين البشر والتى بينهم وبين الخالق مما يؤدى إلى تحطيم المجتمعات لمصلحة اليهودية العالمية وتأييد سارتر لإسرائيل يعتبر خير شاهد على وجود جذور يهودية فى الحركة الوجودية[1] .

يقول العقاد (أنه من الشر دراسة المذاهب الفكرية الجديدة دون معرفة ماوراءها من تدبير مقصود[2] .

بدليل (إن سارتر يهودى ومعظم أيامه يقضيها مع اليهود وإننا ان نفهم هذه المذاهب على حقيقتها إلا إذا فهمنا أن أصبعا من أصابع اليهود

(١) الوجودية محسن عبد الحميد ص ١٠ مكتبة القدس بيروت .

(٢) العقاد بين الكتب والناس .

كانت وراء كل دعوة . تستخف بالقيم والإخلاق وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الإنسانى فى جميع الأزمان(١) .

ويقرر الأستاذ أنور الجندى أن الوجودية عارضها مفكرون كثيرون غربيون ويحصر اخطارها فى عدة نقاط نوردها على النحو التالى :

أولا : إنها تجعل الإنسان فى عزلة عن الجماعة .

ثانيا : أنها تستطيب إبراز القبيح من جوانب الطبيعة الإنسانية وتدعو إلى الإنحلال .

ثالثا : أنها تبطل الأوامر الالهية وتنكر القيم الخالدة .

رابعا : أنها تدعو إلى اليأس المطلق والتشاؤم الكلى وتدعو إلى هدم الحياة .

خامسا : أنها دعوة إلى التمرد على الواقع والقيم جميعا ترفض كل ما يتصل بالغيبيات والنفس الانسانية وتقف عند الايمان باللحم والدم .

سادسا : أنها تنكر محصول البشرية من القيم والتجارب وتدعو إلى أن يبدأ الانسان من جديد .

سابعا : تحتقر العلم والدين والأخلاق .

ثامنا : ليس فيها نقطة واحدة تفتح الطريق أمام التقدم أو بناء الحياة أو العمل من أجل مجتمع أفضل .

تاسعا : هى فلسفة موغلة فى الفردية تنكر الحقيقة الموضوعية للواقع الانسانى .

عاشراً : الأخلاق الوجودية هى الأخلاق المريضة القلق والقنوط والتشاؤم والرغبة فى الموت والغموض والأنانية المفرطة .

---

(١) مصطفى السباعى هكذا علمتنى الحياة ص ٩٥

حادى عشر : الدعوة إلى جدبه اليأس والتحريض على الانتحار يقول كامى : ليس ثمة الاقصة واحدة تتمتع حقا بصفة الجد وهى قصة الانتحار ؟!!

ثانى عشر : تقويض المجتمعات وهدم الأمل والخلق والغيرة ومعارضة الشجاعة والتضحية .

ثالث عشر : دعوة إلى التحلل من القواعد الأخلاقية .

وقد عارض الباحثون هذه المفاهيم وكشفوا عن زيفها واعلى الكثيرون فى صراحة .

أن الوجودية : ظاهرة زمنية عابرة لن يلبث الانسان أن يتخطاها وهى ليست روحا(١) .

لاريب أن الدعوة الوجودية غريبة عنا وعن قيمنا كل الغرابة ذلك لأنها تتاج تحديات ومواقف مختلفة تماما .

ونحن نعرف أن الفكر الغربى كله يمر بأزمة عاصفة ويواجه تحديات خطيرة وأن الصهيونية العالمية من خلال أيدلوجيتها التلمودية قد احتوته تماما وصرعت فيه كل قوة وكل خير وهدمت دعائمة الأخلاقية وعزلته عن مفهوم الدين الحق عزلا تاما .

ومن عجب أن الكثيرين فى بلادنا يفهمون هذه الحقيقة ولكنهم ينظرون إلى هذه الدعوات من خلال مظاهرها البراقة الخادعة بينما تجاوزتها مجتمعاتها لفسادها ولأنها وجدتها معارضة تمام المعارضة للفطر والطبيعة الانسانية وقيم الانسان العليا .

---

(١) جان برك .

أن الوجودية ثمرة أزمة الانسان المعاصر صريع النظريه المادية التى أعلتا من شأن الشهوات والأهواء واللذات وفتحت الطريق أمام الغرائز بعد أن هدمت جدار الضوابط والحدود والقيم .

وأبرز معالم فكرنا وحضارتنا ومجتمعنا هو ذلك الترابط بين الروح والمادة والتوازن بين الدنيا والآخرة فى إطار التوحيد الخالص لله .

والايمان بالبعث والجزاء والدين جزء من مجتمعنا وفكرنا ونظمنا المختلفة والأخلاق قاسم مشترك على التربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد(١) .

هكذا يبدو لنا أن الوجودية فلسفة مليئة بالتناقض خارجة على حدود كثير مما يقره العقل ويرضاه المنطق فضلا عن مخالفتها لما جاء به الاسلام من منهج رضيه للناس دينا ونظاما فى حياتهم الدنيا فالوجودية من هذه الزاوية تعد من أهم المراكز التى تحارب الاسلام بإشاعة مبادئها الضارة المنحرفة المناقضة للفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها .

---

(١) الاسلام والدعوات الهدامة أنور الجندى ص ١٨٥ دار الكتاب اللبنانى بيروت .

الماسونية :

مأخوذة من كلمة فرماسون وهى مركبة من كلمتى فرانك ومعناها : الصريح . وماسون ومعناها : البناء أى البناء الصريح أو البناء الحر وهى من أقدم الجمعيات السرية فى العالم والتى ما تزال قائمة إلى عصرنا هذا .

إن بعض المنتسبين إليها يرى « إن الماسونية مبنية على أقوى دعائم التقوى والفضيلة ولا يتسنى لأى إنسان كان أن يكون ماسونيا إلا إذا كان حر النسب طيب السيرة مهيئا للتفانى فى سبيل تحقيق عمل الخير يكافح الباطل وينصر الحق توّاقا للحرية والإخاء والمساواة فاختار الانتماء إليها من تلقاء نفسه وغير مكره عليها من قبل أحد »(١) .

ولعل سائلا يسأل : إذا كانت الماسونية كما تقولون فلماذا تستند بالظلام وترهب النور ؟ بل وتهدد كل من يبوح برموزها أو يحاول الكشف عن طلاسمها بالقتل والإبادة ؟ ! إن أول شيء تحرص عليه أن تلقن أعضائها عند التحاقهم بهم أن يكونوا اكتومين .. ولا يسمح للعضو بالانضمام إلى عضويتها إلا بعد أداء اليمين أمام هيئة المحفل(١) .

وهاك بعض كلماته : « أقسم بين خالق الكون الأعظم وأتعهد بإرادتى وإختيارى أن أصون وأكتم الأسرار والرموز الماسونية التى تباح لى الآن أو فيما بعد ولا أبوح بها لأحد وأتعهد بأن لا أكتب هذه الأسرار ولا أطبعها ولا أحفرها ولا أنقشها أو أدل عليها بوجه من الوجوه وأن أمنع

---

(١) د . على جريشه الاتجاهات الفكرية ص ٢٥٧

(٢) المحفل مكان الاجتماع ويسمى فيما بينهم الهيكل الذى يرمز إلى هيكل سليمان

ما أستطعت من يتصد أن يفعل ذلك سواء كان بالحرف أو بالوصف أو بالصور صريحا أو غير صريح لنفسى أو لغيرى من الناس حتى لاتنكشف أسرار البنائين الاحرار(٢) .

ويكشف النقاب عن هويتها ويعرفها بعض المفكرين فيقول : «الماسونية آلة صيد بين اليهود يصرعون بها كبار الساسة ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة .. أمامهمتها الحقيقية فصقل أحجار صالحين لبناء الهيكل وتدريب فرسان حكماء يتقنون انتزاعه بحكمة وشجاعة ثم ترويض أسود لحمايته(٢) .

ويقول عنها : إنها يهودية الأصل والمنبت وما دامت كذلك فهى : تجيد المكر والخداع .

ومن المفيد أن نبرز هذه الحقائق :

تقول النشرة اليهودية الصادرة فى عام ١٨٦١ م : « إن روح الماسونية الأوربية هى روح اليهودية فى معتقداتها الأساسية لها نفس المثل واللغة وفى الأغلب نفس التنظيم والآمال التى تنير طريق الماسونية وتدعمها — هى الآمال التى تنير طريق إسرائيل وتدعمه ومكان تتويجها هو بيت العبادة البديع حيث تكون القدس رمزا وقلبا منتصرا .

---

(١) راجع كتاب أسرار الماسونية أو السر المصون فى شيعة الفرمسون تأليف الأب لويس شيخو

(٢) حقيقة الماسونيه د/محمد على الزغبى

نشأة الماسونية :

يرى بعض المؤرخين أن تاريخها يرجع إلى بدايه النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى وإذا أردنا النصفة نقول : إن هذا وارد فى أقوال المؤرخين والراصدين لحركات هذه الجمعيه الخفية على مدار حقب التاريخ ولكننا نرجح أن الماسونية يرجع تاريخ إنشائها إلى بدايه القرن الأول الميلادى عندما كان «حاخامات» اليهود يتنبأون بقرب ظهور نبى جديد .

ونستطيع أن نقسم نشأة الماسونية وتطورها تاريخيا إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى :

تتلخص فى أن الحاخامات تنبأوا بقرب ظهور نبى جديد فاستشعروا بخطر ذلك ولما ولد المسيح عليه السلام وبدأ دعوته آمن له له الكثير من الناس فتأكد الخطر لديهم لأنه (أخذ يبشر بزوال هيكل سلام بحيث لا يبق حجر على حجر لا ينقض) وأهم هذا كله (هيرودس الثانى) فدعا إلى إنشاء جمعية سريه باسم « القوة الخفية » وكانت مهمة هذه الجمعية تتلخص فى التخلص والقضاء على المسيحيه وأتباعها وأسندت رئاسة الجمعية إلى الملك المذكور . . كما تم تكوين مجلس سرى أعلى ليكون له مهمة الإشراف على عمل هذه الجمعية ومباشرة تنفيذ مخططاتها وفى اليوم العاشر من أغسطس عام ٤٣م عقد الاجتماع السرى الأول للمجلس فى أحد أبنية قصر الملك هردوس ، وكان أول شىء اتجه تفكيرهم إليه تسميه مكان الاجتماع . . !

فسموه « هيكلا » تخليداً لهيكل سليمان الذى تنبأ المسيح عليه السلام بتقويضه يقول هردوس فى تبرير إنشاء هذه الجمعية : « لقد علم الخاصة

والعامة ما أحدث ظهور الدجال يسوع[١] من الانقلاب الروحي والزمني والسياسي عند الشعوب ولا سيما في طائفتنا الاسرائيلية . . انتحل لنفسه اسم يسوع الناصري ملك اليهود وما هو إلا صعلوك دجال أدعى أنه حبل به بقوة روح الهية وولد من عذراء .. هيهات أن نسلم بألوهية أو بكونه المسيح الذي ننتظره . . وأخيرا صلبناه ومات ودفناه ونصبنا حراساً على قبره .. ثم أدعى رجاله أنه قام من القبر[٢] .

وهكذا نظم (هردوس أكريبا) هذه الجمعية وعين الوظائف وبين التزامات المؤسسين متخذا لذلك كله رموزا فلكية كالنجوم والشمس والقمر لأنهما أدل على القدمية من غيرها ، ورموزا أخرى تمثل شارة الجمعية . . امعانا في السرية ولتكون بمثابة ذكر منهم يذكر بها الآتين بعدهم من الأبناء والأحفاد الذين يرثون أعمالهم ويديرون جمعيتهم كما يقول هيردوس[١]

وهذا نموذج لترتيب الوظائف :

الملك هيردوس أكريبا	رئيس
حيرام أبيود	نائب الرئيس
مؤآب لافي	كاتم سر أول

. . الخ وتختلف الوظائف من كاتم سر ثاني ومراقب ومعاون أول ومعاون ثاني إلى الحاجب ولم يكتف هذا الرئيس بالتضليل والخداع والكذب على التاريخ بل قال لهم أيضاً : « تمكننا بعد ذلك أن نذيع على العالم

(١) يقصد اليهود بالدجال بيسوع المسيح عليه السلام

(٢) راجع د. على جريشه ص ٢٦١ الاتجاهات الفكرية المعاصرة

(٣) أصل الماسونية ترجمة عوض خوري ص ١٠٦

أن أخانا (حيرام أبيود) هو حيرام آبي المهندس الكبير السورى الذى خول له سليمان عليه السلام هندسة الهيكل .

ولسائل أن يسأل : وهل ارتكبت المسيحية جرما إزاء اليهود ؟وهل انتقص المسيح من موسى أو جاء للقضاء على التوراة ؟! الحقيقة أن شيئاً من ذلك لم يحدث ويذكر القرآن التوراة بأنها كتاب الله وأنها هدى ونور «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور .. »

فعلام الحقد إذن ؟ ليس له ما يبرره إلا الجبلة اليهودية التى طبعت على الختل والمراوغة ! واستمرت الجمعية فى التعذيب والتنكيل ورسم الخطط الجهنمية لأتباع المسيحية إلى أن أصيب هذا الرئيس بمرض حاد فى عينيه ثم نزل داء بجسمه اضطره إلى الاعتزال ثم ما هى إلا أيام حتى فارقت روحه جسده فى أواخر سنة ٤٤ م وآخر كلماته كما يقول حيرام أبيود : «حافظوا على السر وأظبوا على العمل اشتغلوا ولا تملوا .. » !(٢)

وتولى الرئاسة العامة للجمعية حيرام الذى يصفه أتباع المسيحية بأنه الرجل الشيطانى وأنه من سلالة إبليس ! وكان أول شىء عمله أن اقترح على الأعضاء إضافة اسم جديد إلى اسم « هيكل أورشليم » هو كوكب الشرق الأعظم ، ليوهم الناس أن النور الحقيق ينيرهم ويهديهم هو هذا الكوكب « كوكب القوة الخفية »(١) .

رأى حيرم أن المسيحيين يتكاثرون فى عهده فأخذ بجموعة من أعضاء الجمعية وأخـــذوا يتجولون فى الأرض حتى وصلوا إلى أراضى صيدون (فى لبنان) بحثا عن أتباع المسيحية ثم يعودوا فى نهاية اليوم .. وجاء المساء وعاد الرجال ولم يعد حرام وشغلهم ! .

---

(١) د. على جريشة ص ٢٦٢ الاتجاهات الفكرية

(٢) نفس المرجع ص ٢٦٢

لقد هلك حيرام . لقد أكلت الذئاب « حيرام » ، وعثر على بقايا من جثته وتعرف عليه أتباعه بخاتمه الفضى محفورا عليه رسم مطرقة ! !

وخلف حيرام « مواب لافى » فى رئاسة الجمعيه واستمر فى العمل حتى عام ٥٥ م .

المرحلة الثانية :

تبدأ من سنة ٥٥ م وتميزت بإقامه هياكل كثيرة فى مختلف البلدان من أشهرها هيكل روما وكان « للقوة الخفية » يد طولى فى إضطهاد المسيحيين وقهرهم .

ويجوز أن هذه قد دست على المسيحيين بعض عملائها وأعضائها ومنهم « بولس » الذى ساهم فى إبادتهم لما لم يفلح فى أسلوب الهدم من الخارج لجأ إلى أسلوب آخر وهو الهدم من الداخل حيث أفرغ (بولس) المسيحية من لبابها وجوهرها ليحل محلها مايقضى على معتقدها السليم .

يقول (شارل جنيبر) عن بولس اليهودى الذى اعتنق المسيحية :

أن بولس ولد فى أسرة يهودية وأنه بدأ حياته عــدواً سفاحا لدم المسيحيين فهو أمشاج من الفكر اليهودى والرواقى وإنه أخرج ملة عيسى من ثوبها الطبيعى إلى ثوب جديد فهو الذى :

بدل وصف عيسى من ابن الإنسان الذى كان يطلقه الحواريون إلى ابن الله .

ألغى إختصاص ملة عيسى بشعبه اليهودى وسمح للشركين عامه الدخول فيه .

ألغى شريعه موسى فى الختان وكثيراً من الشرائع إرضاء للجدد من المشركين وبقية المجتمع اليونانى[1] .

إن الماسونية القديمة أو اليهودية العالمية وراء الكثير من الخلافات التى شتت أمر المسلمين ومزقت وحدتهم .

أمثلة تاريخية — كعب الأحبار وراء فتنة الظاهر والباطن وفتنة الجبر المطلق والاختيار المطلق .

جهم بن صفوان بطل إدعاء الجبر المطلق .

غيلان الدمشقى بطل إدعاء الاختيار المطلق .

الجعد بن درهم ألمع جنود المشككين .

هؤلاء وإن لم يكونوا يهودا فردودون ما بوق به اليهود شعروا بذلك أم لم يشعروا يتضح هذا جليا إذا علمنا أن هذين المذهبين فى نفى القـــدر وإثباته هما مذهب الابيقوريين القائلين بحرية الإرادة ومذهب الرواقيين ، القائلين بأن الإنسان مسير لا مخير وهما مذهبا اليهود .

والمؤرخون يرون فى صدد فكره خلق القرآن سلسلة يصل سندها إلى لبيد بن أعصم اليهودى القائل بخلق التوراة ؛ والبعض يرى أن الجعد أخذ الفكرة عن إبان بن سمعان عن طالوت بن أعصم عن عمه لبيد وقيل إن أول من نشر فى المسلمين دعوى الخلق . المغيره بن سعيد العجلى من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى فالفكرة يهودية من أكثر من وجه[1] .

---

(١) د . رؤف شلبى يا أهل الكتاب تعالوا ص ١٢
(٢) د . على جريشه ص ٢٦٤ الإتجاهات الفكريه .

وصدق الله إذ يقول — ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون(١) .

يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون(٢) .

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا(٣) .

المرحلة الثالثة :

كثير من الكتاب الذين يرصدون حركات الماسونيـــة ويتابعون مخططاتها على ظهر الأرض يحدد هذه المرحلة بعام ١٧٧٠ م ومنهم وليم كار صاحب كتاب « الدنيا لعبة إسرائيل » .

وتلخيص هذه المرحلة على النحو التالي :

(١) آدم وايز هاويت « مسيحي وأستاذ لعلم اللاهوت في جامعة (انقولدشتات) الألمانية أرتد وتقمص الإلحاد فاتصل به كبار (الماسونية) في ألمانيا عام ١٧٧٠ م فكلفوه بمراجعة « بروتوكلات حكماء صهيون » القديمة وإعادة تنظيمها على أسس حديثة(٤) .

---

(١) سورة آل عمران أية ٦٩

(٢) سورة آل عمران ٧١

(٣) سورة النساء أية ٤٦

(٤) الدنيا لعبة إسرائيل وليم كار ص ١١ وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج ترجمة سعيد جزائري ص ١٥

والهدف ليس محاربه المسيحية ! بل الأمر — فى هذه المرة — أكبر من ذلك وهو : وضع خطة للسيطرة على العالم عن طريق فرض الإلحاد على البشر جميعا ؟ وأنهى « وايزهاويت » مهمته فى عام ١٧٧٦ م كما يقول وليم كار ويقوم المخطط الذى رسمه على :

١ — تقويض الأديان السماوية وتدمير جميع الحكومات الشرعية .

٢ — تقسيم الجوييم » الى معسكرات تتصارع فيما بينها بشكل دائم .

٣ — تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ثم بتدبير حادث يكون نتيجته أن ينقض كل معسكر على الآخر .

٤ — بث سموم النزاع والشقاق داخل البلد الواحد .. ثم :

٥ — الوصول الى النتيجه شيئا فشيئا .. وفعلا :

— سقطت الحكومة الشرعية فى فرنسا .

— سقطت الحكومة الشرعية فى انجلترا .

— سقطت دولة القياصرة فى روسيا .

وفشى الالحاد فى ابناء كثير من هـــذه الدول فقام دارون وفرويد وتتلخص بنود المخطط فيما يلى :

١ — استعمال الرشوة بالمال والجنس أو الشذوذ الاخلاقى — اذا لزم الامر — مع الاشخاص الذين يشغلون مراكز حساسة سواء أكان ذلك فى المجال العلمى أو الاقتصادى أو السياسى .

٢ — توجيه الضحية الى العمل للماسونية وغرس الاستهتار بالقيم الدينية .

٣ — السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة استخدامها كسلاح فتاك

لنشر الاخبار المشبوهه والمختلقة .. الخ وتوفى (آدم وايزهاويت) الرأس المفكر عندهم فى عام ١٨٣٠م .

(ب) وكان الاجتماع المفاجىء الذى دعت له المحافل عام ١٨٣٤ الذى قرر اختيار الزعيم الايطالى (مازينى) خلفا (لآدم وايزهاويت) وفى عام ١٨٤٠م استطاع المحفل الماسو فى العالمى أن يضم إلى عضويته الجنرال الامريكى (البرت بايك) الذى سرح من الجيش الامريكى ومعه قوانه من الجنود لارتكابهم فظائع وحشية تحت شعار الاعمال الحربية ونجحت الماسونية فى استغلال حقده وغضبه — لما حل به من جراء تسريحه — لخدمتها — ! حتى أصبح المشرف الأول والمخطط لهم فى تنفيذ برامجهم فاستقر (بايك) فى مقر هادىء بمدينة صغيرة فى امريكا هى ليتل روك واعتكف من ١٨٥٩ — ١٨٧١م فقام فى هــــذه المدة بدراسة مستفيضة لمخططات (وايزهاويت) ثم وضع مخططاته على ضوئها .

مخطط « بايك العالمى » :

وهو المخطط الذى خرج به بعــد سنوات الاعتكاف فى قصره فى ليتل روك فبدأ أولا بما يلى :

(أ) ١ — اعادة تنظيم المحافل الماسونية .

٢ — أسس ثلاثة مجالس مركزية عليا مقر الأول فى بلدة (شارلستون) فى الولايات المتحدة والثانى فى (روما) والثالث برلين) .

٣ — عهد الى (مازينى) بتأسيس عشرين مجلسا تحت اشراف المجاليس العليا الخاصة بدورها للمحفل الاعلى ويختص كل مركز بمنطقة معينه بحيث تغطى كل المناطق فى الكرة الأرضية .

(ب) أقر ونظم لحركات التخريب العالمية الثلاث المبنية على الالحاد المطلق وهى :— الشيوعية — الفاشستيه — الصهيونية .

(حـ) الاعداد لحروب عالمية ثلاث[1] :

١ — الأولى للاطاحة بالحكم الملكى فى روسيا وجعل تلك المنطقة من العالم المقل المركزى للحركة الشيوعية .

٢ — الثانية تؤمن لاجتياح الشيوعية العالمية لنصف العالم بما يمهد للمرحلة التالية .

٣ — الثالثه وتتصدى فيها الصهيونيه السياسيه للزعماء الاسلاميين فى العالم الاسلامى وشنها حربا على الاسلام .

ان هذه المخططات التى وصفها بايك كانت تتم تحت ستار من التكتم الشديد وتحت غبش الظلام وهذا على مر عهود الماسونيه .

يقول « مازينى » الى مساعده اليهودى برايد نشتاين » : .. ان الماسونيه من الدرجات ٢٢ — ٣٣ يجهلون ما يدور فى محافل الشرق الاكبر أو فى مجالس الماسونيه المركزيه العليا التابعه لتنظيم الجنرال بايك .

ويقول :« ويجرى تدريب النساء اللواتى ضمتهن المؤامرة الى صفوف شبكاتها[2] .

المـاسونيه والاديان :

ان الهدف الاسامى للماسونية ولفروعها هو هدم الروح الدينى والقضاء تماما على عاطفة التدين بين الناس جميعا .

---

(١) د. على جريشه ص٢٦٧ — الاتجاهات الفكريه

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٧ د . على جريشه

وعندما عقدت « الماسونيه » مؤتمر الشرق الاعظم سنه ١٩٢٣م وقف رئيس المؤتمر ليقول ما نصه . « يجب سحق عدونا الأزلى الذى هو الدين مع رجاله » وان رجال الدين يحاولون عن طريقه السيطرة على امور الدنيا مع ازالة وعلينا الاثالوا جهداً فى التمسك بفكرة حريه العقيدة » والا نتردد السبب الحرب على كافه الاديان لأنها العدو الحقيقى للبشريه (؟) ولأنها فى شن فى التطاحن بين الافراد والامم عبر التاريخ .

« لا بد لنا ان نكافح بجهد أكبر لادامة القوانين والانظمة اللادينية لأن السلطة المطلقة التى صنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهايه لا بل آلت إلى الزوال وان غايتنا قبل كل شيء هى ابادة الاديان جميعا[1] .

ولعل هذا ما يجعل الماسونيه تطلب الى المشترك فيها أن يخلع عقيدته خارج الباب قبل ان يدخل .

يقول « كولفين فى محفل منفيس بلندن :

« إما اذا سمحنا ليهودى أو مسلم أو لكاثوليكى أو لبروتستانتى بالدخول فى أحد هياكل الماسونية فانما ذلك يتم بشرط ان الداخل يتجرد من أضاليله السابقة ويجحد خيرافاته »[2] .

تقول النشرة الالمانية بتاريخ ١٥ كانون الأول سنه ١٨٦٦م « ليس فقط يجب على الفرمسون ان لا يكترثوا للاديان المختلفه ولكن يقتضى عليهم أيضا ان يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالاله أيا كان[3] .

---

(١) اسرار الماسونيه للجنرال رفعت آتلى خان الترجمه ص ٢١

(٢) السر المصون فى شريعه الفرمون للاب بولس شيخو

(٣) السابق

نخرج من النصين : بأن الماسونية لا تهتم بالأديان جملة ولا تعيرها أدنى التفات لكن كيف توفق بين أقوالهم هذه وبين مانجده فى بعض نشراتهم التى يعلنونها للناس من تكرار لفظ الاله وترديده فى قسمهم ؟

إن الإجابة على هذه المعميات نجدها واضحة فى النشرات السرية التى لايتطلع عليها إلا الخاصة منهم — تقول اللائحة النهائية للمجتمع الرسمى للماسونية الهولندية : ليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين وإن قال الماسون بوجود الاله فانهم يريدون به الطبيعة وقواها المادية أو جعل الإله والإنسان واحد(١) .

ومن نص آخر : «والإنسان من جنس الله وروح الإنسان من روح الله والروح غير منقسم فنحن البشر نؤلف الكل الذى يقوم به الكائن العظيم وكل شىء يرجع إلى هذا الوحى نحن الله.

إن ماتقول به الماسونية ليس جديدا فهو نفس الشىء الذى قالت به البوذية قديما والتى لاتجعل فرقا بين الله والإنسان الأمر الذى جعل «ويسمويت» الألمانى يقول عند شرحه للدرجة العليا من الماسونية : «كل شىء هو مادى فالله والعالم ليس إلا شيئا واحدا وجميع الديانات هى خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو المطامع ! ، قال «ويسمويت» هذه الكلمة فتلقفها منه «ماركس» التلميذ المخلص للماسونية العالمية وأخذ ينادى بها ويعلنها فى كتابه ويقرر هـو الآخر (ماالديانات الإضاعة بشرية ، ولا شك) .

---

(١) السابق ص ٣٦—٣٧

إن التدين الحق هو العاصم الأول والأخير من التورط فى مثل هذه المخططات مهما تكن ضراوتها.

ومن المحال أن تنجح محاولات الغزو الفكرى ولو استخدمت وسائل الشياطين والجن فى تحريف الموقف الفكرى لإنسان يعمر قلبه بنور العقيدة ويستنير فكره بالفهم الصحيح لشريعة الله.

وكل الذين سقطوا فى حبائل التنظيمات الغازيه أتاهم العدو من نقطة الضعف فى التكوين الدينى فكرا أو سلوكا.

ولو تصورنا محفلا ماسونيا بكل جبروته يريد اصطياد شخص ما فالطرق عندهم هى والرشوة أو الإغراء الحرام بالمال... وهذا السلاح لابد أن ينكسر على صخرة نفس نقية يستحيل على صاحبها أن يمد يده إلى الحرام.

فإذا دخلوا عليه من باب شهوة الفرج عن طريق الجميلات الفاتنات فستفسد المحاولة أيضا إذ يواجههم إنسان يغض الأذى عينه ولا يكشف ذيله إلا على الطيب الحلال وهكذا فى كل الوسائل التى لابد أن تتحطم جميعا على صخرة التماسك الذى يضعه الدين فى النفوس ويعصمها من الانهيارات.

وعندئذ ربما لجأ الغازون إلى التهديد بالعنف أو بمارسته بالفعل وفى هذه الحال تطيش السهام أيضا لأن الرجل المتدين لايخشى فى الحق لومة لا ئم من هنا كان من الطبيعى أن تعلق الماسونية حرصها الشديد على تحطيم الأديان ونزع قداستها من النفوس لأن تحطيمها بمثابة تحطيم القوة الأساسية فى أى جيش وعندها يتم الاستسلام والانهيار.

ويحاولون بكل السبل التسلسل إلى أمة المسلمين تحت شعارات خادعة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله الخراب فهى أولا ترفع شعار التسامح واحترام الغير بصرف النظر عن نوع عقيدته . والتسامح المطلوب هنا من أغرب الأنواع لأنه تسامح الضعيف مع القوى وليس بالعكس أى هم يريدون أن نتسامح معهم حين يغزون أفكارنا ويشوهون عقيدتنا وأى مقاومة من جانبنا تعتبر — فى هذه الحال — تعصبا وضيق أفق وعدم تسامح !.

ولست بحاجة إلى الحديث عن التسامح الأصيل الذى مارسه المسلمون مع عدوهم والذى زاد عن حده حتى تمكن الأشرار من الغزاة والمخربين من استغلال أسوأ استغلال.

والفرق الحقيقى بين التسامح والتعصب هو الفرق بين موقفنا مما هو حق وما هو باطل من ناحية وبين الأمور الشخصية وحقوق العقيدة من ناحية ثانية .

ففى الأمور الشخصية التى لا تشكل خطراً على الأمة أو على دينها يمكن للفرد أن يتسامح وهو فى هذه الحال يكون فى مقام العفو أكثر منه فى مقام التسامح لأنه يتنزل عن حق خاص بشخصه.

أما حين يكون الأمر أمر العقيدة أو أمر الصالح العام للأمة لجماعة المسلمين فهنا يصبح التسامح لا غفلة فحسب بل هو جريمة كبرى وخيانة لله ورسوله ولعامة المسلمين .

التسامح فى هذه الحال مثل تسامح الحرس فى جيش فى قلب معركة لفريق مسلح من جنود العدو بأن يدخلوا إلى معسكرنا ويمارسوا فيه القتل والتخريب ثم يؤذن لهم أن يخرجوا كما دخلوا بسلام .

إن هذا تسامح الخونة بل تسامح المغفلين والأغبياء إذا أحسنا الظن .

ثانيا : ترفع الماسونية شعار الحرية والإخاء والمساواة ، وتزعم أنه دستورها الذى لا يتبدل وهذا الشعار ذومكانة ملحوظة فى بروتوكولات حكماء صهيون وهو يمثل واحداً من شعارات الخديعة التى قررت أساساً للعمل كما نص البروتوكول الأول « يجب أن يكون شعارنا : كل وسائل العنف وكل وسائل الخديعة .

وكل شعوب العالم تعرف معنى الزيف البالغ فى شعار « الحرية والإخاء والمساواة الذى سلبه شعار العنف » كل حقيقة وحل محله عندهم فى كل التطبيقات شعار « الحق للقوة » .

لست بحاجة لأن أفضح هذا الزيف لأنه واقع ملموس فى كل ألوان التعامل السياسى بين الأقوياء والمستضعفين فى شتى أنحاء العالم .

وإنما يعنين ابراز الصلة بين الشعار الماسونى وأصله الصهيونى وذلك من واقع ماجاء فى البروتوكولات.

يقول البروتوكول الأول :

إن مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدها لتنفيذها وحسبنا أن يعلم عنا أننا صارمون فى كبح كل تمرد .

كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس « الحرية والإخاء والمساواة » كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعارات وقد حرمت بترددها العالم من نجاحه وحرمت الفرد من حريته الحقيقية الشخصية التى كانت من قبل مصونة من أن تخنقها السفلة .

ثم يقول :

إن صيحتنا : الحرية والمساواة والإخاء قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين وقد حملت هذه الفرق الويتنا فى نشوة بينما كانت هذه الكلمات — مثل كثير من الديدان — تلتهم سعادة المسيحيين وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم محطمة بذلك أسس الدول .

ثالثاً : تزعم الماسونية أنها منظمة هدفها بناء الإنسان الحر بعيداً عن قضايا السياسة والدين .

لكن الحقيقة الصارخة التى تعلن — بصفة خاصة — على أعضائها المنتمين إلى محافلها السرية تثبت على عكس ذلك حيث تقول نشرة المشرق الأعظم الفرنسى سنة ١٨٨٦ م .

« كنا ندعى أنه لا علاقة لنا مع السياسة والدين .. هل كان هذا خداعاً؟ الحقيقة أن خشيتنا من مطاردة قوى البوليس ومن القوانين تضطرنا إلى إخفاء مقاصدنا » نعم : نحن نشتغل بالسياسة وبالسياسة فقط فى محافلنا لا : بل بالسياسة العليا وأكثر .

أن المحافل الماسونية تجند أعضاءها مهما تكن أوضاعهم الاجتماعية فى أممهم — ليصبحوا فى النهاية عيونا للماسونية ومنفذين — خونة — لأهدافها بين شعوبهم .

ومن أجل هذا فإن الماسونية تساعد المنحرفين فى محافلها إلى الوصول للمناصب الحساسة فى دولهم ليكونوا فى خدمة أهدافها .

جاء فى كتاب « أسرار الماسونية » عن مؤتمر المحافل الماسونية سنة ١٨٨٤ م ما نصه :

يجب على الماسونيين الذين بيدهم زمام الأمور أن يأتوا بالماسونيين إلى دست الحكم وان يقربوهم من كراسيه وان يكثروا من عددهم فيه .ويقول المصدر نفسه :

فى وسع الماسونى أن يكون مواطنا (١) على أن يكون ماسونيا قبل كل شيء . . وفى وسعه بعد ذلك (أى بعد أن يكون ولاؤه للماسونية ، أن يكون موظفا أو نائبا أو رئيس جمهورية لكن عليه أن يستلهم دائما الأفكار الماسونية .

« ومهما علت مكانته الاجتماعية فانه يستوحى مفاهيمه من المحفل الماسونى لامن مكانته .

وقد مارست الماسونية دورها هذا على نحو تطبيق فى التمهيد للثورة البلشفية فى روسيا وكان ماركس ، فيلسوف الشيوعية إحدأعضاء المحافل الماسونية العاملين وهى فى هذا تتفق فكرا وتطبيقا واهدافا مع الحركة الصهيونية العالمية .

وفى بيان المشرق الأعظم الفرنسى سنة ١٩٠٤ م يرد مانصه :

« إن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها كارل ماركس وانجلزهما من ماسونى الدرجة الحادية والثلاثين ومن منتسبى المحفل الانجليزى وانهما كان من الذين أداروا الماسونيه السريه » (٢) .

---

(١) أنظر كيف تتصرف الماسونيه فى أتباعها وكأنهم عبيد بلا أدنى شخصية أوإرادة وأن المنتسب إليها يفقدكل حقوقهحتى يصبححق الولاء للوطن منة تجود بها عليه الماسونيه ، ومع هذا فالماسونية عندهم قبـــل الولاء للوطن .

(٢) نقلا عن د . عبد الصبور مرزوق الغزو الفكرى ص ٨٦، ٨٧

وتعتمد الماسونيه على السريه المطلقه وأعظم تعاليمها تتم على نهج شفوى ولو كان فكرا بناء لأعلن أصحابه عنه دون حذر واقدموه إلى الناس بوضوح ليقارع غيره من الأفكار فاما أن يثبت أو يزول .

تعتمد الماسونيه على السريه « دنيويه » تهدف إلى رفعه أعضائها فى الدنيا وهذا من وجهه نظرنا الإسلامية موقف تخريبى فكرى فالدنيا والدين عندنا وحدة لا انفصام بينها والرفعه فى الدنيا — من وجهه نظرنا الإسلامى — يجب أن تتم فى اطار التشريع وفى حراسه الروح المتدين لا تقبل الماسونية المتدينين فى محافلها إلى أجهزة الحكم والقيادة إلا بعد أن تضمن ولاءهم لها قبل ولائهم لمعتقداتهم ولأوطانهم .

ومعنى هـذا من الزاويه الفكريه — أحداث زلزال فى نوع القيم النظيفه التى ينبغى أن يكون عليها من يتصدرون الحياة ويلون أمر الناس فالأصل فى أهلية الراعى لتولى الرعية هو أن يكون صالحا بالمقاييس التى حددها الإسلام وهو وحدها التى تضمن الاستقامه والعدل .

أما — مع الماسونية — فلا يلى أمر الناس إلا الخونة والعملاء وحسبك بهذا من كارثه .

تهدف الماسونية إلى تكوين حكومة لا تعرف الله .

وقد جرب العالم — على الطبيعة — هذه الحكومة فى التجربه الشيوعية الكبرى فى الاتحاد السوفيتى وتبين فيها بوضوح مدى التخريب الفكرى الذى جرد الإنسان من آدميته التى كرمه بها خالقه سبحانه إلى حيوان ذى معدة وفرج وحسبه — فى ظل الشيوعية — أن يصل إلى أشباعها وليس له بعد ذلك إلا أن يعمل مسخراً للانتاج كما تعيش الدواب وحسبك بهذا ردة إلى عصور الغاب فيما قبل الشرائع والرسالات .

وتعتبر الماسونيه أن نضالها ضد الدين لا يبلغ غايته إلا بفصل الدين عن الدولة .

وإذا جاز هذا مع غير شريعتنا فهو عندنا نحن المسلمين مرفوض فالدين عندنا هو الدولة والعامل المخلص لعمله فى أى موقع كأنه فى صلاة وعندنا لا منافاه على الاطلاق بين السلوكين الدينى والدنيوى .

وافضل الجهاد — فى شريعتنا كلمة حق عند سلطان جائر والرجل فى شريعتنا يتقرب إلى ربه وينال مثوبته حين ينفق على أهل بيته وحين يطعم زوجه من كسبه الحلال — بل أنه يمارس تدينه فى اللحظه التى يعاشر فيها زوجه متى قصد بذلك أن يعفها ويعف نفسه فلا انفصام بين الدين والدولة عندنا على الاطلاق .

تنكر الماسونيه حق الآباء على أولادهم فى التوجيه والطاعه والرعايه وتدعو إلى نقض هذه السلطه ؟ ! وتحويلها إلى المحافل الماسونيه .

وهذا الحق — ليس تسلطا — كما يصورونه وانما هو الرعايه والولاية وحسن الأسوة وليس على اطلاقه — فى الاسلام — بدليل أن الأب حين ينحرف ويضل لا تكون له طاعه « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما »(1) .

أما فى الأحوال العادية فالاحسان إلى الوالدين قرين عبادة الله « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا »(2) .

وبهذا التواد والاحسان تستشعر الأسرة الانسانية طعم الحنو

---

(١) سورة لقمان ١٥

(٢) سورة الاسراء آيه ٢٣

والتعاطف الذى هو من فطرة الإنسان فإذا أهدرت هذه العلاقة فمناها — فكريا — التدنى بالانسان إلى ما هو اسوأ من الحيوان .

والماسونية من أنشط الجمعيات التى ينشئها الغزاة لتخريب فكرنا بين الداخل جاء فى البروتوكول الخامس عشر الذى يحدد دورها فى حركة الغزو اليهودى للفكر البشرى وخططها البشعة فى التكتيك والتخريب كما يبين نوع الاناس الذى ينخدعون بها وحالات الضعف والتمزق النفسى التى توقعهم فى حبائلها حيث يقول :

« إننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية ونحن الشعب الوحيد الذى يعرف كيف يوجهها ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل نقوم به على حين أن الأميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية وهم بعامة لا يفكرون إلا فى المنافع الوقتية العاجلة ويكتفون بما يرضى غرورهم ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم بل نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها .

والأميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكى نوجه لخدمتنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بأنهم هم أصحاب الاراء .

سنتركهم يركبون فى أحلامهم على حصان الآمال العقيمة لتحطيم الفردية الإنسانية بالأفكار الرمزية لمبدأ الجماعية ؟ !

إنهم لم يفهموا بعد ولن يفهموا أن هذا الحلم — يعنى حلم العيش تحت مبدأ الجماعية — مناقض لقانون الطبيعة الاساسى الذى على أساسه خلق كل كائن مختلفا عن كل ما عداه ؟ !»[1] .

---

(١) البروتوكولات صـ ١٥٣ ترجمة محمد خليفة التونسى

أما النهاية اللائقة التي يدخرها اليهود لاعضاء المحافل الماسونية من الاميين (غير اليهود) فهي النهاية اللائقة جدا بكل مغفل أو مخدوع تغريه الأماني الجوف من شهرة أو منصب أو غيرهما فيقدم عنقه لسكين الجزار من حيث لا يدري.

يقول البروتوكول الخامس عشر :

أننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يستطيع معه أحد — إلا الإخوة (يعني شركاء الجريمة) — أن يرتابوا أدنى ريبة في الحقيقة بل أن الضحايا أنفسهم لن يرتابوا فيها سلفا .

وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضدا أوامرنا في المجال الذي يهتم به الماسون الاحرار ؟!

تباين الماسونية في حقيقة الإله :

تتفق الماسونية في الالحاد والتجديف في حق الله سبحانه وتعالى وإن كانت المحافل والهياكل الماسونية تتباين وتفترق في حقيقة الاعتقاد فاذا رأت بعض المحافل — كأمر — وحدة الوجود وأن الكون والاله شيء واحد فإن بعض المحافل تسمى الاله « أدونزام » وهو « ازوريس » إله المصريين القدماء و « ميترا » إله الفرس و « بافوس » إله الرومان أو أحد الالهه المتعددة الذين كانوا في سالف الزمان يمثلون الشمس أو القمر أو النجوم أو الجن أو الملائكة وإذا تصفحنا كتاب « كريستامسيدو » عن الماسونية وتعاليمها نراه يقول :

الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومية القـــديم تحفل بجميع الآلهة فترحب بهم ...

ويقول « دى فرينك، أحد زعماء المحفل السكوتلندى : إن الهنا ليس به اسم مخصوص فهو مهندس الكون العظيم »

وقال آخر « إن اسم مهندس الكون عنـــدنا اسم بلا مسمى . أن الصيغه هى الله »

وما رددته الماسونيه وتردده قد سبقهم أجدادهم إذ قالوا [ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر](١) .

وهناك بعض المحافل تدين بالولاء للشيطان وتتخذه إلها !! قالت جريدة الملحد لسان حال الماسونيه فى ليفورنة : إبليس هو رئيسنا » .

ويقول الجنرال بايك الكاهن الأكبر لعقيدة الشيطان : « والحقيقة الفلسفية الخالصة هى أن الله والشيطان الهان متساويان ولكن هو إله النور والخير وهو الذى ما زال يكافح منذ الازل ضد الله إله الظلام والشر](٢) .

إن الذى نادى به هؤلاء لم يقل به حتى ابليس الذى اعترف بأن الله خالقه [قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين(٣) .

ويخاف عقاب ربه (.. فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين] والشيطان لا ينكر البعث (قال ربى فانظـــرنى إلى يوم يبعثون(٤) .

---

(١) الجاثيه ٢٤
(٢) الماسونيه أحمد عبد الغفور عطا ص٤٩
(٣) ص ٧٦
(٤) الحجر ٣٦

ففي مؤتمر الطلاب الذى انعقد فى سنه ١٨٦٥ فى مدينه ليبنح التى تغير احدى المراكز الماسونيه اعلن الماسونى المشهور Ofarge فى الطلاب الوافدين من المانيا وأسبانيا وروسيا وفرنسا قائلا :

يجب أن يتغلب الانسان على الاله وأن يعلن الحرب عليه وإن يخرق السموات ويمزقها كالأوراق .

أن الالحاد من عناوين المفاخر وليعش أولئك الابطال الذين يناضلون فى الصفوف الأولى وهم منهمكون فى إصلاح الدنيا(١) يقول يونسان احد اقطاب الماسونيه فى نشرة العالم الماسونى سنه ١٨٨١ م

إن الواجب علينا أن نسحق القبيح الفظيع وهذا القبيح إنما هو الله وهذا الله ليس سوى البشر(٢) ، وهــــذا هو زعيم الماسونيه الفرنسيه يقول فى النشرة الرسميه سنه ١٨٥٦ م أننا نحن الماسونيه لا يمكننا أن نكف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لامناص من ظفرها أوظفرنا ولابد من موتها أو موتنا .

فالماسون لا يمكن أن يذوقوا طعم الراحه إلا بعد أن يغلقوا جميع المعابد ويحولوها هياكل لحرية الفكر ولا له العقل)(٣) .

---

(١) المحفل الماسونى الأكبر سنه ١٩٢٢ صـ١٩٨ نقلا عن فتحى يكن حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام صـ ٦٠ مؤسسه الرسالة

(٢) المخططات الاستعماريه صـ ٢١٠ — محمد محمد الصواف

(٣) حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام صـ ٦١

الماسونية والمرأة :

الحقيقة أن الماسونية تعرف قيمة المرأة لا كزوجه وأم وأخت وخالة وربة بيت لأن هذا لم يخطر لها على بال وإنما لتحقيق الكثير من أهدافها الهدامه فهى عند الماسونية سلاح قوى يقنع الرجال ويلوى أعناقهم ويلغى عقولهم من هنا كان أهتمام الماسونيه بالمرأة أو بالجنس على وجه التحديد أقامت معابده ومهدت لطالبيه .

والمتصفح « لتوراتهم » المحرفة يجد الجنس هو الطابع المسيطر عليها والذى يشغل الكثير من صفحاتها ويعجب المرأ من دعواتهم العريضة وأتهامهم الأنبياء بجرائم فداود عليه السلام يسطو على زوجة ابنه وسليمان النبى الرسول يقتل قائده ليظفر بزوجته الجميلة ولوط عليه السلام يضاجع ابنته .

وفى هذا العصر الحديث من أوائل من روج لأفكار الفساد ودعى للأباحية وطالب بإشاعة الرجس .. الماسونى اليهودى « ليون بلوم [1] » . الذى خطط مع مجموعة من الماسون للثورة الفرنسية وعندما نجح مسعاهم طالبوا بفصل الدين عن الدوله . وعملوا على نشر الإباحية فى فرنسا وأخرجوا النساء من بيوتهم ولهذا الأفاك كتاب يسمى [الزواج] يعد من أقزر كتب الجنس والدعوة إليه فدعا إلى :

١ — دعوة الشباب والفتيات إلى الرزيلة .

٢ — مطالبتهم بتعجيل قضاء رغباتهم الجنسية بمجرد الأحساس .

٣ — تهوينه من الأخلاق والمثل .

---

(١) ليون بلوم تولى رئاسة الوزارة الفرنسية سنة ١٩٣٦ وهلك ١٩٥٠ م وهو يهودى من بلغاريا .

٤ — السخرية من الأديان والرسل .

٥ — تحطيم رباط الأسرة والزواج .

٦ — تنفير النساء من الحمل والودة .

الحقيقة التى توصل إليها علمـــاء الاجتماع من جراء أتباع الدعوة الهدامة للماسونية أن أمم الغرب فقدت الحياء وغلبتها الفواحش وعليه تربى الشباب وأوشك النسل أن ينقطع .

ولما أنكشف زيف الماسونية وحقيقتها بواسطة الشخصيات التى خرجت منها لم يعد لهـا ذلك الاسم الجذاب بل أصبحت حركة مشبوهة يتحاشاها العقلاء لذا انحصر هدف الماسونية بعد أنكشاف أمرها بحماية أسرائيل والتمهيد للقيام بمملكة يهوذا ينصبون عليها ملكا من نسل داود على عرش البابا فى روما كما ورد فى البرتوكول ١٧

أما وسائلهم إلى ذلك فهى إفساد الشعوب بنشر الجريمة والرذيلة وشراء الضمائر فى سبيل تحقيق حلمهم المنشود عن طريق إنشاء جماعات ونواد ومنظمات تتبنى أهداف الماسونية بعد أن تموه اسمها فكان لا بد من طلاء جديد يستر حقيقتها واليكم بعضا من هذه التنظيمات . .

١ — ماسونية م م م وتعنى ماسونية مسيحية مسلمه ظهرت فى لبنان بأسم المجمع الماسونى المسيحى المحمدى أو الشرق الأعظم تتبنى فكرة المهدى المنتظر وأنه يرجع فى نسبة إلى داود ومحمد ، ومن تعاليمه أن المسيح لم يمت وأنه قام من الموت بعد الصلب وأن محمد أبلغ رساله الانجيل وأن اسم محمد يعنى ممحمد وبسم الله الرحمن الرحيم تعنى الأب والابن والروح القدس ويسمون بالنورانيين نسبه إلى نور مؤسس الطريقه (١) .

---

(١) أنظر المذاهب والأفكار المعاصرة فى التصور الإسلامى محمد الحسن صـ ٢٧٩ نشر دار الثقافه الدوحه قطر ١٩٨٦.

٢ — نادى الليونز الأسود بعد أن قامت اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ م صار لزاما على أعضاء القوة الخفيه أن يعملوا لحمايتها فأسسوا لذلك أندية وجمعيات يختارون أعضاءها من علية القوم ممن بيدهم الحل والعقد ليعملوا بواسطتهم على تأمين سلامه اسرائيل ففى عام ١٩٥١م اسسوا فى نيويورك نوادى الليونز ثم أنتشرت فى أنحاء أمريكا كافة ومنها إلى معظم دول العالم ويشترط فى المنتسب أن يقدم طلبا وإنما تختاره إدارة النادى لعضويتها ويقيمون له الاحتفالات ويقدمون له الهدايا .

يبدأ عضو الليونز بدرجه ١٣ درجه الاستهزاء بالمسيح وينتهى بالدرجة ١٥ من درجات الماسونية وكذا نوادى الروتارى .

٣ — جماعات شهود يهوه : يتظاهر شهود يهوه بالمسيحية كما يتظاهر الدونمه بالإسلام ويهوه هو اله شعب الله المختار وحدهم .

ففى عام ١٩٤٦ أعلن الخواجه ليفى سكرتير العصبة العالميه لليهود الأحرار فى أجتماع لهم فى لوس أنجلوس ما يلى :

سنضع نظاما جديدا للتعليم نتبنى فيه أن الإله يهوه هو الاله الذى يجب أن يعبد وأن قصة المسيح بن مريم مزيفه ومزورة تعلن هذه الجماعه عن نفسها بأنها جمعية خيريه تهدف الى بث روح التدين فى جيل طغت عليه المادة (١).

٤ — جمعيه بنات برت (أبناء العهد) أسسها يهودى المانى هنرى فنز بعد أن هاجر من المانيا إلى أمريكا عام ١٨٤٣ م وهى لاتقبل بين صفوفها غير كبار رؤوس اليهود مثل ناحوم سوكلو ودزنكوف)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٠

وحاييم نخمن وحاييم وايز من ورؤساء الحكومات يتمنون رضاها وينافقون لها .

٥ — معابد الشيطان : لم نسمع عن جماعه فى التاريخ قدست الشيطان غير جماعه اليهود فللشيطان فى نفوسهم حرمه وتقديس لأنه تزعم بدهائه ودكائه ثوره الملائكة فرفض السجود لآدم ويسمونه الزعيم لوسيفر ويصورونه فى صحفهم وأفلامهم ولانستبعد أن يكون عباد الشيطان فى بلادنا من اليهود أو من المتأثرين بهم أنطلقت معابد الشيطان من أمريكا إلى فرانسيسكوا عام ١٩٦٦ م ثم أنشأت فروعا لها فى كافه أنحاء الولايات المتحدة .

ولقد أعترفت كاليفورنيا رسميا بعبدة الشطان هولاء .

٦ — جمعيات محاربه التشهير باليهود وهدفها كتم أى صوت يحاول التشهير باليهود بالقوة تأسست عام ١٩١٣ م ولها ٥٠ فرع فى الولايات المتحدة .

فالماسونيه وأنديه الروتارى مراكز خطر محدق دائمـــا بالعالم الإسلامى لأنها ألوان من نشاط اليهود المعادى للأديان عموما وللإسلام على وجه الخصوص .

القاديانية :

وهى من المذاهب الهدامة للإسلام التى اصطنعها أعداء الإسلام من المستعمرين واختاروا لها أكثر بلاد المسلمين أزدحاما بالمسلمين — شبه القارة الهندية .

وقد كان من هدف هؤلاء الأعداء باستحداث هذه المذاهب وغيرها أن يزيد من هـذه الخلافات المذهبية بين المسلمين وأن يعمقوا فى نفوس المسلمين البعد عن دينهم الصحيح باغراقهم فى هـذه الأباطيل والخرافات(١).

فالقاديانية مذهب خبيث هـدام أنشأه ومولة أعداء الإسلام من المستعمرين الإنجليز فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى — الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى — يوم استطاع هؤلاء المستعمرون أن يقتنصوا من بين المسلمين رجلا تقلب أبوه فى خدمة الإنجليز ونعمتهم ونشأ هو كما نشأ أبوه خادماً ذليلا لأعداء دينه — ذلك هو غلام أحمد القاديانى المولود فى بنجاب سنة ١٢٥٥ هـ ١٧٣٩م

فقد غرس الإنجليز بذور هذا المذهب الخبيث فى شبه القارة الهندية، وكانت مستعمرة لهم وقد نمت البذرة وخرجت على المسلمين بالكفر البواح .

وقد انتقلت ثمار هذه البذور إلى أفريقية بين المسلمين هناك فسمى

---

(١) الغزو الفكرى د .على عبد الحليم من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامى سنة ١٣٩٦ هـ ص ١٦٤

القاديانيون هناك أنفسهم — أحمدية تمويها على الناس وإيهاما لهم بأنهم منتسبون إلى النبي ﷺ بينما الحق أنهم ينتسبون إلى غلام أحمد القادياني .

وما يعنينا هنا هو ابراز طبيعة هذه الحركة ودورها في مخطط الغزو الفكرى الذى يتعرض له ديننا وبيان طبيعة علاقة هذه الحركة بالقوى الإستعمارية المناهضة .

وأول ما يبرز من زيغ هذه الحركة أنها محاولة مناهضة لتراث المسلمين الأصيل وللحق الذى تمثله مهابط الوحى في المدينتين المقدستين : مكة المكرمة والمدينة المنورة بهدف تحويل ولاء المسلمين عن هذه المنابع إلى المنبع الجديد الزائف الذى نشأت فيه الحركة القاديانية .

وكأن المسألة من باب الفخر الإقليمي — وليست رسالة سماوية — يعلم الحق سبحانه أين يجعلها وأين ينزلها و — الله أعلم حيث يجعل رسالته وفي هذا المعنى يطالعنا هذا النص الخطير لأحد أتباع القاديانيه يقول فيه : « إن الذى يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في « القاديان » له نصيب من البركات التي تختص بقبة النبي الخضراء في المدينة فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه من هذه البركات خلال الحج الأكبر إلى قاديان(١) .

ويقول بشير الدين محمود أن الخليفة الثانى للميرزا غلام أحمد أن الحج إلى قاديان حج تمثيلى لحج بيت الله الحرام(٢).

---

(١) ما هى القاديانية للمودودى ص ٥١، ٤٢

(٢) المصدر السابق ص ٥٢

ويقول أحد أتباع القاديانية :

والحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب لأن الحج اليوم إلى مكة لا يؤدى رسالته ولا يفى بغرضه(١) .

وهكذا نجد هذه الفرقة الكافرة ترشح لنفسها ديناً جديداً له نبيه وأصحابه وخلفاؤه ومقدساته وتقطع صلة أتباعها ومعتنقيها عن التراث الإسلامى الخالد وتعوض عن متابع الإسلام الأولى بما انتحلته من أماكن هى مركز العملاء . والجواسيس كقاديان عاصمة عش الشيطان وتريد أن تساويها بمكة المكرمة والمدينة المنورة .

والقاديانيون يتبجحون بتفضيل الغلام القاديانى على أكثر الأنبياء وأولى العزم من الرسل ولا تعترف بفرق بين أصحابه وأصحاب النبى ﷺ أنها تقول بمساواة كذاب قاديان بسيد ولد عدنان ومساواة خلفائه بالخلفاء الراشدين ومساواة بلدة قاديان بمكة والمدينة ومساواة الحج إلى قاديان بالحج إلى مكة والمشعر الحرام(٢) .

جاء فى كتاب « حقيقه النبوة » « أن غلام أحمد أفضل من بعض أولى العزم من الرسل » وفى صحيفة الفضل الصادرة فى ابريل ١٩٢٧ م « أنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء »(٣) .

---

(١) السابق ص ٥٢

(٢) المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٢٥٦ محمد محمود الصواف .

(٣) نقلا عن المرجع السابق د . محمد محمود الصواف ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

وفى نفس هذه الصحيفة : لم يكن فرق بين أصحاب النبى ﷺ وتلاميذ مرزاً غلام أحمد إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية » ، ومن هرائهم وأفكهم قولهم : لقد قدس الله هذه المقامات الثلاث مكة والمدينة وقاديان(١) .

وأكثر من هذا أنهم تأولوا نصوص القرآن مع صراحتها وحرفوها إلى غاياتهم فقال المرزا غلام أحمد نفسه :

أن الآية : « ومن دخله كان آمنا » تعنى المسجد الذى أسس فى «قاديان» .

ويقول : إن المراد بالمسجد الأقصى فى قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله هو المسجد المؤسس فى قاديان(٢) .

هذا إلى ما هو ثابت فى المصادر من استخدامهم فى معاملة « المرزا غلام أحمد » مؤسس هذه الفرقة الضالة لنفس الألفاظ وعبارات التبجيل التى كانت تستخدم مع سيدنا رسول الله ﷺ فهم يقولون عن « المرزا» عليه السلام ويتحدثون عن أهل بيته بعبارة أم المؤمنين ، ويقولون عن رجاله « رضى الله عنهم .

فالأمر إذا هو محاولة صريحة لإحلال عقيدة محل عقيدة واختراع نبى فى مقام النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ثم ادعاء قبلة مكان

---

(١) المرجع نفسه ص٢٥٧

(٢) البراهين الأحمدية للمرزا نقلا عن د/عبد الصبور مرزوق الغزو الفكرى ص٧١

القبله ولا يخفى ما فى ذلك من هدم صريح للأساس الأكبر الذى تقوم عليه عقيدة الاسلام الخالصة من الرسالات برسالة سيدنا محمد صلوات الله عليه ومن مناقضة صريحة لنصوص كتابنا الكريم .

فإذا انتبهنا إلى ملحظ آخر وهو ترحيب القوى الهندوسية ثم القوى الاستعمارية بهذه الحركة وتأييدهما لها أدركنا طبيعة الهدف الذى يجمع هذه القوى المناهضة وبان دور الحركة القاديانيه فى التخريب المرسوم .

ومما يلفت النظر فى هذا أن يتصدى الهندوسى الراحل « جواهر لال نهرو » للدفاع عن هذه الحركة حينما تصدى لها شاعر الاسلام محمد اقبال الذى قال فاضحا خطتهم : « إن جواهر لال نهرو ، ومن معه من القوميين مضطربون من انتعاش المسلمين ونهضتهم كما أن « القاديانية » مضطربة أيضا لنفس السبب .

وهم يعرفون أن هذا الانتعاش وهذه الحركة سوف تقضى على خطتهم خطة تمزيق أمة الرسول العربى — فداه أبى وأمى — وتكوين أمة جديدة لمتنبىء هندى ولأجل هذا يؤيدهم جواهر لال نهرو وإلا فأى علاقة له بهم » ؟[1]

أما عمالة هذه الحركة للقوى الاستعمارية وهى السلطات الإنجليزية آنذاك فيدل عليه بوضوح مابعده وضوح الكتاب الذى ألفه الخليفه الثانى للحركة والمسمى « تحفة شهزادة ويلز » أى هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس ملك بريطانيا فى مناسبة زيارته للهند فى عهد الاحتلال البريطانى ١٩٣١ م وفيه يقول :

---

(١) القاديانية إحسان إلهى ظهير ص ٥ ، ٦

يانجل مليسكنا المعظم وولى عهد المملكة البريطانية ، أنا إمام لجماعة الأحمدية وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام أرحب بك بالنيابة عن أفراد الجماعة الأحمدية ؟ أجمعين وأؤكد لك بأن الجماعة الأحمدية وفيه للحكومة البريطانية وستبقى وفيه لها إن شاء الله .

ويقول : « إن منهج هذه الجماعة من يوم تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة (حكومه الاحتلال البريطانى، وتبتعد عن جميع أعمال الفتنة والفساد يريد بها حركات التحرير التى ينهض بها المسلمون للخلاص من الاستعمار وأن مؤسسها عليه السلام (؟) كان قد وضع ضمن شروط المبايعة التى لايمكن للمرء أن ينضم للجماعة بدونها ضرورة أن يتعهد الشخص بأن يطيع الحكومة القائمة ولهذا اجتنب أعضاء هذه الجماعه الفتنة والفساد؟ وأصبحوا أسوة وقدوة للاخرين » .

فنحن هنا أمام اعتراف قاطع بدور القاديانية الموالى تماما للاستعمار ضد الامانى العامة لشعب الهند وأمانى المسلمين منهم بوصف خاص .

ويكفى هذا الاعتراف لادانة أهداف الحركة والنظر اليها باعتبارها من أولياء الكفر ومن أعداء الإسلام .

ويزيد فى تفهمنا لدور هذه الحركة فى خيانة أهداف الأمة الإسلامية ما يثبت بعد ذلك من ممارسة القاديانية لدور الجاسوسية والعمالة للسلطات البريطانية ضد المسلمين ليس فى الهند وحدها بل وغيرها من الأقطار الإسلامية ،

هذه هى القاديانية منبع الفساد والعلة فى جسم العالم الإسلامى تنفث فى شرايينه وعروقه سموم الخشوع والجبن والتملق والخضوع للمستعمرين الأوربيين والركون إلى الظالمين الذين أفسدوا فى البلاد واستعبدو المسلمين .

أن القاديانية تنتشر فى العالم الإسلامى الفوضى الفكرية وعدم الثقة بمصادر الإسلام الصحيحة وتقطع صلة هـــذه الأمة عن ماضيها وعن خير أيامها وأفضل رجالها وتفتح الباب للأدعياء والمتطفلين والمتنبئين على مصراعيه وتسى الظن بقوة الإسلام وحيويته وأنتاجه وتؤيس المسلمين من مستقبلهم (١) .

والمتأمل لهذه الحركة لا يرى تحتها شيئا قدمته للبشرية وهى بجملتها من أولها إلى آخرها لا تحتوى ألا على جانبين فقط .

الأول : هو أدعـاء القاديانى للنبوة والأتصال بالوحى والاساءة إلى كل من لم يؤمن به وأن الله سينصره وسيخذل أعـداءه . . إلى آخر تلك الأمور التى لاتخلو صفحة من صفحات كتبه . بل لا يكاد يخلو سطر واحد إلا وهو يتحدث عن هذ الموضوع .

الثانى : فلو تنازلنا لهـــذا المتنبىء وسلمنا له بالنبوة فأى شىء سيقدمه لنا ؟ :

هل سيقدم لنا دينا جديدا يشتمل على عقيدة واضحه شاملة وشرع كامل شامل بحيث يغنينا عمـا سواه — معاذ الله — ؟؟ لا .. أنه سيقدم امرا واحدا فقط ذلك الأمر هو لب عمله وأس دعوته وهو : إلغاء الجهاد ودعوة المسلمين للخضوع لأعـدائهم والذلة للأنجليز بالذات لأنهم هم الذين أرسلوه — كما يبدو .

وهذا هو الجانب الثانى من دعوته دعوته دعوة كبيرة عريضة يترتب عليها عليها كفر وإيمان نتيجتها إلغـاء الجهاد وذلة المسلمين لأعداء الإسلام

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص٢٥٧ — ٢٥٨

أما ضلالة حمقاء أقدم عليها ذلك المخذول المأجور نعوذ بالله من خذلانه ودعاواه الكاذبة .

فقد ظهر مدافعا عن الإسلام ثم انتهى أخيرا إلى دعوى النبوة ونزول الوحى عليه بل بلغ به الهوس حتى وصل إلى تلك الرؤيا التى رأى نفسه فيها أنه هو « الله » وأراد تغيير خلق الكون بامره .

وكل أدعاءته وكتاباته وأقواله لا تخرج عن أمرين . دعوى النبوة والرسالة ثم إلغاء الجهاد الإسلامى فهل هـذا هو الأصلاح الذى أرسل القاديانى لادائه اللهم إنه نعم إذا — أعتبرنا المرسل هم الانجليز — فقد قدم لهم خدمة عظيمة ودعا المسلمين إلى طاعتهم والذلة لهم . وأما ما عدا هذا فقد فرق المسلمين وشغلهم ببعضهم وأساء إلى غير المسلمين الذين أعتنقوا دينه بأن أضلهم وقادهم إلى سخط الله وعقابه .

ثم إن هذه الدعاوى ماالذى يمنع أن يدعيها أى شخص آخر منحرف ثم يتقدم بها إلى الناس ما دامت الدعاوى تقبل بغير برهان ؟ كما هى حال المتنبىء القاديانى وإلا فأى برهان على صدق دعواه لا شئ إلا الشتم والسب والتكفير والخداع بل إن الإدلة الشرعية والعقلية كلها تنادى ببطلانها وضلالها يزيد فى ضلالها تلك الطامة الكبرى التى تردى فيها ذلك المسكين أخيرا حيث تخيل نفسه أنه هو البارى سبحانه وتعالى وأنه أخذ يعيد النظر فى المخلوقات .

ويريد أن يستبدل لها بمخلوقات جديدة كما يزعم فخلق سماوات جديدة وأراضين جديدة وخلق آدم من جديد يالها من عقلية قدعبثت بها الشياطين وأردتها إلى ذلك المستوى المخجل الذى يأنف من نزوله كل من لديه مسكة من عقل أو رائحة من دين .

هذه العقلية هى التى زعمت أنهـــا تتلقى الوحى من السماء وأن الله عزوجل قد أتصل بها لأصلاح العالم وتجديد أمر الدين .

فليتنبه المسلمون فى كل مكان إلى خطر هؤلاء الضالين وهم يدعون الإسلام وهم أعداء الإسلام وخصوم الإسلام والمرتدون عن الإسلام وهم بأجماع علما الأمه فى كل مكان ولقد صدرت الفتاوى بكفرهم من الهند وباكستان ومصر وغيرها من ديار المسلمين وقانا الله شرهم وجعل كيدهم فى نحورهم وجعل تدميرهم فى تدبيرهم والله المستعان .

آثار الغزو الفكرى

كان للغزو الفكرى الذى أصاب المسلمين فى دينهم وحولهم إلى مسخ آدمية لا تحمل من الإسلام إلا الإسم بعض الآثار والنتائج فى المجتمع الإسلامى فهذا الغزو جعل المسلمين يقلدون الغرب فى عاداته وثقافته ونظمه وقوانينه وبذلك قضى على عادات وتقاليد المسلمين فعلى الجانب الفكرى والثقافى :

عمل الغزو الفكرى على تشويه المفاهيم والثقافة الإسلامية لدى جمهرة المسلمين الأمر الذى أدى إلى ظهور اتجاهات وتيارات فكرية وثقافية مختلفة فى المجتمع الإسلامى يتنافى بعضها مع مبادى الإسلام القويمة وقد تمركزت هذه الاتجاهات فى تيارين فى العالم الإسلامى .

١ — التيار الأول الذى يعمل على تحريف الإسلام وتشويه معالمه باسم التجديد وتحويره إلى الشكل الذى لا يتنافى مع تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية .

٢ — التيار الثانى : الاتجاه المضاد الذى سار عليه جماعة من مفكرى المسلمين الذين قاموا بعمل صياغة للمفاهيم الإسلامية صياغة حديثة تتضح فيها معالم قدرة الإسلام على معالجة مشاكل الحياة الحديثة وإمكاناته فى الحكم والتطبيق فى العصر الحاضر .

ونتيجة لتنامى قوة الاستعمار وسيطرته العسكرية والسياسة الفكرية على العالم الإســـلامى حدثت مضاعفات التيار الأول انتهت إلى نشوء تيارات فكرية علمانية ووضعية ووجودية و ... إلخ تبناها عدد من أبناء المسلمين أنفسهم .

وأما على الجانب الاجتماعى فقد أدى انتشار الأفكار الغربية المسيحية

والسيطرة الاستعمارية العسكرية والسياسية إلى حدوث تغييرات كبيرة فى العالم الإسلامى فظهرت الاتجاهات المختلفه والعنصرية كاشاع تطبيق القوانين والأنظمة الغربية تحت شعارات وأسماء مختلفة من الحرية والتجديد والإصلاح[1] كما انخفضت الروح الدينية بين المسلمين لأنهم اعتادوا على أنظمة وقوانين العالم الغربى .

وانقسم العالم الإسلامى إلى دول مختلفة متنازعة فيما بينها فى كثير من الأحيان .

إن واقع المجتمع الإسلامى اليوم يختلف عما كان عليه سلفنا الصالح وهذا شاهد صدق على هذا الغزو الذى منع أو كاد يمسخ الصورة النقية الوضاءة للإسلام حيث بدت الرقع الأجنبية واضحة وكان العامل الأكبر لوجود هذه الأوضاع بحوث المستشرقين حيث ساهمت مساهمة كبيرة فى وجود هذه الأوضاع التى عملت على تغيير الهوية الإسلامية بين المسلمين بالإضافة إلى ذلك نجد لأبحاث المستشرقين تأثيراً آخرى فى المجتمع الغربى نفسه حيث أخذ الفرد الغربى ينظر إلى الإسلام نظرة سيئة حاقدة وقد صور لنا المستشرق النمساوى المسلم محمد أسد هذه النظرة بقوله : [إلا أن الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ولكنه كان قبل كل شىء وفى مقدرة كل شىء شراً ثقافياً . لقد نشأ تسميم العقل الأوربى عما شوهه قادة الأوروبيين من تعاليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة فى الغرب فى ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة فى عقول الأوربيين من أن الإسلام دين شهوانى وعنف حيوانى وأنه تمسك

---

(١) د/ محمد الحكيم — المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن ط ١٩٨٥ ص ٣١ .

بفروق شكلية وليس تزكية للقلوب وتطهيراً لها ثم بقيت هذه الفكرة حيث استقرت][1] .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نورد عناوين أو مختصرات تدل على هذا الغزو الفكرى الذى تأثر به نظام حياتنا وسلوكنا بوجه عام .

١ ـ عزل القرآن عن توجيهه للحياة العامة ومنع تطبيق الشريعة الإسلامية فى أمور حياتنا من معاملات واقتصاد وسياسة ومحاولة حصر الإسلام فى نطاق العبادات أو ما اصطلحوا على أن يسميه القانونيون بالأحوال الشخصية على أن العبادات تتسرب إليها كثير من الخرافات والبدع والأحوال الشخصية تواجه غزواً عنيفاً لتسير سيرة الغربيين حتى تسلب عنها القدسية لتصير أمراً عادياً شأنه فى ذلك شأن المعاملات .

٢ ـ إضعاف شوكة الإســـلام وإقصاءه عن جميع مجالات الحياة وحصره فى مجال العبادات بعيداً عن تنظيم المجتمع الخاص والعام تطبيقاً لفكرة فصل الدين عن الدولة . وامتهان الشخصية الإسلامية ومحاولة القضاء عليها وإذابتها فى غيرها والحد من التعصب لها أو الحفاظ عليها ومن الملاحظ اليوم أن الاهتمام بالعلوم المدنية المجردة عن الدين هو الذى ينبغى أن يسود الأمر الذى نجم عنه خواء النفوس واستعدادها لتقبل كل غزو فكرى يلبى حاجة الغرائز والشهوات وترتب على ذلك أمور خطيرة منها :[2]

---

(١) محمد أسد الإسلام على مفترق الطرق ص ٥٨ .

(٢) مرجع سابق الشيخ عطيه صقر الإسلام فى مواجهة التحديات .

(أ) شيوع الالحاد والجهر به من غير حياء ولارادع يردع عنه كأثر من أثار حرية الفكر ،

(ب) التهكم بمقدسات الدين من نبوة وقرآن وشريعة وثقل عبارات الدين على السنة الكتاب والمتحدثين كأنهـا عيب يحتقر بل أستبدلت بها عبارات جديدة كالضمير والقيم الأدبية بدل أن يقال : الله ، والأحكام الدينية .

(ج) تمجيد رجال الفكر الغربي وذكرهم بالعبارات المملوءة بالاحترام وضعف إحترام الذين يشتغلون بالعلوم الدينية حيث لم تعد الحاجة ماسة إليهم مع إنضمام ذلك إلى الفكرة السوداء التي أخذها رجال النهضة الأوربية عن رجال الدين في مجتمعاتهم .

تلك الفكرة التي أرادوا أن يسمموا بها أفكار المسلمين بالنسبة لعلمائهم وبالتالي بالنسبة إلى الدين .

٣ — شيوع نظريات تربوية وسلوكية جديدة تقوم على تمجيد حرية الفرد في فكره وسلوكه وعدم كبت غرائزه منعا للعقد النفسية وإنعكاس ذلك على سلوكه الذي تشجعه هـــذه النظريات كمتنفس للغرائز وكانت الوجودية والاباحية والتحلل من آثار هذه النظريات .

٤ — وجود فئة من الكتاب وأصحاب الرأي جندت نفسها للدعوة إلى الفكر الغربي ومحاولة جر الفكر الإسلامي إليه لتطويره على أساسه أن رأوا أنه في حاجة إلى التغيير أو محاولة التوفيق بين مبادىء الاسلام ومبادىء الغرب ليعيش الفكران في سلام وتعاون بصرف النظر عن فكرتهم عن مبادىء الدين هل هي الأصل التي يجتهدون في توفيق الفكر الغربي معه أو أن الأصل هو الفكر الغربي والمقصود هو قياس الدين عليه

أو التوثيق بينه وبينه أما الأولون فلعل بعضهم فيه غيرة على دينه وأما الآخرون فهم عملاء من غير شك فالذى يحكم ويقاس عليه هو دين الله لا كلام البشر .

ومن هنا رأينا من ينادى بمنع تعدد الزوجات وبمنع الطلاق أو وضع قيود شديدة عليهما وبمساواة المرأة للرجل فى الميراث وتولى الوظائف القيادية والولاية العامة والقضاء فى كل الأحوال إلى غير ذلك من الدعوات الجديدة التى أستباح بها بعض الدعاة إقحام أنفسهم على كتاب الله وسنة رسوله وتفسيرهما بما يتناسب مع هذه الأمور مع عدم أهليتهم للخوض فى هذه المسائل الخطيرة .

بل رأينا من يحاول التوفيق بين الاسـلام وبين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى أختارها لأنفسهم بعض الدول الغربية مع البعد الشاسع بين الاسلام وبين هذه المذاهب .

ومن هؤلاء من جندتهم بعض الثورات التحررية الجديدة للدعوة إلى تأييد هـذه الثورات التى إتخذت مبادىء الغرب منهجا لها وتبرير كل تصرف من تصرفاتها الثائرة ومحاولة حمل النصوص الدينية على الوجه الذى يؤيدها وكان من أثر ذلك قيام بعض الأحزاب والتنظيمات والاعتراف بها رسميا والتمكين لها من مزاولة نشاطها فى مجالس التشريع وأجهزة الاعلام وفى دور التعليم .

٥ — إطلاق حرية الرأى فى نقد الدين والأوضاع القديمة بشكل عام ووصف هذه الأمور بأنها رجعية تقف فى طريق التطور وفى الوقت نفسه تقييد هـذه الحرية بحيث تكون فى إطار المنهج التطورى الجديد لهـذه الحركات الثائرة وعدم السماح لأية صحيفة أو أى كاتب أو أى موجه

مصلح بأن يتناول مواثيق أو أوراق عمل هذه الحركات بنقد هادم لها وترتب على هذا المسلك التضييق على رجال الفكر الدينى بالذات وإتهام بيان الحقائق الدينية بأنها خيانة وطنية تستحق العقاب المنظور أو غير المنظور على ما هو معروف فى بعض بلاد المسلمين .

٦ — تفكك الأسرة وضعف إحترام الرابطة الزوجية نتيجة التشبع بالأفكار الغربية فى موضوع الحرية الشخصية بالذات .

فلم تعد الزوجة هى المطيعة لأوامر الزوج المبتغية رضاه بكل وسيلة ولم يعـــد الزوج من الوفاء للزوجة بحيث يحافظ على قداسة هذه الرابطة والمغريات الكثيرة نتيجة التمدن صرفت كلا منهما إلى إتجاهات أخرى .

وكذلك خرج الولد والبنت عن طاعة الوالدين أو على الأقل لم يصيرا بعد التشبع بهذه الأفكار قرة عين لهما أو مستجيبين لتوجياتهما عن رضا وأدب وهذا أحد طرق الانحراف فى الأولاد .

ونتيجة هذا التفكك فى الأسرة واضحة من كثرة الخلافات الزوجية التى قد تنتهى بالطلاق أو بتعدد الزوجات وبالتالى لتشرد الأولاد .

٧ — جفاف العلاقات العامة بين الناس . وتغلب الروح المادية عليها، وتوارى المعانى الخلقية منها إلى حد كبير وضعف الرابطة الاجتماعية القائمة على تبادل المصالح والمشاركة الواجدانية والأخلاق لوجه الله فى هذه العلاقات ، بتغلب الأنانية وحب الذات وضعف معانى الرحمه والايثار فى النفوس . ولعل هذه الظاهرة من أهم الفوارق بين المجتمعات الدينية والمجتمعات الماديه ، أو بين المجتمعات الشرقيه التى يغلب عليها طابع التدين والمجتمعات الغربيه ذات الطابع المادى ، وإذا جفت أو ضعفت الروح الدينيه والأخلاقيه كثرت المنازعات ووجدت الفوارق البعيدة بين الأفراد أو بين الجماعات .

٨ — اضطراب الأمن ، وذلك بعدم إقامة الحدود الشرعية فكثر القتل وانتشر الزنا وغصبت الأموال أوسرقت وكثرت الخيانات ، وشاع شرب الخمر والمسكرات الأخرى ، وكثر الفحش وبذاءة اللسان ورمى البرآء بالزنا وغير ذلك . وتبع هـذا فساد كبير وأعباء ضخمة من الجهد والمال ، وإنشاء أجهزة وإدارات ومحاكم وسجون .

وهذا بالتالى يؤثر تأثيراً واضحاً على الرخاء الاقتصادى والهدوء النفسى حيث أستنفذ جزء كبير من الجهد والعناية فى سبيل الحفاظ على الأمن .

٩ — هناك عراقيل كثيرة نتجت عن هذا الغزو الفكرى من الصعب حصرها كضعف الإنتاج نتيجة لعدم رقابة الله والإخلاص للوطن . وضعف اللغة العربية والاهتمام باللغات الأجنبية لعدم العناية بالقرآن والعلوم الدينية بوجه عام وانصراف المستغلين يصطادون فى الماء العكر إلى إقامة دور اللهو والمتعة الحرام ، وإقامة مؤسسات وشركات استثمارية من وراء هذا الفساد وكثرة الأحزاب وتمكن الطائفية من النفوس ، ومحاولة التقرب من الغرب وإرضائه بكل وسيلة ، وبالتالى ضعفت روح الجهاد فى النفوس .

« وماحكموا بغير ما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا .... » الروم ١٤ .

وسأسوق بعض الأقوال شاهداً على أن الغزو الفكرى كان له أثره الخطير على عقائدنا وعلى أخلاقنا وسلوكنا بوجه عام .

جاء فى كتاب « الطفل والأمور الجنسية » وهو الكتاب رقم ١٢ من سلسلة عنوانها : كيف نفهم الأطفال ، وسلسلة : دراسات سيكلوجية ص ٤٦ ، وهو من الكتب التى تحتضن نشرها مؤسسة أمريكية ، جاء مايلى :

إن الكثيرين من الآباء اليوم لا يكترثون للظهور مجردين من الثياب أمام أطفالهم الصغار وهذا أمر لم يكن يحدث فى الماضى إلا نادراً ، فيرى الصغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها ، فإذا كان فى وسع الآباء أن يفعلوا ذلك دون شعور بالحرج أو الاضطراب فإن ذلك يكون مرانا طبيعياً بصورة طبيعية لأنه يعود الطفل الشعور بأن الجنس ليس أمراً مشيناً ، كما يساعد على إشباع فضوله فيما يتعلق بأجسام الكبار .

وجاء فى ص ٦٢ ، ٦٣ من هـذا الكتاب ، بعد الدعوة إلى اختلاط الجنسين فى المدارس والنوادى والمجتمعات الأخرى ما نصه :

وإذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر إليه على أنه نوع من الصداقة ، وليس غراماً أو عشقاً ، فالمعاكسات البريئة التى هى من نوع — مراد وسهير صديقان حميان — قد تبعث فى صداقتهما دفء ألحانا يفتقران إليه ، وقد تولد فيهما الشعور بأنه يتوقع منهما أن يسلكا مسلك الكبار . اهـ .

ويقول « أموسون » فى كتابه الذى ترجمته جامعـــة الدول العربية بمشورة السفارة الأمريكية : من أراد أن يكون رجلا ينبغى أن ينشق على السائد المألوف ، ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغى ألا يعوقه ما يسميه الناس خيرا . بل عليه أن يكتشف أن كان ذلك خير حقاً ، لا شىء فى النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك ، حرر نفسك لنفسك يؤيدك العالم . الخير والشر إسمان يمكن فى سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك والشىء الصحيح الوحيد هو مايتبع تكوينى ، والشىء الوحيد الخطأ هو مايقاومه « ص ١٣٢ » .

ويقول فى ص ١٥٤ : أن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة التامة فيما تمليه عليه نفسه لابد أن يتميز ببعض صفات الآلهة .

واجبنا :

فى مجتمعنا الإسلامى أفكار غربية أنتجت النتائج المذكورة وغيرها مما يحس به المؤمنون الغيورون على دينهم ، والعباقرة الذين يتعمقون فى البحث والدراسة ، وهذه الأفكار مرض واقع يوشك إذا تمكن أو طال أمده أن تمتد آثاره الخطيرة إلى الأجيال المتعاقبة .

وتشخيص المرض ليس كافيا ، أو ليس غاية تنتهى عندها همم الباحثين ، كما هو شأن بعض الكاتبين أو المتحدثين فى أسى وحسرة على واقع العالم الإسلامى والهاوية التى تردى فيها ، فإن بكاء الشكلى لا يرد ميتاً إلى الحياة ، والحسرة على المريض لا تمنحه الشفاء ، فلابد من وضع الدواء لهذا المرض ، بمعنى أن يكون موقف أطباء الفكر والعقيدة والأخلاق والاجتماع موقفاً إيجابياً لا سلبياً . وأن يكون الجهد جهداً منتجاً لا عقيما ، يستهدف القضاء على المرض الواقع أو على الأقل إضعاف أثره وعلى حماية من لم يصبهم المرض أن تمتد إليهم عدواه .

وهذه المهمة تحتاج إلى دراسة متأنية فاحصة استقرائية مخلصة تتقصى الأسباب على المستوى الأفقى حتى لا يكون العلاج ناقصاً بترك بعض منافذ الداء مفتوحة ومواطن العلة يتمتع بعضها بالأمان كما تتقصى الأسباب على المستوى العمودى للوصول إلى الجذور العميقة لكل سبب حتى لا يكون العلاج سطحياً أو كالدهان على الوبر كما يقولون .

وهذه الدراسة الشاملة التى يوضـــع على أساسها العلاج جهد جبار لا يضطلع به فرد واحد أو هيئة خاصة فلابد من إسهام المجتمع كله فى ذلك على مستوى الأفراد والهيئات والحكومات . فإن هذا الغزو لا يقل خطرا عن الغزو العسكرى الذى تنادى به الدول من أجل الوقوف ضده ، وهذا

الغزو الكثيف متعدد الأسلحة متنوع الأساليب ، يملك طرقاً خفية ملتوية تحتاج إلى عدة خبرات ومهارات ، ومهما يكن من شيء فإنني أضع بعض ما أراه من وسائل العلاج ، تاركا للمؤتمرات والقيادات الإسلامية المتنوعة الاستقضاء والدراسة الشاملة :

١ — أول خطوة فى هذا السبيل هى التوعية التى تنبه على الغزو قبل أن تقبل جحافله ، وعندما يدخل الحى ويعبث فيه فساداً ، لا بد من توعية تضع المتاريس لعرقلة تقدمه ، وتستنفر الجنود لطرده وإخراجه من مكامنه التى يريد أن يستقر فيها ويبسط نفوذه عليها .

وهذه التوعية تمثلت قديما فيما يسمى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى جعله الله من مميزات الأمة التى قرر القرآن أنها خير أمة أخرجت للناس ، والذى جعله الله من قواعد المجتمع الصالح كما يشير إليه قوله تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » (الحج ٤١) وحذر من التهاون فيه حتى لا تلعن الأمة كما لعنت بنوا إسرائيل الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . وحتى لا يعم الفساد بالسكوت على الخطر « واتقوا فتنة لا تصبن الذين ظلموا منكم خاصة » [الأنفال ٢٥] ويوضح ذلك حديث من استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو خرقنا فى نصيبنا خرقاً نستقى منه ولم نؤذ فوقنا ، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ، وهو حديث رواه البخارى .

إن السكوت على الغزو والتسلل وترك الأفكار الغربية تعمل عملها فى العقيدة والسلوك يترك الفرصة لترسخ أقدامها وتكثر فروعها ، والباطل يسود عند غفلة أهل الحق كما هو معروف .

والاعداء معروفون بدهائهم حين يأذنون لجيوش الغزو أن تتقدم . انهم يهتمون باضعاف المقاومة أو إقتصائها عن الطريق بالهاء الناس عن الغزو طوعا أو كرها وذلك بمـــا يغرقون به المجتمع من ملاه ومتع وصوارف ، وما يمنون به من أمانى باطلة وبغير ذلك من الأساليب التى يجب أن يتنبه لها المسئولون فى كل قطاع عن عقيدة الناس وسلوكهم .

لابد من توعية المسلمين بأن أفكار « الغرب الغازى » أو الشرق المستغل نابعة من مجتمعهم فى ماضيه وحاضره وأمله فى المستقبل وليس فى مجتمعنا الإسلامى عقد كالتى كانت عندهم ، وليس عندهم دين كديننا الصحيح الخاتم،وليست آمالنا المستقبلية الإنسانية المصلحة كآمالهم المستغلة المسيطرة فمن المعروف أن الثورة الفرنسية التى اتخذت دينا لنهضة أوربا كانت من أجل التخلص من سلطان الأشراف والنبلاء ، والاقطاعيين ، وتواطؤ رجال الكنسية معهم ، وديننا ليس فيه هذه الطبقية وليس فيه استغلال ولا استبداد ولا تلك الارجاس التى دنست مجتمعهم ودفعته إلى هذه الثورة .

أن نزعة الاستعمار عند الغرب أوحت بنظريات أصـــل الأنواع وتطورها وبقاء الاصلح وتمجيد فكرة عدم المساوة بين الاجناس البشرية تمهد لسيادة الجنس الآرى وتبريره تسلطه على الشعوب الآخرى ، كما صرح بذلك مونتيسكيو فى كتابه روح القوانين . وفكرة فصل الدين عن الدولة أساسها عقم الدين الذى كان موجودا عندهم عن الوفاء بحاجات المجتمع المتطور وحل مشاكله المتعددة وديننا معروف بوفائه بكل متطلبات البشر فى حياته المادية والأدبية الدينية والدنيوية . . .

لابد من توعية المسلمين بأن أفكار الغرب لم تنجح فى حل مشاكلهم ، فالطبقية التى ثاروا عليها موجودة ، ووجودها بشكل حاد يتمثل فى نظام الحزب الحاكم فى روسيا بماله من الامتيازات والنفوذ والعصمة وغيرها مما لم

يكن لأية طبقة من قبل . وهم يعترفون بأن الشعب لم يصل بعد إلى المستوى الذى يحكم فيه نفسه بنفسه ويستغنى عن حكم الحزب الواحد ، وقد مر على ثورتهم أكثر من خمسين عاما وهم يقرون بهذه الحقيقة ، فكيف نجحت هذه الثورة بعد هذا الوقت الطويل .

أن العنصرية التى تتنافى مع مبدأ الحرية والمساواة مازالت حية فى مجتمعاتهم على الرغم من شعاراتهم الزائفة بأنهم دعاة الحرية وحماتها ، وأمر الملونين فى أمريكا والتفرقة العنصرية فى المستمرات شاهد صدق على عقم مبادئهم أو على الأقل على خبث طويتهم وسوء نواياهم .

والحروب والثورات والفتن والتحلل والتمزق النفس واضطراب الأمن وغير ذلك من المآسى التى نقرأ عنها ويلمسها بعضنا فى مجتمعاتهم لم تعالجها نظرياتهم ولا افكارهم التى يحاولون أن يغزوا بها مجتمعنا الإسلامى لنفسد كما فسدوا وليتم لمن وراء هذه الحركات ما أرادوا من سلخ الناس من عقائدهم كوسيلة للسيطرة عليهم وانفرادهم بالحكم والنفوذ كما تمليه عليهم كتبهم التى خططوا بها منذ مئات السنين لسيادة الشعب المختار .

من مهمة التوعية بيان أننا مسلمون أولا وقبل كل شىء ورفض علاج الاسلام أو عدم الاذعان لاحكامه خروج عليه قد يؤدى إلى الفكر . والأمة التى تنتسب رسميا أو ظاهريا إلى الإسلام ككل كان علاجا شافيا لا خطر الامراض الفكرية والنفسية والاجتماعية والمادية أيضـــا بنص شهادة القرآن الكريم فى بيان أثر الرسالة حيث يقول الله سبحانه « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » الجمعة ٢ .

وقد تمثل صلاح العلاج الإسلامى فى العصور الزاهرة الأولى التى كانت متمسكة بالدين إلى حد كبير ، ولم يضعف المسلمون الا عند ضعف تمسكهم

بهذا الدين ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وقد جاء فى الحديث الشريف « انى تركت فيكم ما أن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى كتاب الله وسنه نبيه » رواه الحاكم وصححه .

وصدق الله العظيم « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » طه ١٢٣ .

أن من مهمة التوعية بيان خطر القراءة لأفكار الغرب لمن يكن عنده رصيد كاف من الثقافة الدينيه الأصيلة يستطيع بها أن ينقد هذه الأفكار فيقبل منها ما لاضرر فية ويرفض سواه . وقد سبق النهى عن الأخذ عن أهل الكتاب ، وذلك سدا لمنافذ الفتنة المعروضة بأساليب براقة .

كما تبين التوعية أن الالتزام بمقررات ومبادىء المنظمات الدولية التى اشترك فيها المسلمون لايجوز الا فيما خلا من الضرر ولم يصادم أصلا من الأصول المقررة فى الدين . فإن اعلان حقوق الإنسان الصادر فى ١٠ من ديسمبر ١٩٤٨ م جاء فى مادته رقم ١٨ ما يجوز للمسلم أن يغير دينه فى حرية تامة ، وفى مادة ١٦ للرجل والمرأة حق التزوج دون أى قيد بسبب الجنس أو الدين . وفى مادة ٢٩ لاتصلح ممارسة هـذه الحقوق بشكل يتناقض مع اغراض الأمم المتحدة ، ولاشك أن الردة ممنوعة فى الإسلام وأن الكفاءة فى الدين مشروطة فى صحة الزواج ، وأن المرجع الأعلى هو الدين وليس أغراض الامم المتحدة « فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » النساء ٥٩ .

ومن مهمة التوعية أيضا التحذير من الانخداع بالجمعيات التى تنشأ بأسماء براقة كالتسلح الخلقى وأصدقاء الشرق الأوسط وغيرهما مما مرت الاشارة إليه .

على أن يجند لهذه التوعية كل العلماء والمفكرين والمربين وتيسر لها كل السبل وأن تأخذ الوانا شتى مناسبة لكل مستوى ولكل بيئة .

٢ — والخطوة الثانية بعد التوعية التى يجب أن تسير معها فى خـط

متواز ، هى علاج المرض الحاصل بعد اكتشافه والمبادرة بحصره فى دائرة ضيقة حتى لا تسرى عدواه إلى الأصحاء والمسلمون الأولون واجهوا هذه الأفكار الواردة أو النابعة فى المجتمع بمؤلفاتهم العديدة وتنبيه المسئولين على خطرها ، وبرز فى ذلك أمثال الإمام الغزالى فى كتبه كتهافت الفلاسفة، وابن تيمية فى مثل : الجواب الصحيح وابن القيم فى مثل إغاثة اللهفان وغيرهم ممن نبهوا الناس إلى خطر البدع فى الأصول والفروع .

ومما يساعد الآن على علاج هذا المرض ما يأتى :

١ — وضع كتب تبين زيف هذه الأفكار وبطلان هذه الشبهات على أن تكون بأسلوب عصرى يتناسب مع المستويات المختلفة .

٢ — وضع كتب تستخلص من المؤلفات الإسلامية المسائل التى تظهر الوجه المشرق للإسلام فى مقابل مايدعى الأعداء أنه من محاسن نهضاتهم ومن مبتكرات مفكريهم ، على أن تلتزم فى هذه المسائل الأدلة الصحيحة والمراجع الثابتة ، ليكون جهد الباحثين مبنياً على أساس متين ، وأرى أن إبراز هذه النواحى المشرقة بالأسلوب العصرى يؤثر كثيراً على ظلام هذه الشبهات الوافدة فالعقول حتما ستوازن وتقارن وتميل إلى أحسن الأمرين إن عاجلا وإن آجلا ، وإبقاء شمعة واحدة أفضل كثيرا من لعن الظلام ، كما تقول الحكمة الصينية القديمة التى رددها بعض كتاب الغرب .

٣ — إعادة طبع كتب التراث الإسلامى مع تنقيتها من الدخيل الذى اتخذه الأعداء مطعنا . أو التعليق على ما فيها من أفكار غير صحيحة ، أو غير واضحة .

٤ — تشجيع قراءة الكتب النافعة ، إما بتقرير دراستها ، وإما بوضع مكافأة للمبرزين فى فهمها .

٥ — تجنيد كل وسائل الإعلام والتوجيه لخدمة الفكر الإسلامى ، كتخصيص برامج إذاعية لبيان محاسن الدين وتزييف الشبهة الواردة عليه.

على أن يتولاها مختصون ، لهم من عمق الفهم وحسن العرض ما يساعد على تحقيق هذه الغاية ، ويستوى فى ذلك الإذاعة المسموعة والمرئية .

٦ — تنشيط اللقاءات الفكرية والدينية عن طريق العناية بالمساجد واختيار الأئمة الأكفاء والعمل على جذب الشباب بالذات إليها والقائمون على إدارتها أدرى بما يلزم لذلك حسب ظروف كل بلد وإمكاناته . وكذلك عن طريق عقد الندوات ، والعناية بالبرنامج الدينى فى كل المؤسسات الثقافية والاجتماعية .

٧ — إصلاح الطرق الصوفية فى البلاد التى توجد فيها هذه الطرق ، وذلك يتم عن طريقين :

(أ) اختيار القيادة فيها من العلماء المتخصصين ، ومنع توارث الرياسة فيها حتى لا يتولاها من لا يحسنون قيادتها قيادة صحيحة .

(ب) تنقية أفكارها مما شابها من فكر غامض ، وعدم السماح بنشرها بين من لا يفهمونها وتنظيم لقاءاتها ومواكبها واحتفالاتها بحيث تكون على المنهج الإسلامى ، وتسهم فى التوعية إسهاما فعالا ذلك أن هذه الطرق فى بعض البلاد لها مكانتها وقداستها فى نفوس كثير من الناس، وأولى من من هدمها تقويمها وإصلاحها لتواصل رسالتها الدينية الروحية على الأساس الصحيح .

٨ — ربط الدين بكل علم وبكل فكر ، أو على الأصح ربط العلوم والأفكار بالدين فى كل المجالات ، فالمدرس مثلا يضرب الأمثلة للتلاميذ على قواعده بنصوص القرآن أو السنة أو بأصل من أصول الدين ، سواء فى ذلك دروس اللغة والتاريخ والطبيعة والفلسفة والإقتصاد وغيرها حتى يعيش التلاميذ والطلاب فى جو دينى يحبب إليهم هذه الأفكار الدينية ، وترسخ فى نفوسهم عن طريق ترديدها على ألسنتهم وترددها على أسماعهم .

٩ — اختيار القائمين على مهمة الثقافة والتوجيه والتوعية والتأليف

من المؤمنين برسالة الدين الفاهمين له فهما سليما والقادرين على شرح ذلك بلغة العصر .

فلا يصلح لهذه المهمة كل من هب ودب وحمل مؤهلا أيا كان ، فإن ضرر بعض هؤلاء قد يكون أخطر على الإسلام من أعدائه . على أن يكون هؤلاء إلى جانب تمكنهم العلمى ، قدوة فى سلوكهم ، فذلك له أثره الذى لا ينكر ، وبخاصة فى نفوس الناشئة .

ويساعد على توفير هذه النوعية من القادة تشجيع معاهد العلم الدينى التى تخرج الأكفاء ، ومتابعة تزويد مناهجها بكل جديد يساعد المتخرجين على ممارسة نشاطهم التوجيهى التربوى على بصيرة ، ويضاف إلى الضرب بيد من حديد على يد أولئك الذين يتجرون بالدعوة .

١٠ — تطوير مجتمعاتنا الإسلامية تطويراً شاملا ، حتى لا يحس المسلم بالتمزق والقلق حين يحتاج إلى شيء فلا يجده فيضطر إلى البحث عنه عند الأجنبى الذى سيعجب بحضاراته وبالتالى بأفكاره .

وهذا التطوير فى مادياته وأدبياته لا بد أن يكون على أساس الدين . بما لا يتعارض مع الدين ، وبخاصة ما ساعد على تمكينه فى النفوس .

والتصوير الاقتصادى مثلا يحارب الفقر الذى أغرى الكثيرين بتقبل أفكار الشيوعية ، ويحول دون الإفلاس الذى أوحى للمفلسين بالتحلل ، واعتناق المذاهب الوجودية ، بل أغراهم بالإلحاد والفكر بالأديان عامة .

لقد حدث استفتاء بين الشباب الملحد ، فى بعض البلاد لمعرفة أسباب الإلحاد . فقال أحدهم معبرا عن رأى الكثيرين :

أنا لست ملحدا ، ولكن وجود الشقاء فى كل مكان بالعالم يوحى بأن الإله إله سيء ولم أصل بعد إلى رأى نهائى ، ولكن أعتقد أنه لا توجد طبيقة عليا فى الكون « الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم للدكتور محمد البهى ص٢٨ » .

٣ — الوقاية :

وهذه تكون لمن لم يصبهم مرض التأثر بالفكر الغربى الشاذ ، من المجتمعات البعيدة أو ضعيفة الاتصال بالبلاد الأجنبية وكذلك لوقاية الأجيال القادمة وإذا كانت الأمور المذكورة سابقا فى العلاج تفيد فى الوقاية ، فإنى أزيد هنا أمورا لها أثرها فى هذا المجال :

١ — إعادة النظر فى مناهج التعليم عامة وكتابة موادها من وجهة النظر الإسلامية ، وجعل الدين مادة أساسية لتحصين التلاميذ والطلاب فى جميع مراحل التعليم ضد الأفكار الغازية .

٢ — العناية بالقرآن بالذات فى المدارس والجامعات والمساجد ، والجمعيات وفى كل المجالات لأنه الدرع الواقى ضد الغزو ، والقلعة الحصينة التى تتحطم عليها سهام التشكيك .

والقرآن فى حقيقته دستور كل تربية ، ومنطلق كل إصلاح ، وتنظيم .

وكما عبر عنه الحديث الذى رواه الحاكم وصححه : « عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه » .

٣ — الرقابة على وسائل الإعلام والتثقيف المختلفة ، من صحف ومجلات وإذاعات وأفلام وتمثيليات . . . ومنع المشبوه منها حسب تقرير يضعه المختصون .

٤ — عدم السماح بفتح مدارس للأجانب يقبل فيها المسلمون أو وضعها تحت الرقابة الشديدة حيث يمنع فيها كل مايفتن المسلمين عن دينهم أن اضطروا إلى التعليم فيها .

٥ — عدم السماح بتكوين جمعيات أو نواد . . أو بالقاء محاضرات وعقد ندوات ومؤتمرات إلا بعد التأكد من سلامة أغراضها ومتابعة نشاطها لوقف الضار منه عند حده .

٦ — تحصين أولادنا بالدين واختيارهم من الموثوق بعقيدتهم وسلوكهم عند بعثهم إلى الخارج للتعلم أولاية مهمة يطول أمدها أو يقصر ، فإن المؤثرات المغرية هناك كثيرة .

٧ — تعديل مادة « الحرية » في الدساتير الوضعية — مبدئيا حتى يستبدل بها القرآن بحيث لا تتخذ هذه الحرية وسيلة للطعن في الدين والمقدسات والنص في هذه الدساتير على احترام الدين والمقدسات ، وصيانة كرامة القادة من رجال التربية والتوجيه بالذات .

٨ — وضع العقوبات الصارمة لكل من يخرج على الدين وبخاصة عند المجاهرة .

وأعتقد أن تنفيذ الحدود الإسلامية والتعزيرات خير ما يفيد في هذا المجال .

٩ — جعل الممارسة الديموقراطية في المجالس وغيرها في غير المجالات التي قال الدين فيها كلمته ، فإن النص لا يجوز معه الاجتهاد الذي يغير من دلالته الواضحة ولتكن هذه الممارسة في المجال الذي قال فيه الحديث الصحيح « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

أما أمور الدين فقد تركنا فيها الرسول عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، ولم يلحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن نزل عليه قوله سبحانه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » المائدة ٣ .

هذه الخطوط العريضة تبين طريق العلاج والوقاية بالنسبة للمجتمعات الإسلامية ولكن أريد فوق ذلك أن نغزو أفكار العدو كما غزانا بأفكاره ، وألا نتخذ موقفا سلبيا من هجومه علينا ، ولعل مما يفيد في هذا الغزو ، الذي أحب أن اسميه الفتح ، ما يأتي :

١ — فتح مراكز إسلامية في الخارج لعرض ديننا عليهم من قرب ،

وللرد المباشر على شبههم مع حسن اختيار القائمين على هذه المراكز .

٢ — ارسال كتب ومجلات بلغتهم لتنقل أفكارنا الإسلامية ، إليهم على أن تكون بأسلوب عصرى وعرض شيق .

٣ — ترجمة معانى القرآن ترجمة صحيحة ، لتصحيح ترجماتهم التى شوهت الفكرة الإسلامية عندهم ، وقد رأينا ، أن أكثر ترجماتهم ليست من النسخة العربية مباشرة بل عن ترجمة مشوهة قديمة ، فإن الترجمة اللاتينية سنة ١١٤٣ م التى ظهرت سنة ١٥٤٣ وكانت أساسا للترجمات التى ظهرت باللغات الإلمانية والإيطالية والهولندية وغيرها ، وكان من أسوأ هذه الترجمات ترجمة « مراش » أحد رهبان الكنيسة الكاثوليكية ، التى جعل لها مقدمة بعنوان « دحض مزاعم القرآن » وقد نقلها بكل مفترياتها « جورج سايل » سنة ١٧٣٤ م وكذلك « رودبل » بالمر » .

٤ — عمل إذاعة موجهة باللغات المختلفة إلى البلاد التى تتزعم غزو الفكر الإسلامى .

٥ — حماية الجاليات الاسلامية فى البلاد الأجنبية ، أو الاقليات الموجودة فى المستعمرات والعمل على تحرير البلاد الاسلامية من دق الاستعمار والنفوذ الأجنبى ، ومما يفيد هؤلاء :

(ا) ارسال بعوث ترشدهم .

(ب) فتح مدارس تعلمهم على الطريقة الاسلامية ومدها بالكتب والمصاحف .

(ج) إنشاء مساجد ومستشفيات ومؤسسات أخرى تواجه نشاط العدو .

(د) استقبال وفود من طلابهم فى معاهدنا الاسلامية ليعودوا مرشدين لذويهم ومصلحين لهم .

والله ولى التوفيق .

أهم المراجع

التى اعتمد عليها الباحث بالإضافة إلى ما ورد فى ثنايا البحث

١ ــ القرآن الكريم والتوراة والعلم موريس بوكاى ط دار المعارف سنة ١٩٧٧
٢ ــ الإسلام والدعوات الهدامة أنور الجندى ط ١٩٧٤ م
٣ ــ أباطيل وأسمار محمود محمد شاكر
٤ ــ أضواء على الاستشراق محمد عليان
٥ ــ الاسلام والحضارة ط دار الكتب
٦ ــ الاسلام بين الانصاف والجحود محمد عبد الغنى ط ١٩٦٠ م
٧ ــ الاتجاهات الفكرية د. على جريشه ط ١٩٨٧ م
٨ ــ الاسلام فى مواجة التحديات عطيه صقر
٩ ــ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين
١٠ ــ الاسلام فى وجه التغريب أنور الجندى
١١ ــ الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم د. مصطفى السباعى
١٢ ــ أساليب الغزو والفكرى د. على جريشة وزميلة ط ١٩٦٦ م
١٣ ــ الاسلام على مفترق الطرق محمد أسد
١٤ ــ الاستشراق والتبشير إبراهيم خليل
١٥ ــ أسرار الماسونية رفعت خان
١٦ ــ الاسلام أقوى جهاد قلعجى
١٧ ــ الاسلام يتحدى وحيد الدين خان
١٨ أفيون الشعوب العقاد
١٩ ــ الاسلام والتاريخ والفرد كانتويل سميث
٢٠ ــ الاسلام والمذاهب الفلسفية د مصطفى حلمى ط ١٩٨٦ م

٢١ — الاسلام فى وجه الزحف الأحمر محمد الغزالى ط ١٩٦٦ م
٢٢ — تاج العروس ط١٣٠٦ هـ
٢٣ التبشير والاستعمار د ، عمر فروخ وزميله
٢٤ التفكير الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهى
٢٥ — تاريخ العرب فيليب حتى ، تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم
٢٦ — تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار
٢٧ — تراث الاسلام مجموعة من المستشرقين باشراف أرنولد
٢٨ — التبشير والاستشراق محمد عزت الطهطاوى
٢٩ — حقائق عن التبشير د . عمار شرف المختار الاسلامى بالقاهرة
٣٠ — حقيقة التبشير على عبد الوهاب
٣١ — حضارة العرب جوستاف لوبون
٣٢ — حاضر العالم الاسلامى لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض
٣٣ — حياة محمد د . محمد حسين هيكل
٣٤ — حقيقة نوادى الروتارى وخطرها على الاسلام نشر اتحاد جامعة المنصورة
٣٥ — الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الالمانية ترجمة مصطفى ماهر
٣٦ — دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين محمد الغزالى
٣٧ — دائرة المعارف الإسلامية ح٤ ط دار الشعب بالقاهرة
٣٨ — دراسات فى الثقافة الإسلامية مكتبة الفلاح بالكويت د. محمد متولى وأخرين
٣٩ — الرسول فى كتابات المستشرقين نذير حمدان
٤٠ — السر المصون فى شريعة الفرمون للأب بوليس شيخو
٤١ — السنة فى مواجهة الاباطيل محمد طاهر دعوة الحق سلسلة شهرية سنة ١٤٠٢ هـ

٤٢ — شرح مسلم للنووى حـ٨
٤٣ — صورة استشراقية د . عبد الجليل شلبى
٤٤ — علم التاريخ عند العرب ط القاهرة سنة ١٩٦٠
٤٥ — العقيدة والشريعة جولدتسيهر ترجمة محمد يوسف موسى ١٩٤٨م
٤٦ — عن القرآن لمحمد صبيح ط مصر ١٩٣٩م
٤٧ — الغزو الفكرى د . على عبد الحليم المجلس العلمى ط١٩٨١ م
٤٨ — الغز الفكرى محمد جلال كشك
٤٩ — الغارة على العـــالم الإسلامى تعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافى
٥٠ — غارة تبشـــيرية على اندونيسيا أبو هلال الاندونيسى دار الشروق جدة
٥١ — الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادى
٥٢ — فى الغزو الفكرى المفهوم نذير حمدان
٥٣ — فضل العرب على أوربا لسيجمون هونكة أو شمس الله تطلع على الغرب
٥٤ — الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر د . كمال عبد اللطيف الرباط
٥٥ — القرآن والمستشرقون د . التهامى نقرة
٥٦ — الكامل للمبرد حـ٨ ط أوربا
٥٧ — لمحات فى الثقافة عمر الخطيب
٥٨ — مكايد يهودية عبد الرحمن الميدانى
٥٩ — مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية
٦٠ — المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف
٦١ — معركة التقاليد محمد قطب
٦٢ — مجلة البلاغ الكويتية عدد ١٤٩
٦٣ — مفتريات على الإسلام طبعة ثالثة ١٩٧٥

٦٤ — المدينة الإسلامية وأثرها فى أوربا ط النهضة المصرية سعيد عاشور
٦٥ — معالم الثقافة الإسلامية عبد الكريم العثمانى
٦٦ — ما يقال عن الإسلام العقاد
٦٧ — مناهج المستشرقين مجموعة من الاساتذة
٦٨ — معالم تاريخ الإنسانية
٦٩ — مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى ﷺ من زينب
٧٠ — ملاحظات نحو تعريف الثقافة محمد عياد
٧١ — المستشرقون نجيب العقيق
٧٢ — المستشرقون والقرآن أنور الجندى
٧٣ — مبادىء الفلسفة والأخلاق محمد ريد
٧٤ — نقد العقل الوضعى عاطف أحمد
٧٥ — وجهة الإسلام جب
٧٦ — يوم الإسلام د . أحمد أمين

فهرست الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٨٢٧ / ١٩٨٨ م